الموريسكيون في الفكر التاريخي

تـأليف: ميغيل أرخيل بونيس إيبارا
ترجمة: وسام محمد جنزر
مراجعة وتقديم: جمال عبد الرحمن
المشروع القومي للترجمة

إعداد: جابر عصفور

- العدد: 959
- الموريسكيون في الفكر التاريخي
  - ميغيل أنخيل بونيس إيبارا
  - وسام محمد جزر
  - جمال عبد الرحمن
- الطبعة الأولى 2005

هذه ترجمة كتاب

Los moriscos en el pensamiento historico
Historiografía de un grupo marginado
Por: Miguel Ángel de Bunes Ibarra
© Miguel Ángel de Bunes

النشر باللغة العربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

ش.الجبيلية بالقرى - الجسرة - القاهرة: 7302296
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
TEL: 7352396 Fax: 7358084
تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعتبر بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للثقافة.
- مقدمة المراجع .................................................. 7
- مقدمة المؤلف .................................................. 17
- الفصل الأول .................................................. 21
  من حرب غرناطة (1568-1609) إلى الطرد (1609) ...
- الفصل الثاني .................................................. 95
  بدء معضة: التأريخ المحرر والتاريخ المحافظ ....
- الفصل الثالث .................................................. 167
  القرن العشرون في التأريخ الموريسيكي ............
مقدمة المراجع

الكتاب الذي أقدم له الآن هو أول كتاب وصل إلى عن القضية الموريسية.

اشتريته في مدريد وأرسلته إلى صديق تونسي، لكنني لم أتمكن من الاطلاع عليه إلا بعد فترة غير قصيرة، فقد كنت حينها أحد لرسالة الدكتوراه. من الأعوام ورأيت أهمية الاطلاع عليه فبحثت عنه في مكتبات مدريد لكي لم أجد. أخيراً علمت أن صديقًا لي قد تولى إحدى إدارات دار نشر كاتبنا. زرتته في مكتبة وطلب منه نسخة من الكتاب. بعد دقائق قدم لي صديقي الكتاب قائلاً: "هذه هي آخر نسخة من الكتاب في دار النشر، وهي هدية لك".

أما المؤلف فهو ميغيل أخيل بونيس إيبارا، أحد كبار المتخصصين في التاريخ الموريسكي وفي العلاقة بين إسبانيا والمغرب. عرفته عن طريق مؤلفاته الكثيرة قبل أن أعرف عليه شخصياً. كنت قد تمكنني أخيراً من الاطلاع على الكتاب ورأيت أن يترجم إلى اللغة العربية، وكان على أن أقابل المؤلف لكي أحصل على موافقته. عندما حدد لي موعداً لزيارته كنت أظن أنني سأقابل رجلاً شارف على سن الإحالة إلى التقاعد، وقد أدهشني أن أرى شاباً قدم لي نفسه على أنه بونيس إيبارا. ضحكنا كثيراً من المفارقة وأمضينا نحو أربع ساعات في مكتبه بالمجلس الأعلى للبحث العلمي بمدريد نتحدث عن المورسيكيين وعن العلاقة بين الإسلام والغرب بشكل عام.

يبرز الكتاب وجود مؤلفين للتاريخ الإسباني من القضية الموريسية، لكن المطالع لكتاب باروخارا - "مسلمو مملكة غرناطة بعد عام 1492" (1) يستطيع أن
يجد عيباً في الكتب الإسبانية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر: لقد وصل الأمر إلى إخفاء معلومات واختزال خطابات وجهت إلى الملك تتضمن نقداً للكنيسة. حدث ذلك نظرًا للضغوط الموجدة آنذاك فلم يكن ممن المسموح على الإطلاق انتقاد الكنيسة عنا. إن مؤرخا مثل أورتادو دمندوتأ - وهو سليل عائلة من البابا - لم يستطيع نشر كتابه عن حرب غرناطة إلا بعد عشرين عاماً كاملة.

إذا كان سليل البابا يعجز عن نشر كتاب فهل كان من الممكن لمؤلف عادي أن يبوح بتعاطفه مع المورسيكيين؟

لهذا أشارنا في أكثر من مناسبة إلى أننا لا نطمئن إلى كتب المؤرخين الإسباني في القرنين السادس عشر والسابع عشر، فالكتب التي تنشر بقدر من الموضوعية - مثل كتابات أورتادو دمندوتأ - لم يكن بمقدورها أن ترى النور.

وكان عليها أن تظل حبيبة الأدراج إلى حين.

هذا الكتاب يتفق في جانب منه مع كتاب آخر ترجماناه منذ سنوات ونشر ضمن إصدارات المجلس الأعلى للثقافة. أتحدث عن كتاب "المستعربون الإسبان في القرن التاسع عشر" لمانويل مانثاريس (1). في هذا الكتاب الأخير ينقسم المستعربون إلى فريقين: فريق يرى جوانب إيجابية في الحضارة العربية الإسلامية، وفريق لا يرى في تفاؤلنا إلا عيبا. الكتاب الذي نقدم له يتحدث عن موقف المؤرخين الإسبان من القضية المورسكية، ونلاحظ أن موقف المؤرخين من القضية المورسكية لا يختلف عن موقف المستعربين من الحضارة العربية الإسلامية. هناك شيء آخر يبرز في الكتابين: كان المستعربون الإسبان المتصورون لحضاراتنا قلقة في بدأ الأمر ثم ازداد عدهم مع بداية القرن العشرين حتى أصبحنا اليوم نرى مستعربين إسبان يدافعون بحماس شديد عن حقوق عربية في تاريخنا المعاصر (تحدث هنا عن غويتيسلو وعن خيدر مارتينز على سبيل المثال). إذا انتقلنا إلى كتاب يونس إيبارا سنجد أن المؤرخين الإسبان في القرنين السادس عشر والسابع عشر كانوا يبدون تأييدهم لقرار طرد المورسكيين من
وطنهم الإسباني، ولم تكن الظروف السياسية المعاصرة آنذاك تسمح لأحدهم بإدراك موقف مخالف للتيار العام. فيما بعد رأينا بدايات دراسات تتحدث على استجابة عن حقوق للموريسكيين وعن جوانب إيجابية لهم، وبمرور الوقت وصلنا إلى القرن العشرين فازداً عدد المؤرخين الإسبان الذين يعرفون بأن مسلمي الأندلس قد تعرضوا للظلم من بني وطنهم من المسيحيين الإسبان. كان علينا أن ننتظر حتى القرن العشرين لكي نقرأ عن “القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى”.(1)

لكن هذا الكتاب يختلف في أمر ما عن كتاب “المستعربون الإسبان”؛ فهذا الكتاب الأخير يعرض أعمالا كتبت في القرن التاسع عشر؛ أي حين كان هناك إمكانية نسبية لإعداد دراسات موضوعية. أما الكتاب الذي نقدل له فيتعرض لمؤرخين إسبان في عصور مختلفة من بينها القرن التاسع عشر.

يقول البروفيسور داريو كابانياس عن هذا الكتاب: "عندما ينتهي أحدنا من قراءة هذا الكتاب يتفاجأ بأن الكتاب، رغم قلة عدد صفحاته، يقدم تحليلًا جادًا ومفصلا للدراسات الرئيسية المتعلقة بهذا الموضوع ولعله أخرى ليست معروفة كلياً، والمؤلف يعتمد دائمًا على النصوص لكي يحدد بدقة ووضوح موقف كل كاتب"(2).

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول ويتبع المؤلف في هذا التقسيم ترتيبا زمنيا، مما يسهل عملية القراءة.

في الفصل الأول يتعرض لموقف المؤرخين المعاصرين للمشكلة الموريسكية، ونرى هنا بدايات موقف التأريخ الموريسكي من قضية مسلمي الأندلس.

يستهل المؤلف الفصل الأول بعرض عام لقضية الموريسكيين نفهم منه أن المشكلة كانت متعددة الجوانب: فهي دينية في جوهرها، لكنها تتخذ أبعادا اقتصادية وسياسية واجتماعية كذلك.
في ذلك الحين كان البحر المتوسط مسرحا للمعارك الحربية بين الأسطولين
التركي والإسباني، وكان المورسكيون يرون في القوة التركية عنصر تأيد لهم في
مواجهة البطش والاضطهاد الذي يتعرضون له باستمرار على يد المسيحيين
الأسباني، وعلى هذا فإن بعض الإسبان كانوا يرون في المورسكيين جواسيس محتملين
للأتراك. صحيح أن ماركوس بياروبيا يثبت - في كتابه "القضية المورسكسية من
وجهة نظر أخرى" – أنه لم تكن هناك خطورة فعلية للأسطول التركي على
السواحل الإسبانية، لكن في ذلك الوقت أشيع أن المورسكيين يتصلون بالأتراك،
بما أسهم في تكوين رأي عام للمؤرخين الإسبان مناهض للمورسكيين. بقي أن
تشير إلى أن السلطات الكنسية والسياسية كانت تعلم أن المورسكي لا يشكل خطرًا
حقيقياً على أمن الوطن، لكنها استغلت هذا الجانب لتحقيق مصالح سياسية.

هذا الجو المشحون أدى إلى صدور قرارات تحظر التحدث باللغة العربية
والكتابة بها، وتحظر استخدام الملامس المورسكسية التقليدية، وكان ذلك بمثابة
إحدى الشرارات التي أدت إلى اندلاع ثورة المورسكيين في البشائر عام
1568.

استمرت الحرب بين المورسكيين الثائرين والقوات المسيحية حوالي ثلاث
سنوات، وانتهت المعارك بهزيمة المورسكيين.

كان من الطبيعي أن تتبع كل تلك الأحداث في كتابات المؤرخين الإسبان,
وقد أدى الجو العام المناهض للمورسكيين إلى أن نتمكنا من الاستماع إلى صوت
واحد فقط هو صوت المتخصصين، أما الصوت المتعاطف مع المورسكيين فقد لزم
الصمت طوعا أو كرها.

على الرغم من ذلك فإن أحداً - حتى أكثر المؤلفين تعصباً – لم يفكر في
نفي المورسكيين كحل للمشكلة. أما بعد أن اتخذت السلطات الرسمية قرارها بطرد
المورسكيين فقد تحول المؤرخون الإسبان إلى أبواق دعائية لتبرير المرسم
الملكي، ولم يكن بمقدور أحد أن يتحدى الاتجاه العام والسلطة الرسمية.

10
هذا عن المؤرخين، أما عن الأدباء فنقول إن معظمهم أيد قرار الطرد بوضوح - لوبي دي بيفا - وإن من اعتراض عليه لم يكن بمقدوره الإعلان عن ذلك صراحة، وإنما بشكل يكتشف الغموض (ثيربانتيس مثلا).

أما الأشعار الشعبية لمجلة المؤلف فلا نجد فيها إلا مناهضة للموريسكيين ومدحا للملك الذي طردهم إلى إسبانيا. على أننا لا نظلم كثيرًا إلى ماضمور الأخرى الشعبية، ونشكر أنها تعرضت لإعادة صياغة فيما بعد، بما يتفق مع وجهة النظر الرسمية، ومن ثم فهي لا تعتبر بالضرورة عن جوهر الشعب الإسباني.

ظل الأمر على هذا النحو حتى جاءت فترة حكم فيليبي الرابع، حين بدأ المؤرخون الإسبان يتحدثون عن الآثار السلبية التي ترتب على قرار الطرد الموريسكيين.

في الفصل الثاني يتعرض المؤلف للتاريخ الموريسكي بعد مرور فترة غيـر قليلة على طرد الموريسكيين. لا يتحدث المؤلف عن القرن الثامن عشر بل يدخل مباشرة في كتابات المؤرخين خلال القرن التاسع عشر. لا يختلف الأمر كثيرا في تلك الفترة عن الفترة المعاصرة لوجود الموريسكيين في إسبانيا، فقد انقسم مؤرخو القرن التاسع عشر إلى فريقين:

- فريق يؤدي عملية الطرد بشكل واضح ويسوق لها المبررات، ويعتمد في ذلك على دراسات سابقة لا تتضمن وثائق.

- فريق اعتمد على وثائق مثل ليا (الذي درس وثائق محامى التقنتيش) ودانفيلا (الذي درس محامى المجالس والخطابات المتبادلة) وبرونسات (الذي درس الوثائق الموزعة في أرشيف فالنسيا) وخانير (الذي درس وثائق الأرشيف العام لسيمانكس)، وقد تراوحت مواقف هذا الفريق بين التأييد والمعارضة لقرار الطرد.

11
بالإضافة إلى الفريقين المذكورين اتجهت مجموعة من المؤرخين إلى
كتابة روايات أدبية تعتمد على أحداث حقيقية.

من حيث الاتجاه الفكري للمؤلفين يمكن أن نقسم هؤلاء إلى فريقين:

1- محافظون يدافعون عن الوحدة الدينية، ومن ثم يجدون مبررات لطرد
الموريسكيين (دانييل، برونات، مينيديث بلايو).

2- متحررون يتعاطفون مع الموريسكيين ويوجهون الانتقادات للسلطة
(خانير، أماندوز دي لويس ريوس، ليا، موميستو لافونتي).

من المهم هنا أن نشير إلى أن الاتجاه التحرري قد عززه حركة الاستعراض
التي قادت إلى دراسة الموريسكيين باعتبارهم آخر من يمثل مسلمي إسبانيا.
نضيف كذلك أن الحملة الإسبانية ضد المغرب كانت تجعل من الضرورة دراسة
الشخصية المغربية، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى مقارنة المواطنين المغربيين
بالموريسكي.

في الفصل الثالث يشير المؤلف إلى تراجع الاهتمام بالقضية الموريسكونية
في بدايات القرن العشرين. يتساءل يونيس عن سبب عدم صدور دراسة شاملة عن
القضية الموريسكونية، ويرجع على هذا التساؤل قائلًا إن المؤرخين كانوا يرون أن
الموضوع قد تم بحثه بشكل كامل ولم يعد هناك ما يمكن إضافته. هناك سبب آخر
يعود إلى واقع سياسي إسباني، فبعد انتهاء الحرب الأهلية عام 1939 كان هناك
اتجاه لتمجيد الإمبراطورية الإسبانية إيان فترة حكم عائلة أسترياس، ومن ثم لم
يكن من المناسب الحديث عن موضوع شائع يقلل من عظمة تلك الفترة. في عقود
الخمسينات من القرن العشرين حدث تغير في معالجة الموضوع، وذلك لسببين:

1- الاهتمام بالأفلاط والمهتمين بدايةً بشكلاً يهود المتصرين.
المعركة الفكرية بين كل من سانشيث ألفونسو وأميريكو كاسترو حول الواقع التاريخي لإسبانيا.

الجدير بالذكر أن أميريكو كاسترو يشكل في أن يكون التاريخ الإسباني قد روى بشكل صحيح، وهناك من يعتقد أن كتابه "إسبانيا في تاريخها" يعد بمثابة شهادة ميلاد للأفليات الإسبانية. من ناحية أخرى أدى ردود سانشيث ألفونسو على نظريات كاسترو إلى توسيع دائرة الاهتمام بالمورسكيين. على أي حال فقد تحولت الدراسات المورسكسية في القرن العشرين إلى عدم تكاد تكون له ملمسة خاصة، وقد تراوحت آراء المشتغلين بهذه الدراسات بين من يرى أن المشكلة المورسكسية صراع حضارات، وبين من يريد حصر المشكلة في إطار إقليمي ضيق.

لا تستطيع أن نؤكد - مع بونيس إيبارا - أن العقود الأخيرة من القرن العشرين يمثلان العصر الذهبي للدراسات المورسكسية، فقد نشرت خلال هذه الفترة دراسات مكيل دي إيبالاندا حول المورسكيين في شمال إفريقيا، ونشر كتاب كل من دومينغيث أورتيث وفنسنت "تاريخ المورسكيين: مأساة أفريقية" الذي يتضمن عددا من الوثائق الجديدة، بالإضافة إلى دراسات مهمة لمؤلفين آخرين.

أتصل هنا إلى نهاية عرض الكتاب وتبقى لدينا ملاحظة: ما نريد أن يستعرض المؤلف رأي المؤرخين الإسبان على مدى العصور من القضية المورسكسية، وهذا قد حدث بالفعل في الكتاب. كما نريد أيضا إما أن يكشف المؤلف بمجرد العرض وإما أن يعلق على كتابات المؤرخين بحيث يكون هناك فصل كامل بين ما يقوله المؤرخ وما يقوله المؤلف. لكننا في بعض المواضع من الكتاب نجد تداخل بين الأرمين، ولا نرى هل المتحدث هو المؤرخ القديم أم صديقنا بونيس إيبارا. لكن هذه الملاحظة الغامرة لا تقل مطلقة من مكانة هذا الكتاب الذي يعتبره الباحثون أحد المراجع الرئيسية لمن يريد دراسة مشكلة مسلمي الأندلس بعد سقوط دولتهم الإسلامية.
يبقى في النهاية أن نقدم جزيل الشكر لميغيل أنخيل بونيس لتعاونه في صدور هذه الترجمة العربية، والمجلس الأعلى للثقافة على تبنيه لهذا الكتاب الجديد في الدراسات الموريكسية.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

جمال عبد الرحمن

بني مجد - رمضان 1426
الهيوامش

(1) انظر ترجمتنا العربية للكتاب تحت عنوان "سلمو مملكة غرناطة بعـد عـام 1492" (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002).

(2) انظر ترجمتنا العربية لهذا الكتاب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (رقم 406 في المشروع القومي للترجمة).

(3) هذا بالضبط عنوان كتاب ألفه ماركيس بيانيوسكو وترجمته عائشة سبيلم إلى اللغة العربية، ونشره المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (رقم 856 في المشروع القومي للترجمة).

Darío Cabanelas "Estudio preliminar" a Pedro Longas: Vida religiosa de los moriscos, Universidad de Granada, Archivum, 1990, pp. XI-XII

(4) انظر دراستنا "تصدي سقوط غرناطة في الأدب الإسباني"، أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات الموريسكية تونس، الجزء الثاني، ص 185-186.

(5) من المعلوم أن القرن الثامن عشر في إسبانيا كان قرن جمود وضحالة، من حيث الإبداع الأدبي.

(6) أما من حيث النقد والكتابات غير الإبداعية فكان الإنتاج عاديا.

(7) انظر الترجمة العربية لهذا الكتاب الذي نشره المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (رقم 527 في المشروع القومي للترجمة).

(8) انظر ترجمتنا العربية لهذا الكتاب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (رقم 927 في المشروع القومي للترجمة).

15
مقدمة المؤلف

تعت مشكلة الموريسكيين واحدة من أكثر القضايا الملزجة بالإثارة في تاريخنا الإسباني، وهي دون شك عامل مهم لفهم حياة ومجتمع وديانة واقتصاد القرن السادس عشر في إسبانيا. من المحتمل أن يتساءل القارئ عن الداعي لصدور كتاب يعكس رأى المؤرخين على مدار القرون الأربعة الأخيرة فيما يتعلق بالموسيحيين الجديد من أصول عربية مسلمة، في الوقت الذي ما زلنا نجهل فيه إلى حد ما مظاهر حياة ومأساة هذه الأقلية.

من الممكن إعطاء إجابات عديدة ومتونعة لهذا السؤال الافتراضي. لقد تحولت دراسة الأقليات - بعد أن عانت لعقود طويلة من النسبات - إلى واحدة من أكثر الاهتمامات إلحاحا بالنسبة للمؤرخين في أثناء بدايات هذا القرن. إن كون الأقلية جماعة مهمشة - عرقيا وثقافيا - يعتبر أداة مثالية لفهم مجتمع بعينه في زمن ومكان محدد. يشعر كل جيل جديد من المؤرخين بالحاجة إلى مراجعة الماضي، ليضعنا بذلك أمام الأفكار والاهتمامات السائدة آنذاك. على جانب آخر فإن الموريسكيين قد عانوا حتى النهاية من الاضطرابات التي شهدتها إمبراطورية عالمية كانت تعش صراعات في جميع أرجائها وكانت قد بدأت في الزوال. إضافة إلى التغير في المفهوم الديني الكاثوليكي وفي شكل الدولة، وكذلك الضغف الاقتصادي الذي ساد شبه الجزيرة الأيبيرية. يلعب الموريسكي دورا فريدا في هذا الخضم، والمؤلف الذي يقوم بتحليل هذا الدور متفائل نظرة إلى هذه الجماعة بعينها وإلى المجتمع المحلي بها ونظام الحكم السائد في ذلك الوقت وفقا لمقدار الأهمية التي يمنحها لكل من العوامل المشار إليها. لقد عرف القرن السابع عشر...
بأي فترة أزمة أو كساء اقتصادية للإمبراطورية الإسبانية. إن طرد قطاع ريف من السكان يمثل تحديا أمام فهم تلك الفترة من الناحية الاقتصادية، كما يوضح لنا الأسس الفكرية للمؤرخ الذي يضطلع بمهمة تحليلها. أما آخر الإجابات الممكنة للسؤال المطرح سابقا، وهي في حقيقة الأمر الفكرة الدافعة لهذا الكتّاب، فهي حاجة علم التاريخ الإسباني إلى دراسات تاريخية وقوائم بئيلوجرافية، وقد حاولنا الإسهام في ذلك من خلال هذا العمل الصغير والمتواضع.

دائم ما يشير المؤرخون منذ القرن السادس عشر إلى المشكلة الموريسكية في الأدب. هذا وقد تمت دراسة هذه الأقلية انطلاقا من الرؤى المحافظة إلى درجة كبيرة، والتي يحكمها التعصب الديني وظاهرة كره الأجانب، وصولا إلى الليبراليين، ومرورا بأصحاب الفكر الماركسي والاقتصاديين. ويضعنا هذا الحدث أمام ظاهرة تطور الفكر الإسباني، على كل من العصرين الاجتماعي- السياسي والديني، موضحا نماذج المجتمع المختلفة التي سادت الحياة في إسبانيا.

إن عرض أفكار المؤلفين الذين تمت دراستهم من خلال الاستشهادات لم يكن قرارا مبنيا على نزوة أو رغبة في لعب دور الحكم. كان من الممكن أن يخرج هذا العمل في عدد قليل من الصفحات ويدعم بقائمة مراجع مساعدة، إلا أنه كان سيضحي عملا مجمعا بسيطا مصحوبا بحاشية موجزة عن المؤلف. كما سنبققد السمات الفكرية الخاصة بكل عمر، والتشكيكات النظرية والآراء المؤيدة والمعارضة لهذه الأقلية. إن المضامين الثلاثة التي قسم إليها التأريخ الموريسكي تتميز بعدة سمات، وموضوعات، وأراء مسبقة، وعمليات معقدة محددة تجعلها تختلف عن بعضها البعض. كل مؤلف يبنى فرضه على عدة وجهات نظر تعكس رؤيته حول إسبانيا والإسبان في القرن السادس عشر والزمن الذي يعيش فيه. ربما كان الملخص الموازج أكثر وضوحا، إلا أنها كنا سنفقد جزءا كبيرا من فكر وشخصية الكاتب. إن التعريف المسلم دون براهين لن يعدو كونه مجرد رأى مطروق بشوه وحيد من حقيقة الأمر. إن هدفنا ليس عكس سير الاتجاهات والمول
التاريخية المختلفة حول هذه الأقلية، ولكن تغيير العقليات التي تكونت حولها. إن نقل كم كبير من النصوص يمكننا من التركيز على الفترة المعبر عنها بصورة جذابة بالتصديق، كما يخول للقارئ استيعاب الطابع العام وهو ما كنت سأنتقده إذا ما قمنا بإجراء عملية إحصاء بسيطة. أعلم أن هذا المنهج سيعمل عملية القراءة، كما أنه منهك للغاية، بيد أن أُمرت بوعي تام عن الرياح والسحابة إلى الأمام، والعرض اللائق. إن إدراج الاستشهادات يستلزم جهداً مضاعفاً للتركيز، على الرغم من أنه قد يبدو على العكس من ذلك للوهلة الأولى. وعلى أحد الجوانب لا بد من أن نضع كل مؤلف في عصره والظروف المحيطة به. يضاف إلى ذلك العمل الذي سيطلب منه釈م النصوص حتى نتمكن من تركيز كل أفكار الكاتب في فقرات مقطعة.

إن مجرد الإحساس البسيط لتحول الموقف العام تجاه هذا الأمر على مر السنين يبدو إلى جهداً ضئيلاً إذا لم يتضمن النذر البسير عن الأحداث الرئيسية في حياة تلك الأقلية. هذا الهدف الثاني يمكن تحقيقه من خلال منهجين: إدراج المسألة التاريخية للموريتسيين في المقدمة أو عرضها على مدار العمل بأسره، وقد اختبرنا الطريقة الثانية. كل واحد من العصور المستعرضة يتم ببعض الجوانب المحددة للأقلية. إن مسألة تاريخ القرنين السادس عشر والسابع عشر يسيطر عليها فكرة الوضع الاجتماعي والديني للمسيحيين الجدد. حيث يعرض تحويلهم الزائف للمسيحية والمكانة الاجتماعية المتواضعة التي كانوا يشعرونها نظراً لأصلهم. كما يغض الطرف عن التحليل العميق للممارسات السياسية التي اتبعها ووضعهم في خضم الزخم الدولي الذي كان يشبه البروتستانت الإسبان. على العكس من ذلك فإن مؤرخ القرن التاسع عشر يظهرون توجههم للهجوم على - أو الدفاع عن - النظام الملكي والسياسة الاجتماعية والدينية التي قام بتطبيقها. حيث رأوا في وجوه جنود يشعرون سوياً فرداء قدم عرقاً انعكاس للحرب بين عالمين متتافرين يفصلهما البحر المتوسط. حيث يبدأ الوضع الاجتماعي والرسم التخطيطي الأولى.
للممارسات الثقافية للأقلية في الاتجاه. وقد ظهرت نزعة واقعية تجاه تقهم
العواقب الاقتصادية المترتبة على مرسوم الفرد الصادر عام 1690. هذا وملل
القرن العشرين العصر الذهبي للتأريخ المورسكي، حيث تجري دراسة متأنية
لجميع مظاهر حياة المسيحيين الجدد ويتائر إليهم أنهم ضحايا ظروف مجتمع
معقد أكثر مما عكسه أسلافهم في القرون المنصرمة. يتم تأمل أدب المورسكيين
وأساليبهم البدنية ومراسمهم الدينية من وجهة نظر الحضارة الإسلامية المنحدرة
في شبه الجزيرة الأيبيرية. إن الدائرة المنتظرة تفرض سيطرتها على عالم من
المزارعين والحرفيين ليندمجوا في العالم المتشابك الذي يضم الفئات المتوضعة
خلال القرن السادس عشر في إسبانيا. السلالة، النزاعات، والدين، وال قريب،
والصراع على الهيمنة السياسية والنفسية الإقتصادى هي بعض الموضوعات التي
اختلطت في أثناء تلك العملية.

أرى بكل تواضع أن محاولة جمع كل ما نشر حول هذا الأمر في هذا
الكتب لهو إسهام متواضع في التأريخ المورسكي. وأنا على دراية أن هناك
فجوات في المراجع تسبب فيها بعدها الجغرافي ونقص أو عدم اكتمال كتاب
المراجع السنوي، حيث تم الانتهاء من القوائم بغرض النشر في يناير من العام
1882. ومنذ ذلك التاريخ وحتى الآن ظهرت مجموعة من الأعمال لم يمكّن
إدراجها في هذا الإصدار.

وأخيراً أود التعبير عن شكري لكل من ساعد بطريقة أو بأخرى، على
إمام المشروع. وأخص بالشكر خوسيثيبيدا أدان
Alcalá Thomara، وخوان بيريث دي توديلا
Jose Perez de Alcala Zamora، وخوسيه أورد أدان
Jose Cepeda Adán و خوسيه
Tudela

20
الفصل الأول
من حرب غرناطة (1568-1571) إلى الطرد (1609)
خليل الموريسيكي كما يراه معاصروه

1-1: تأملات عامة

تعد المشكلة الموريسكية، سواء حرب البشريات أو الطرد، من أكثر الموضوعات المتكررة في آداب تأريخ القرنين السادس عشر والسبعون عشر. مثل المسيحيون الجدد قطاعًا عريضة من السكان في الواقع الإسباني خلال العصر الذهبي وهو ما يفسر هذا الاهمام، إلى جانب هذا العامل علينا أن نذكر الظروف الدولية التي عاصرتها الإمبراطورية الإسبانية آنذاك (حيث امتد النفوذ التركي بصورة خطيرة في الجانب المسيحي من البحر الأبيض المتوسط) والوضع الداخلي لأفراد الأقلية وتركيبة المجتمع الغربي في عهد فيليب الثاني.

ظهر لفظ "الموريسيكي" بعد مرسوم التنصير القهرى الذي أصدره ثيسيروس في 1502. تضم هذه التسمية جماعات متعددة في مواقف مختلفة. بدأ Cisneros ذي بدء هناك موريسيكي مملكة أراغون، مع الفريق بين أهالي أراغون من رعايا سادة الإقطاع الذين عاشوا في المناطق الخصبة لنهر الإбро والمالمسين، وهم جماعة متجانسة ذات نفوذ في مملكة توريا القديمة. أما القطاع الثقافي فيتضمن الموريسيكي القشتاليين، ممن تعود أصولهم إلى المدجنين، والذين اندمجوا بصورة شبه تامة في نمط الحياة المسيحية وتمتعوا بقدر وافر من حرية الحركة (1).
المجموعة الأخيرة مكونة من موريسكي أندلؤسيا من ظلوا يعيشون في مسقط رأسهم بعد غزو غرناطة في عام 1492. وهي جماعة مسلمة إلى أبعد الحدود من حيث عاداتها وعقائدها ونمط حياتها. سوف يثور الغرناطيون لأول مرة في عام 1500، كنتيجة طبيعية للسياسة التي اتبعتها تينيروس.

كان موقف الموريسكيين واضحا في الصراعات الداخلية التي نشبت خلال السنوات الأولى من حكم الإمبراطور. حيث اتحد القشتاليون مع البطريركية المدنية في حرب الجماعات(1)، أما الغالنسيون فقد وقعلا إلى جانب سادة الإقطاع في أثناء قتال عناصر المقاومة. لفهم هذا السلوك لابد من أن نتذكر أن موريسكي فالنسيا قد شكّلوا قاعدة النظام السيادي الإقطاعي، لذا فقد كانوا يعاملون بطريقة مختلفة عن المسيحيين القصدي(2).

خلال حكم الإمبراطور كان التسامح أساس التعاضش بين الثقافتين المتناقضتين. على الرغم من إصدار قرارات تمنع تطبيق عادات الموريسكيين وأنماط حياتهم فإن هذه المراسيم لم تنفذ قط.

تغير الموقف الدولي مع وصول فيليبي الثاني الأثرك ومسلموا شمال إفريقيا في تهديد غرب البحر المتوسط خلال عقد الخمسينيات. بدأ التفكير في الموريسكي على أنه "جاسوس" بشكل خطرا على الإمبراطورية الإسبانية(3).

في هذا المناخ المشحون بالعداوة تجاه الموريسكي صدرت مراسيم كتلك المعلنة في عام 1567 والتي حظرت استخدام الملابس واللغة العربية وهو الأمر الذي تحول إلى واحدة من الشرارات الرئيسية التي أشعلت حرب غرناطة (1568-1571). أخذ التفاعل السلمي بين المسيحيين القصدي والجديد بنهر شيشان فشيئا، فأضحى كل يوم أصعب من سابقه. يمكن أن نعد هذا الصراع أحداً من

22
أشرس المواجهات التي شهدتها تاريخ إسبانيا فهو إضافة إلى كونه حرباً أهلية، كان موصماً بالتعصب الديني من كلا الفريقين. حيث تقابل جيشان مختلفان بإستراتيجيتين متعارضتين. استخدم المسيحيون القدامى "النظام العسكري الإسباني" الذي أبلى بلاء حسناً في الحملة الأوروبية. أما الموريسكي الذي لديه معرفة تامة بالمنطقة فقد مال لتطبيق إستراتيجية حرب العصابات والضربات الخاطفة الغاضبة. فهي حرب بين ثقافتين: المسيحية، التي تود فرض نسmland حياتها على جميع المزارعين، والمسلمون الذين تدافع بأستماتة ضد خطر قنانة الوشيك.

يتمثل اغتيال ابن أمية Aben Humeya على يد أبناء دينهاته انتصاراً لجناح الحركة الأكثر تشتداً. وهذا ترسن الثورة قطاعها الأكثر تعصبًا. يغطي خوان Juan Regla ريغلاً، في محاولة لتفسير هزيمة الموريسكيين في هذه الحرب، أهمية أولى لقرار ترحيل موريسكي مرج غزّنطة، والذي حرم أهل الجبال المسلمين من التوء، كما يجب أن نضيف إلى ذلك الأزمة المعيشية التي شهدتها قشتالة في عام 1571. لقد قضت الحركة على نفسها بمغالاتها في المطالب فأضحى الأمر كما لو أن هزيمة الأقلية مردها إلى مرصد تأكّل كرات الدم البيضاء(1).

روى ثلاثة مؤرخين هذه الحوادث، أولهم دييغو أورتيسو ميندوتا Hurtado Mendoza وذلك في كتاب صغير تحت عنوان "حرب غرناطة". كان له انتشار واسع آنذاك. تم رواية الأحداث على طريقة Táctico y Saustio التي تاتيو و سالوستيو غير موضوعية، ومبهمة ومغمرة في بعض الفقرات. ينقل لنا لويس دي مارمول كارباجال Luis de Mármol Carvajal من خلال كتابه "تاريخ ثورة وعاقـب موريسكي مملكة غرناطة" كما كبيرهما من البيانات الخاصة بوصف moriscos del Reino de Granada.

23
الأجناس البشرية مبرزا تميزه بحس واقعى (وهو الكاتب الذي حظى بأعلى مراتب الإطراء من قبل مؤرخى المشكلة الموريسكية اللاحقين). وأخيرا هناك "الحروب الأهلية في غرناطة" لخوسيه بيريث دى غينيس بيريز دى هيتا (Ginés Pérez de Hita) 1983، وهو نص روائي للثورة ولا يمكن الرجوع إليه كمصادر تاريخي. 

دلال الكتاب الثلاثة على اتجاهاتهم المؤيدة والمعارضة للموريسكيين، بيد أنهم لم يتعرضوا على الإطلاق لحُذُر (كما يصف أحد المؤلفين الطرد) كفتي الموريسكيين.

بمجرّد هزيمة الثوار تم التفكير في توطينهم في قشتالة لتجنب أية مخاطر مستقبلية. يعتقد ف. براودل أن نفي موريسكي غرناطة إلى قشتالة لم يسفر عن شيء سوى نشر المشكلة في مناطق لم تكن أثقلها قد تأثرت بها. 

أصبح التعابيش أكثر صعوبة وأزدادت حدة التوتر بين المجتمعين، كما يتضح من عدد الموريسكي الكبير الذين قدموا إلى محاكم التفتيش. يمكننا أن نستشهد في الإطار نفسه القرار الذي أمر بتجريد موريسكي فالنسيا من السلاح في عام 1575 والثور الذي نشب بين الموريسكيين والرعاة الجبلين في أراغون في عام 1585.

ينتهي هذا الملخص شديد الإيجاز للاضطرابات الرئيسية بين المسيحيين والمسلمين بطرد الأقلية. نشر المرسوم الأول في فالنسيا في 22 سبتمبر 1609 وانتشر في الأشهر والأعوام اللاحقة إلى مناطق أخرى من شبه الجزيرة. الأسباب التي دفعت زعماء نافار وطرد قطاع عريض من السكان ليست واضحة. برى ريغال أنه في خضم المعضة الشائعة في هذه الفترة، جاء طرد الموريسكيين نتيجة لاستبدال سياسة فيليب الثاني الاستعابية بتعليمات دوق ليرما الإقصائية، حيث استخدم "ضغط الباروك ليحل بشكل جذرى مشكلة التنافر بين الدولة والأقلية المشتركة" (1).
نشر كل المتخصصين ممن كتبوا حول هذا الموضوع في القرنين السادس عشر والسابع عشر أعمالهم بعد عام 1609 (وهو ما يدل على أن طرد الأقلية كان وسيلة لم توقعها الناس آنذاك) وكان غرضهم هو التمرير الإجراء الذي لجأت إليه السلطة المركزية. طرح افتراضان متعارضان حول الطرد، لخصّتهما مريثيدس غارثيا أرينالد:

"موقف مادح تحلي به الكتاب الإسبان الكاثوليك المحافظين من المعجبين بفيليب الثاني (4)، أو ما أطلق عليه بـ"الإيمان". حيث يصورون الموريسكيين على أنهم خطر دائم وكيان متمرد ولا يمكن استيعابه ودائما ما يسبب سلسلة من الخلل ويتآمر على سلامة ووحدة البلاد. وهم يجتهدون للبرهنة على عدالة ذلك الأسلوب الذي عاد يدفع كبير على المستوى العام وكان يلقى تأييحا شعبيا حاشدا. أو أنه كان على الأقل أمرا لابد منه.

إن المنتقدين هم بصورة أساسية كتاب أجانب معادين لحكم عائلة أوترسياس Austrias بشكل عام والتحريريون والاقتصاديون القرن الثامن عشر، أو ما يسمى بـ "اليسار").

وهم ينقدون الطرد تماما حيث يرون فيه وسيلة قاسية وغير إنسانية أو ضرورية وهو العامل الأساسي لتدهور إسبانيا، حيث حرمته الدولة من واحد من أكثر قطاعاتها السكانية اجتهادا." (11)

أثار قرار طرد الأقلية اهتمام من عاصريه، وهو ما يظهره العدد الكبير من الأعمال التي نشرت حوله، وهي قليلة أو حتى معدومة القيمة من الناحية الأدبية إذا ما قورنت بالأعمال الأدبية التي تناولت حرب غرناطة. ويمكن تقسيمها، وفقاً

(4) الملك الذي أصدر قرار الطرد هو فيليب الثاني، أما فيليب الثالث فقد عاد عليه البعض التسويق وعدم اتخاذ ذلك القرار. (المراجع)
للعلومات التي تمدنا بها، معتبرين تأثيرها على الكتبات التاريخية اللاحقة لها.

والمعلومات التي زودنا بها مؤلفوها كمرجعية إلى:

أ- كِتَابات عامة، تعالج المشكلة الموريسكية باحة عن جذور الأقلية والديناء Bleda التي تمارسها، وسنضمن هذه المجموعة أعمال بليدا وفونسيكا وغواسدالاخا إتو خابر Aznar Cardona Guadalajara y Xavier

ب- كِتَابات محددة أو متخصصة، وهي إما اهتمت بتحليل مظاهر جزئية من الطرد، أو هي كِتَابات شعرية مادحة لتشجيع القرار الذي اتخذه فيليب الثالث وشجاعته.

تميز أُرصُد تلك الفترة ببطابع التبرير، لذا فلا يُطرح أي من هذه الأعمال نقدا للسلطة المركزية. حيث اعتبر الجميع هذه الوسيلة عادلة وضرورية ولا غنى عنها من الناحية الدينية. فبفضلها لدينا بلد أجمل منه الملحدين والمرحتون والخونة - بالمعنى الدقيق للكلمة - وقد اتفق كل المؤرخين على إبراز فتح غزو ميناء العرائش المغربي على أنه هبة من الرب في مقابل التضحية التي قام بها العاهل الكاثوليكي. بعض الكِتَابات تضمنت صفحاتها الحجج التي تعارض الطرد ولكن غرضها بعيد كل البعد عن الاعتراض على هذه الوسيلة أو حتى البحث عن شيء من التسامح، حيث يهدف كل منهم لتثقيف الآخرين.

على الرغم من ذلك فقد ظهر في هذه اللحظة عيناه أول نقد لهذه الظاهرة، إن كان على استحياء. بعد موقف بيدرو دي ليون A. Domínguez Ortiz أُرصُد أسيرة أوسترياس Crisis y decadencia de la España de los Austrias مثالا جيدا وكافيا في وقت كان الضغط الاجتماعي - شبه العالم - يمنع الترويج.
لأية فكرة تعارض الروح السائدة. يقوم الكاتب البيسوعي بالإطراء على الموريسكي ويساوى بينه وبين المسيحي الذي استوطن البشرات ١٤٠٠. كان كل منهما ينتمي لمكان مختلف، ولكن عاداته وكأنهما، على وجه الخصوص أناس أشبال نصوص، أتراك لم يكونوا لياعنوا على هذا النحو في الأرض التي ولدوا فيها قتلة ومجرمين ذو عادات شرسة وغير مهذبة، وهم كسائر وأساليهم كربية في كونوا حتى يتركون ثمار جبناتهم للتضحية، حيث قاموا بسرقتها قبل أن تلوها ١١٥.

من البسير تعقب تطور العقلية الإسبانية بالنسبة للموريسكيين في آداب القرن السادس عشر. هدفنا ليس التركيز على هذه القضية، ولكن لا يسعنا سوى الاعتراف أنّ فضل هذه الشهادات أمكننا التعرف على خصائص وعادات هذه الأقلية ١١٦.

نجد الإشارة الأولى، وفقا للتسلسل الزمني، لدى عالم الآداب القديم في أثناء عصر النهضة الإسباني الأول ألبارغوميث دى كاسترو، حيث يخصص للأمر بعض قصائد باللغة القشتالية تحت عنوان "موشحات الموريسكيين" Coplas de moriscos:

"الولادة، الموت، الغرس، الحصاد

أمور طبيعية

أما الكفاح والانتصار

فهما من أمور السلطة

يقولون إنه مكتوب على أبواب فاس

إلى أين يذهب من فاس يخرج؟

من يبيع القمح، ماذا إذن يشترى؟" ١٨٧.
أما فرانسيس دو تونيسا، فقد تفوقه بكثير من حيث Francesilla de Zúñiga في إشارة إلى Carlos V في معركة بلاط كارلوس الخامس.

تشدّدته تجاه الأقلية، فيذكر مهرج بلاط كارلوس الخامس، الموريسكيين الفالنسين: "حينئذ فهدت ملكة فانيلسيا، في أثناء زمن التغييرات التي عمت إسبانيا، تم تحويل العديد من المسلمين تلك المملكة إلى الديانة الكاثوليكية، ولكنهم أنسا منافذين وفاجرين وبلاطنة رحلوا مع أزواجهم إلى الجبال حتى ازدادت قوتهم وأخذ عددهم يزداد يوما بعد يوم... لما كان إلهنا يتزوج المتمردين وقساة القلوب في الضلال، فقد وجدناهم يفضلون الهدى. (14) هذا الشعور الثائر يمكن نسبته إلى التعصب الذي ساد في النصف الثاني من القرن السادس عشر أكثر من قلة الضمير لدى الإمبراطور ومعاونيه.

حملت حرب غرناطة كتابنا على اتخاذ موقف أكثر تشدداً مع الأقلية:

- أرأت الطائفة الزنديقة
- في قمم الجبال الوعرة
- وهي صاعدة للتهديد
- بريق السماء الأزرق
- معتمدة على الكثرة والجرأة

هناك، حيث لا مجال للخوف

يفعلون السوء مطلقين الكبش(14) ويبدوان الهجوم

ويحدث أثر عجلاتهم حيث تعسكر قواتهم

دويا بحاكي الرعد الشديد

(14) الكبش: شعب حربي كانت تستخدم قديماً. (الترجمة)
وتبقى في آذانهم صيحات الانتقام
ولكن بعدما ظهر
سليل عائلة أوستريا في الجبال الوعرة
شل الخوف حركة
الأراضي المعادية
وانتهت هكذا الحرب بأسرها.

F. de Herrera
ف. دي هيريرا

في أثناء النصف الثاني من القرن السادس عشر وبدايات القرن السابع عشر، لم يجتهد أي من أدبائنا لمناصرة الموريسكيين. يأسف الكاهن لويس دي ليون للتصبير القهرى الذي فرض على الأقلية ويعده خطأ:

أينما حل الموريسكيون الكفرة

يلحقون الدمار بألف قرية

أما نحن فمنحناهم

عنوا أعمى

وفي مياه التعميد المقدسة غمرناهم

فحاقينا الضرر.

ولكن بعد لوبي دى بيبا أكثر Quevedo وكبيبيدو Lope de Vega الشخصيات المنتقدة للموريسكيين. ففي عدد كبير من أعماله يجعل لوبي الشخصيات تنتقد الموريسكيين. وتصلح هذه الأبيات القليلة كدليل على ما سبقه.
حيث يمتد فيها فيليب الثالث على القرار الذي اتخذه بطرد الأقلية:

من فرط طهارته ونقائه
ظهر إسبانيا دفعة واحدة
محقاً بسلاحه ما لم يقدر عليه
أي من الملوك منذ آخر عاهل قوطى
فطرد أخيراً
من تجرعوا مياه التعميد قسراً
ولم ينفقوا أية أموال
على النبيذ ولحم الخنزير والبراءة الباباوية(11).

يرز لنا كيبيدؤ كرهه للمسيحيين الجدد في عدد كبير من مؤلفاته سواء كانت
لثرا أو شعراً: "... وهكذا فإن ميندوتا Enríquez وإنريكيث Mendoza وغوتشمان Guzman
и ألقاب أخرى شبيهة انتهت كل من فتيات البغاء والموريسكيين
واعتقدوا أنها خاصة بهم مثل مركزية الكلاب وفرطبنة الخيل وإمبراطور
الغرباء..."(12) ولا يفوت فرصة ازدراء الأقلية في "حياة السيد بابلوس المحتال
Vida del Buscón don Pablos
بساعة، وصلنا في منتصف الليل إلى خان بيبيرو المشنو، كان صاحب الخان
موريكسيا ولصا (لم أرى في حياتي كلباً وقفاً معاً في وقائع ذلك اليوم)..."(13).

روايات الصالحية مليئة بإشارات عن الموريسكيين حتى إن أبطال بعضها
ينحدرون مباشرة من مسيحيين جدد كما في "ابنها القيادة" Vicente
Salas Barbadillo لسالاس بارباديلو
Celestina Vida del Escudero
celestinaEspinell
ففي عمله "حياة الوصيف ماركوس دي أوريغون" Espinell
يعرض عددًا كبيرًا من الموريسكيين في فترات الاستراحة من الثامنة إلى الرابعة عشرة ويساء معاملتهم جميعًا.

تتفق كل من الآداب الشعبية والمنتقفة في النوجه. تؤيد ماريا دي لا كروث غارثيا ديل إنترنيا María de la Cruz García de Enterría هذا الرأي: "لن نجد في شعرنا الشعبي سوى الآراء المناهضة للموريسكيين وامتداح العاهل الذي أمر بطردهم. لأن ما عكسته الكتابات المتفرقة هو فقط الشعور بالكره نحوهم (42)."

المؤلفون البرتغاليون أيضًا قاموا بإمداد الطرد، على الرغم من بعدهم عن بهذا المشكلة:

"ونظراً لأن هذا الطرد الضروري والموفق نتج عنه أيضاً زيادة ومغامرة كثيرة لصاحب الجلالة إذا فإنا نهدي هذا العرض الذي نقدمه تحت السماء الواسعة على سبيل العفان والتقدير (5)."

يتفق بعض محكمين الأكثر شهرة في الرأي مع المؤرخين والأدباء. يفيد القرار الملكي لأن الموريسكيين Sancho de Moncada سانشو دو مونكادا بوصفهم أعداء لإسبانيا فقد تسببا في الكثير من الموتى (كما قال جلالة الملك في مرسوم الطرد الملكي) إذا فإن تحقيقه يعد مكسبًا للأمة الإسبانية (11)."

بيد أن هؤلاء المحكمين أنفسهم هم من سيعمون بانتقاد الطرد بعد مرور بضع سنوات. بعد "حوار الممالك" لفيرناندودي Conversación de Monarquías نابريتي Fernando de Navarrete أرى مثالاً جيداً على ذلك حيث يؤكد فيه: "... أرى بهذه المناسبة أنه لو لم يتم الإشارة للموريسكيين في إطار من الإساءة، فإنهم جميعًا كانوا سيضعون للعقدة الكاثوليكية. إذا كانوا قد شرعوا بالكره والرهب تجاه المسيحية فذلك لأنهم وجدوا أنفسهم محطرين ومحترقين ودونها أمل في محو وصمة أصلهم الوضع مع مرور الزمن (32)."
يقدم ثوبانطس شخصيات وإشارات خاصة بالموريسكيين في أعماله.
ورأيه فيهم سبتغير مع مرور السنين، فنجد نقدا شديدا لهم في "حمامات الجزائر":
Coloquio de los Perros و "حوار بين كلبين" de Baños de Argel

بيرغاثا: يا للأشياء التي يمكن أن أحكمها لك عن هؤلاء الموريسكيين
الأوغاد! كل ما يشغله هو جمع النقود وحفظها وهم من أجل ذلك يعملون
ولا يأكلون... ونظرا لعملهم الدائم وعدم إنفاقهم قل فهم جمعوا أكبر كمية للنقود
موجودة في إسبانيا. إنهم بمثابة الخزانة بعثتهم وختستهم وذاتهم: حيث يجمعون كل
شيء ويحفونه ويقومون بإبالتلعه.(12)

في "الكيكوثي" تم إعادة طرح القضية. فظهر الموريسكي ريكويتي في
رواية ليس أمرًا اعتباطيًا، حيث يحاول ثوبانطس
الألقية بأسيرها. وهو لا يزال ينتقده لشتهه (عودة الموريسكي سببها رغبته في
استخراج صندوق مملوء بالأعمال)، إلا أنه ينظر إليه بطرق تناقض
رؤيته الأولى. يرى أوليفير إن ثوبانطس يوقظ الشعور بالرفعة تجاه ريكويتي
باعتباره رمزا لكل الموريسكيين. بعد اتحاد غريغوريو،
وأنا فيليكس Gregorio برهاينا على أن ثوبانطس يرمي لتوحيد السلافتين... صفح الوالي بمثابة
صفح عن كل الموريسكيين الإسبان. تتم رؤية ريكويتي من خلال نافذة بلورية رحبة
إنسانية، وهو يستخدم الجزء للتعبير عن الكل(3).

في هذا الأمر،
Calderón de la Barca

سيختلف كالديروس دى لا باركا
وفي أمور أخرى، عن أبناء ملته. حيث نشر مسرحية فكاهية معظم شخصياتها من
الموريسكيين وتدور أحداثها خلال حرب غرناطة. يعد "الحب بعد الموت",
أبرز توضيح لتعاطفه مع الأقلية، حيث يمكن اعتباره
الصديق الصدوق للمتمردين.(3)
مع حكم فيليب الرابع، تتغير عقلية المؤرخين والأدباء وفنانات之类.

الشعب جذريًا في نظرتها للمشكلة المورسكية. حيث بدأ اعتبار قرار عام 1609 حجراً يقفل ضمير الإسبان، حتى إنه تم اعتبار نفسي ما يقرب من 5000 م من قاطني شبه الجزيرة عملاً ليس عادلا ولا ضرورياً.

١٠١٠: التأريخ خبر غرناطة

١٠١٠: دييغو أورتادو دي ميندوتا

تعد حرب غرناطة أكبر الصراعات الداخلية التي شهدها حكم فيليب الثاني، وهي دون شك أخطرها. حيث تمددت مملكة غرناطة نظرًا للقرارات الصارمة التي أصدرت في الأعوام السابقة لعام 1568. سيكون دييغو أورتادو دي ميندوتا مشاهداً وبطلًا - إلى حد ما - في الأحداث التي يرويها. ولد في غرناطة حوالي عام 1500(٣٣)، في كنف أحد فروع عائلة ميندوتا Iñigo النبيلة ذات النفوذ(٣٣). كان الإبن الثاني للسيد إنييغو لوبيث دي ميندوتا María de Pacheco من ماريا دى باشيتو López de Mendoza خلال حكم الإمبراطور شغل منصب سفير في لندن وفلاندريس والبنديقية ومغتش ملكي في مجمع ترينتو الديني. في ضوء إخفاقاته المتكررة قام كارلوس الخامس، الذي كان وقتئذ في بروكسل، باستدعائه وإرساله إلى شبه الجزيرة. في عام 1569 فعل شيئا ما في بلاط حاكم عائلة أستوريا الجديدة، وقد حرك وحبس لمدة ثمانية أشهر في لا موتا دي ميدينا وتم نفيه في السنة عينها إلى غرناطة. امتدت إقامته في المملكة الناصري القديمة حتى عام 1574 عندما عاد إلى مدريد حيث توفي.

كتب دييغو أورتادو دي ميندوتا "حرب غرناطة"، وهو عمل تمثل صياغته بأسلوب النهضة الكلاسيكي الذي أثرت فيه أولى مظاهر Guerra de Granada.
الباروك الوليد. ولكونه عالما بالآداب القديمة نجده يستخدم نموذج سالوستيو وثانيتو Salustio y Tácito حيث يروى الأحداث بلغة فصيحة وأنيقة وواضحة. سوف ينشر هذا التأريخ في لشبونة في عام 1626 إلى الأصل (304)، بيد أن المؤلف الأصلي انتشر سريعاً بواسطة النسخ التي قام بها الكتبة (305) والتي تم الاحتفاظ بعد أكبر منها. القصة مسرودة في أربعة كتب لا ترتبط بينها أي علاقة. وهو الأمر الذي فسره فاندال Pfandl متعلما بأن توفي ميغونثا في مدريد عن عمر يناهز 72 عاما. يعنى إلى هذا الأمر غير المعتاد عيبا كبيرة بعمل خاصة وجود العديد من الفجوات وقلة التناغم بين الأجزاء وبعضها. عندما أضحى للمؤلف العديد من النسخ افترق إلى البصمة الأخيرة لصاحبه، كما أن أجزاء منه تم انتقالها والتي تتسع بشكل أكبر في سردها دون أي ضمير (306). في السنين الأخيرة واجه هذا العمل بعض الانتقادات من مؤرخين القضية الموريسكية. حيث يؤكد أ. دومينغيز أورتيث: "إن "حرب غرناطة" للسيد دييغو أورتادو ميغونثا مثال للإيضمار والضمنية الأدبية والسياسية في أحد الأعمال الكلاسيكية في التاريخ الإسباني.\\(307\\) خوليو كارو جواد يشيد به في النظم الأخرى: "...كتاب السيد دييغو أورتادو ميغونثا الملء بالحكم حصد الكثير من المديح والإطراء، إلا أنه في بعض الأحيان يصبح غامضاً وكاملاً للحقائق.\\(308\\) نحن بعيدون كل البعد عن محاولة نفي هذه الانتقادات ولكن بإمكاننا محاولة تفسيرها من بعض الجوانب. فميغونثا في القلم الأول تربطه صلة قرابة بماركيز مونديخار ولذا فإن كاتبه كان مجارا على الحفاظ على السمعة الطيبة لعائلته\\(309\\). وفي المقام الثاني نراه يبرز تعاطفاً واضحاً للغاية تجاه الموريسكيين (وهى صفة ثابتة مميزة لعائلة ميغونثا) كما أنه لا يسعنا أن ننسى أنه كان منفياً بناء على قرار من فيليب الثاني. لطالما كان الفشل حليفه في حياته العامة، ولذا فمن الطبيعي أن نتخيل حال أورتادو ميغونثا المستاء والحائض لما آل إليه في آخر أيامه.
نظراً لتلك العوامل نجد انتقاد السلطة الملكية - لما اتبعته من سياسة استيعابية - أمراً كابتاً على مدار العمل. لم يكن هناك العديد من الانتقادات آنذاك لذا كان يمكن للموريسكيين عدم الوقوع تحت طائلتها، ولم يتواجد الكثير من المجرمين بالقدر الذي يمكنهم من الإفلات من العقاب، بيد أن الموريسكيين كانوا يملكون المال ثم جاء آنذاك جشعون نقلوا الدولة من حالة الأمن إلى الفجلك ومن الطاعة إلى عدم الثقة. وقد خاصة فيما يتعلق بالجنود والنقلاء الذين حملوا على عاتقهم قيادة الحملة عسكرياً.

كانت الحملات في غزارة ناقصة ونقتصر إلى التنظيم حتى إن المرء لا يعلم هل يبقى بالداخل أو يغادر إلى مكان آخر، ولكن أكثر صور الفوضي حدثت عندما أمر الملك بمعاقبة جنود ماركيس بيليت بحبس وقد عمل السيد خوان على تنفيذ الأمر بيد أن المساعدين المسلمين تعبوا من تنفيذ الأوامر تماماً كما ملك السيد خوان من إعطائها - نظرًا لقلة العائد ولكي لا يضحى دونما جنود على الإطلاق - فتحرر بالصمت.

وهنا يمكن الحديث عن وجود اتجاه معاد للفيليبيين، وهو ما يمكن للمصر أن يستنبطه بمفرده بالرغم من عدم التطرق إليه في العمل، حيث نلاحظ التركيز على شخصية الملك الحكيم في مقابل الإشادة بشخصية كارلوس الخامس على مدار العمل: "إن هدفه هو الكتابة عن الحرب التي شنها ملك إسبانيا الكاثوليكي السيد فيليبي الثاني ابن الإمبراطور كارلوس الذي لم يهزم قط". أما خوان سليل عائلة أوستريا فقد تلقى معاملة أفضل: "قد أكد الأفراد بصورة منظمة. بالنسبة لنا نحن، ممن شهدنا حملات الإمبراطور، كنا نرى في الأبن بصورة حببة لحماسة والسدة وتأهيبه. يضاف إلى ذلك رغبته في التواجد في جميع المواقف وخاصة عند مواجهة العدو.

35
على النقيض من ذلك نجد أن شخصية فرناندو بالور
- ابن أمية - قد استولت على اهتمام كاتبنا، كما يقع الكثير من اللوم على عائق
السيد ديجو وذلك للرؤية الرومانسية التي تبناها عن الزعيم الغربي. بيد أن أكبر
نجاحات المؤلف هو تحديد وضع هذه الحرب على الصعيد الأوروبي: كانت
الحرب بالنسبة لهم تمثل وضع الديانة المسيحية، إضافة إلى الانقسامات بين
المحلدين والكاثوليك في فرنسا، والثورة المشتعلة في فلانديس، والشكوك الموجودة
في إنجلترا، والهولنديين الفارين إلى ألمانيا للمطالبة بعودة أمراءهم... فكانت هناك
المخاوف تجاه إنجلترا من أحد الجوانب، وكذلك القوات التابعة لكالفينيوس في
فرنسا، كما ظهرت بعض الشكوك المتعلقة بأمراء ألمانيا، بالإضافة إلى النوايا
الإيطالية وقد كان الجميع يبني قدرًا من الحذر. فالأسباب الدينية التي كانت وراء
ثورة فلانديس هي عينها الموجودة لدى الفرنسيين والإنجليز والألمان، كما أن
الشكاوى المتعلقة بالضرائب والجزيائر - على قلتها - كانت مشتركة بين جميع
الرياض، على الرغم من المعاملة الجديدة التي تلقواها... (٤٤)

يذهب أورتادو دي ميندوتا إلى أن المشكلة التي وقعت في عام ١٥٦٧ هي
التي أطلقت شرارة الحرب، وهو يطرح الأمر على النحو التالي: كانوا كاليبيث
خاضعين للقعى الذي مارسه عليهم رجال من الأمة والخاصة، كانوا هم أيضًا
بمثابة العبيد. كانت زوجاتهم وأولادهم وأملائهم وأنفسهم تحت تصرف أعدائهم،
ولم يكن لديهم أدنى أمر في التحرر من نير تلك العبودية لقرون آتية. حيث عانوا
من الطغاة المستبدين الذين كانوا جيرانهم، كما عانوا من قيود جديدة وضمانات
جديدة وكذلك حرصوا من اللجوء إلى مناطق السيادة التي توجه إليها المدنان في
الحوادث أو جرائم الأخذ بالثأر - وكانت بالنسبة لهم أمرًا مبررا - طلبا للحماية،
وكانت محرومون من الأمن الذي كان يمكن أن توفره الكنايس، لأن الكنايس كانت
تأمرهم بأداء الصلوات وتعاقب من لا يفعل ذلك بغرامات مالية، وهكذا أضحى

36
الموريسيون أداءً لإثراء القساوة... كانوا يعاملون كالمسلمين بين المسيحيين، مما كان يؤدي إلى احترامهم، وكانوا يعاملون كالمسيحيين بين المسلمين مما كان يؤدي إلى الشكل فيهم. حرصوا من ممارسة حياتهم ومن الحفاظ على هويتهم وأمروا بعدم التحدث بلغتهم...(6) ويتقصى الكاتب الدوافع النفسية وراء هذه الأحداث حيث يسوق تأملاته وآرائه وهولا يرغب في سرد قصة أحد النزاعات العسكرية فحسب، ولكنه يقدر الجهود الفردية للأشخاص ويزره. وهذا الحدث يدفعه إلى وصف الشخصيات التي أسهمت في الأحداث ويضمن ذلك الوصف تأملاته حول هذه الحرب: في نهاية الأمر أضحى الناس بحاربون كل يوم الأعداء والبدر والقسط ونقص المؤمن وأدوات الصيد في كل مكان. فهناك أضرار جديدة وقتلى بصورة مستمرة، حتى شهدنا تحول الأعداء من شعب مباشرين للحروب ومتحدي وتسليم ووافق من أمره في هذه الأرض ومؤيد للبربر والأثر، إلى أمة مهرومة قليلة العدد، مطرودة من أرضها ومجردة من منازلها وممتلكاتها، فكان الرجال والنساء أسرى محض الوثائق، وتم بيع الأسرى من الأطفال في ألمونيدا أو أخذوا ليعيشوا في أراض بعيدة من موطنهم: كانت عملية أسر ونفي لا تقل إما نقاً في التاريخ مما عاناه أناس آخرون. كان النصر مشكوا فيهما كانت الأحداث على درجة من الخطورة حتى بات الناس يتساءلون أحيانا إذا كنا نحن من يريد الرب معايقتنا أو الأعداء، وذلك إلى أن تكشف لنا في نهاية الحرب أننا نحن من كنا نتخذه للتهديد وكانوا هم من تمت معايقتهم. (6) كانت حرب غزارة أحد الجوانب الجليلة لفقدان النبلاء لنفوذهم. لقد أدت النزاعات المستمرة بين ماركيز بيلث وكونت مونديخار إلى تجريب فيليب الثاني كليهما لجل محلهما المبعوثين الملكيين والموظفين المدنيين. لم يغطى أورتانودو ميندوتا إلى أن طبته الإجتماعية بدأت شيئا فشيئا تشعر بالمعاناة. لم يكن الكاتب ينوي التأريخ للحرب على الإطلاق ولكنه أراد كتابة مقال تاريخي، هذا وذكرنا بناء العمل بإحدى مسرحيات العصر الذهبي فإن مضمونه
والطريقة التي تتناول بها المشكلة تضمنا أمام معضلة تبدأ وتنتهي في الإسراع بدءاً من ترحيل الموريسكيين إلى قشتالة.

Luis de Mármol Carvajal

2-1: لويس دي مارمول كارباشال

يختفي التشاويم والكتابة والمعرفة المنهاجية لنشر التعليم بين طبقات الشعب المميزين لكتاب "حرب غرناطة" بالكامل في مؤلف لويس دي مارمول كارباشال Historia de la rebelión y castigo "تاريخ ثورة موريسكى غرناطة وعقابهم" (1648) de los moriscos del Reino de Granada. ولد هذا الجندى في غرناطة في بدايات القرن السادس عشر وشارك في الحملة العسكرية التي أرسلها كارلوس الخامس إلى تونس في عام 1535، حيث بقي فيما بعد لمدة عشرين عاماً قضاءها في شمال إفريقيا إما محارباً في جيش الإمبراطور إما أسير حرب بين أيدي المسلمين، وقد أسهم كجندي صغير في قمع ثورة البشرات. كان مارمول قد نشر Descripción قبل الكتاب السابق ذكره "الوصف العام لإفريقيا وغرناطة وملقة" general de África, Granada y Málaga مشتركاً بين جميع الكتب الذين تناولوا المشكلة الموريسكية آنذاك، وقد كتب العديد منهم تأريخاً عاماً حول تلك المنطقة.

تم تصنيف مارمول كارباشال ومؤلفاته في تاريخ التشريفي عكساً. ينتمى المؤلف إلى أولئك الجنود - المؤرخين الذين كثر عددهم في العصر الذهبي - وهو لا يحوي زخارف أدبية ولكنه ذو قيمة إخبارية عظيمة (3). وهو كتاب كبير الحجم يذكر بالتضامن الدقيق (4) ويتبني الرؤية الرسمية للحرب. نجد أن أسلوب النقد والحص الكلاسيكي لأورتادودي مينونا يستبدلاً عند كارباشال بشعور التمجيد والتبرير المميز للرؤية الملكية.
وجه مارمول النقد للمسؤولين، حيث ينسب إليهم جميع الأخطاء التي ارتكبت في أثناء تنفيذ الحملة. مركز القائد يفوق مستوى الجندي البسيط، ونظرًا لأنه في النهاية أحد هؤلاء الجنود فليس في أستطاعته التشكيك في القرارات التي تتبناها السياسة الملكية. يختتم العمل بالتعظيم من شأن فيليب الثاني كما يجيء في التعليق التالي، والذي يعطينا فكرة عن نوايا المؤلف الغرباني وتطلعاته: "...ملك المسيحي شديد التدين السيد فيليب، قام ابن حفيده بابناث الإلحاد الذي ظل قابعًا في قلوب موريسكيين مملكته المتخصصين حديثًا، ليتجنب الملك المسيحي شديد التدين السيد فيليب في زمننا هذا إنه حرا ومتحررا من تلك الأمة، حتى تعم أنت وشبك المسيحي بشكل أفضل. أطل إلى الرب برحمته الواسعة في عمرك ومنحك طبيعة رجاء...

۵۳

إن بناء كل من عملي مارمول وأورتادودي ميندونا متشابه، فإن الاختلاف بينهما يتمثل في عدد المعلومات التي يزودنا بها كل منهما وموقفهما الفكري تجاه الصراع.

۵۴ إن ابن أمية، وفقا لرأى مارمول كاربخال، هو مجرد رمز لا يمكن الاستغناء عنه في أي ثورة تشب ضده الحكم المستقر وهوليس المحرض وراء قيامها، وذلك على الرغم من معرفته بأمرها. وهو ينقل عن لسان النبي المسلم أنها ستكون حملة قصيرة ودونا أهمية. إن مارمول جندي يقتب الحرب على أنها حقيقية واقعة لا يمكن الاستغناء عنها، وذلك لن نجد في روائيه أي تأملات فلسفية حول قسوتها وإنما هناك شعور بالكرة تجاه المورسيكيين: ثم تقل القدوة التي اتصف بها أهالي بيربنتا عن شعور أفرادهم في بقاء أرجاء المملكة. حيث بدأت ثورتهم عندما علموا أن أهالي مارينينا قد ثاروا على النظام، ونظرا لأن المسيحيين لجأوا إلى الكنيسة طلبًا للحماية لبضعة أيام، فقد قام أعداء المسيح بسرقة منزلهم ثم حاصرهم وأرادوا إضرام النار في المعرد وحرقهم داخله... ونتيجة لقلة
دافعاًهم، اضطروا للاستسلام ببناء على إحدى النصائح الحكيمة، فاقتحم الملحدون الكنيسة وقاموا بتزيك اللوحات والصور وتكسير الصليبان وحوض التعبد، كما ألقوا بالبواكي القديس على الأرض ودنسوا الكنيسة ماركربي فيهما الشروع. (24) وهو ينظر إلى الصراع بوصفه حرباً بين عقيدتين متضادتين، كانت يمكن أن تكون آخر خطوة في عملية الفزو. (25) على أيّة حال فإن مارمول كاربخلان يرى أن الثورة قد نشبت بسبب تمرد الموريسيكيين الذين لم يرغبوا في الاندماج في النظام المسيحي القديم صاحب السطوة.

يؤمن أورتادود ميندوث، المفعّل بروح البدايات الأولى للنهضة، باتخاذ موقف متسامح يكون فيه العفو وسياسة التسامح هما الحل الأمثل. أما مارمول، الذي سيطر عليه عقليّة مضادة لهذا المبدأ، فإنّه لا يؤمن بإمكانية التعايش السلمي نظراً لكثرته المعتصمين، كما أن الاتصال المستمر بين الغزاة، والأراكان يمكن أن يؤدي إلى نتائج أخرى في المستقبل. فالموريسيكي متآمر بوض في القضاء على الإمبراطورية الكاثوليكية. من المنطقة ألا يقدر مارمول كاربخلان على إدراك المشكلة في أي بعد يتجاوز دوى المعركة وهو ما يجعل أي حوار أو اتفاق متساهل أمرًا مستحيلًا. لكون الموريسيكي "جاسوسا" لابد من القضاء عليه من أجل خير الأمن المملكة.

يقوم المؤرخ - الجندي بتمجيد زيارة السيد خوان سيلين عائلة أوستريا إلى غرناطة وذلك في مقابل منحى المعتدل الذي سلكه السيد ديغو، حيث يصف لنسا تذب تأثير ثورة موريسيكي غرناطة وعقابهم. بدقة كبيرة الأماكن التي دار فيها الصراع المسلح وكيف جرت أحداثه.

يُعتبر التمييز بين المناطق التي انضمت إلى الحملة الموريسيكية وذلك التمييز نُظرت على وفاتها للمسيحيين القديمي بظاهرة هاجس لا ينقطع على مدار الكتاب. (26)

ويحن نجد أنفسنا أمام واحد من أفضل الكتابات التاريخية العسكرية للقرن السادس.
عشر، حيث يزخر بفبض وفبر من المعلومات والعادات والطقوس، هذا وتنتاوقض
واقعية العمل مع ضمنية وغموض المؤلف السابق.(4)

يجب النظر إلى حرب غرناطة وفهمها على أنها المحاولة الأخيرة للحفاظ
على الفروع الثقافية والدينية المغايرة للبيئة المحيطة. تدد هزيمة الثوار الخطوة
الأولى التي قامت بها إسبانيا لإحياء هذه الأقلية، وهي تمثل إلى حد ما بالنسبة
المسيحيين القدماء، خاتمة الغزو ونهاية موقف خاطئ في بلد يعتبر معقلًا
المسيحية. أدت الحرب إلى تأسيل التطرف، فأصبح الموريسكي يشع بأنها أكثر
إسلامًا محاكلا الهجوم ودمار أذ أعدائه. بالنسبة للمسيحيين القدماء كانت تلك هي
نهيأة نموذج تعايش الثقافات المختلفة القديم الذي ساد في العصور الوسطى. برز
في النصف الثاني من القرن السادس عشر الشعور بالقومية والبحث عن
الشخصيات التي تجسد هذا الشعور، حيث بدأت تظهر بين المسيحيين القدماء فكرة
استحالة التعايش مع جماعة مختلفة ثقافيًا وفكريًا.

Ginés Pérez de Hita 3-4- 1: خينيس بيريث دي إيتا

يمكن العثور على إثبات لهذه الأفكار في كتاب "الحروب الأهلية في
غرناطة"(5) لخينيس بيريث دي إيتا. وهو عمل مقسم إلى جزأين: الأول يمكن
النظر إليه كرواية تاريخية جيدة جدا، أما الثاني فلا يتجاوز كونه مجرد سرد
التاريخ على هيئة رواية متوسطة الجودة. تحتل حرب غرناطة الكتاتب الثانى
بأكمله، وقد تم تأليفه بصفة حديثة وواضحة يسهل قراءتها. بيريث دي إيتا قام
بالكتابة كما كان الجندى الماهر يسجل الأخبار التي يتم تناقلها في المعسكر دون أن

(4) من الطبيعي أن يكون أورنتادو دي ميندورا غامضا، فلم يكن من المماسوح أذًاك بإبداء معارضة
للسياسة الرسمية للدولة. (المراجع)
يضع نصب عينيه المعلومات الرسمية التي تتناول مجمل العمليات العسكرية. بيد أننا كنا سنلجأ إليه كمرجع للأحداث لو لم يترك لنا السيد أورتادو دي ميندوتا ولويس دي مارمول كارباخال روياتهما عن الوقائع عينهنّ(۱۰). هذا ولا يمكننا استخدام هذا العمل كمصدر موثوق به في دراسة حرب البحارات، حيث يذكر أحداثا بها أمور غير واقعية لذاتها ومسلية في أثناء قراءتها إلا أنها تبتعد عن الواقع وتشوه الوقائع التاريخية. إينا يخدم في هذه الحرب كجندى تحت رابعة ماركيز بيليث، الذي يبالغ في مدهه على النحو التالي: "ولقد رويت كيف استطاع حاكم موريتيا المغربي هزيمة أتباع الملك المسلم(۱۰)، الذي هرب تاركا وراء القلعة حرّة ومحررة..."(۱۱) وهو ما يتعارض مع رؤية المؤلفين السابقين له.

يتم عرض أسباب الثورة كما يلي: "عندما انتشر خبر انتفاضة موريسكيّي غرينطة عن استخدام اللغة وتتابع التقاليد العربية شاع التمرد وانتشار في المملكة بأسرها وشعر الجميع بالقلق تجاه هذا القرار، وهكذا جمعت الشخصيات البارزة هناك للتشاور فيما يجب فعله إزاء ذلك التصرف، وفي ضوء عدم قبولهم المعنيين وتنفيذ ما أمروا به معتبرين إياه أمرا خطيرا ولا يحتمل، وبعد عرض عدة حلول للمشكلة، اتفقوا بكل حزم على القيام بالثورة وحمل السلاح يقودهم شعور التمرد والنهب السني ويهيمن عليهم غضب السماء."(۱۱) هذا العرض يسبط للغاية. لا يمكن إنكار كون المرسوم القمعي لعام ۱۵۶۷ واحدا من العوامل الأكثر تأثيرا في قيام الثورة، بيد أنه لم يكن سوى القصة التي قمتها ظهر البعير وأدت إلى نفاد صبر الأقلية. فقد كان التوتر بين المجتمعين في تزايد مستمر منذ غزو الملكية الكاثوليكية لغرينطة، حيث شعر الغزاة أنهم أصحاب الأرض الذي كانوا يحكمونها وأضحى الموريسكي أقل شأنا. وإلى جانب الاختلافات الثقافية تكالب العديد من المصالح المادية التي عملت على إفساد التعايش السلمي واستحالته بالكامل.

42
والمكتاب يضمن القصص بعض القصائد الشعرية، عادة ما يكون ذلك في نهاية كل فصل، وكذلك عدداً من الخطب المليئة بالخيالات والأوهام بشربها ببعض عنادير التقاليد الحربية للعصر الوسيط، مثل صيحة "سانتياغو، النصر، النصر لنا والعدو بفبر". وهو يعتبر ابن أمية أحد المتوفررين الرئيسيين في الثورة، حيث يعطي الحادثة التي وقعت للسيد فرناندو بالور قبل نشوب الثورة أكثر من قدرها: "...أما خادمها فنظراً للشعب الذي كان قاتماً وعدم إمكانية اتباعهما لسيدهما، فقد قاما بالاحتفاظ بمصلى الكنيسة الملكية وكان قريباً من منازل الرهبان. ومن ثم يفترض أن السيد فرناندو بالور مولى كان ضالعاً في مؤامرة الثورة التي شهدتها المملكة: حيث ذهب ذلك اليوم إلى مبنى البلدية على صهوة الخيل وكان يريد تهريب السلاح ليكسيني له فيما بعد فرصة مغادرة غرناطة. هذه الواقعة وغيرها مما سبق ذكره كان جزءاً من الأسباب التي دفعت الملكة للثورة."

توجهاته الفكرية فيما يخص الموريسيين أقرب إلى عقليته أورتادوتي ميندوتا منها إلى عقلية مارمول: وهكذا فإن الموريسيين الذين كانوا يسكنون في تدين وورع كانوا سيضلون الموت ألف مرة على تسليم أسلحتهم أو عقد أيه هدنة، إذا ما عرفوا أنه سيتم طردهم من وطنهم بعد كل ما بدأوه من جهد وكد. في نهاية الأمر أخرج الموريسيون من أراضيهم، وكان من الأفضل إقاؤهم نظراً للفاحة الخسائر التي تكبدها صاحب الجلالة وجميع الممالك جراء هذا الطرد."

تتسمى الحروب الأهلية بقوستها التي تتزايد عندما يدافع كل فريق عن فكر ديني (وهو ما يمثل نكبة دائمة في تاريخ إسبانيا). ربما تجاوزت هذا الخروج حدود المقبول حيث كانت كل جماعة ترغب في إبادة غريمتها تماماً والتقليل من شأنها إلى درجة العبودية. يروي لنا إينا الفظائع التي ارتكبها خلال الصراع مليقاً باللوم على كلا الفريقين.
يبلغ الطابع القصصي ذروته عندما يتعرض الكاتب لقضية اغتيال ابن أمية Ben alguacil بدأ دفاعه الغيرة. فقد أغرم بالمسلمة زهراء (13) وقام المسلم ابن الحاجب Aben Aboo بتدمير الخيانية ومسألة قتل القائد بمعاونة ابن أبو

تقول "تنة" تضمن أن أفراد الأقلية مجموعة من الأفارقة مقيمين في شبه الجزيرة. وهولا يؤمن بأن الحرب قد عادت بأي نفع، وبعد التأمل التالي خير دليل على ما تقدم: "لتجلل اللهجة على الخناجر، وعلى بقية الأسلحة التي يتح عندها شرور عديدة وإراقة لكثر من الدماء المسيحية التي عانت من الحروب الأهلية، وهذه هي التسمية التي يجب أن تطلق عليها، حيث تناحر مسيحيون مع مسيحيين (16)، الكلي بجمعهم محيط مدينة واحدة ومملكة واحدة..." (17)

بعد طرد الأقلية في عام 1609 واحده من أكثر الأساليب إثارة للدهشة التي سجلها تاريخنا. إذا كان صحيحًا أن هناك شائعات وآراء معادية للأقلية، فإنه لم يدر بخلد أحد أنه من الممكن أن يصدر قرار بهذه الخطوة. كان طرد الموريسيين بمجرد انتهاء حرب غزاة سيكون أكثر منطقية، فإن موقف الفلبينيين الثاني لم يكن واضحًا إزاء هذه المشكلة. كان ترحيل المسيحيين الجدد من غزاة إلى قسماً بمثابة إيجاد حل مؤقت لموقف يصعب حلنه. حيث انتهى الموريسي إلى تفاهم مختلفة عن الثقافة المسيحية القديمة وكانت مصالحه السياسية أقرب للأثرياء وسكان شمال إفريقيا منها إلى قيصرة إمبراطورية أوستريا. إنه شخصية ذات طبايع وأساليب معيشية تتعارض مع طبائع بقية قاطني شبه الجزيرة، هذا إذا ما قابلنا

بصحة تنصيره في المقام الأول.

(15) ذهبنا عند تحليلنا للرواية إلى أن المؤلف لا يتعامل مع المسلم، وهو في هذه الفترة يرى أن الموريسي مسيحي لا يجب إرقة دمه. إذا تعاطف لينا مع الموريسي أحياناً فلا يعبره مسيحيا.

(المراجع)
أخذ التعايش والوفاق بين المجتمعين في الانتهاء تدريجياً ما بين عامي 1570 و1609 كان الموريسكيون مشتبهين في خيانتهم، مما جعل وجوده مثيراً للريبة والشكوك في نفوس جيرانه. نقل من موقف مؤرخ حرب غرناطة إلى وجهة النظر الأكثر دفاعاً عن الطريق ونحن نجد أنفسنا، بدءًا من عام 1609، أمام أدب تبريري - وانتهاري إلى حد ما - يدافع عن الطريقة التي أقرها فيليب الثالث.

3-1: عام 1609 أو التأريخ التبريري

Jaime Bleda

ربما لا يبالغ إذا ما أكدنا أن أشد أعداء الموريسكيين تطرفاً هو الراهب الدومينيكي خايمي بليدا. وقد زودنا هذا المؤلف بعمليات حول هذه القضية نشر في عامي 1610 و1618 على التوالي، وهم: "الدفاع عن العقيدة" وتاريخ مسلمي إسبانيا".(11)

كان خايمي بليدا رجلاً من فالنسيا على علاقة وثيقة بالبطريرك ريبيرا أسقف فالنسيا.(11). قام الراهب الدومينيكي بإجراء وظيفته في إبراشية كورديرا، وهي قرية صغيرة في الشرق غالبية سكانها ممن الموريسكيين. وقد اضطحل بهذه المهمة متحلباً بروح تشهيرية، وكان يكن عداء خفياً للمسيحيين الجدد قبل تنصيبه كاهناً، مما أدى إلى أن مواجهاته لم تحقق نتائجه المرجوة في نفس أبناء رعيته ومن هنا تولت مشاعر العداء لديه إلى كره غير عقلاني. كرس القسيس الفالنسي سنوات حياته فيما بعد لإقناع المجتمع الإسباني في القرنين السادس عشر والسابع عشر بالحاجة إلى طرد هؤلاء الملحدين. وقد تكررت على مدار السنين الأولى من القرن الجديد زيارته إلى كل من دوق ليرما وكذلك العاهل، إضافة إلى المذكرات والرسائل والتضررها التي كانت تهدف جميعها إلى طرد...
الأفتية. تكرر فشل هذه النية المببطة في مدريد وروما، حتى إنه تم رفض ترجمة كتابه "الدفاع عن العقيدة" Defensio de la Fe على النحو التالي: "إن كتابي لمؤلف عن الموريسكيين باللغة اللاتينية وراءه ثلاثة أسباب: أولاً أن هذه اللغة أسهل بالنسبة إلى من القشتالية، والسبب الثاني هو أنه بعد قيام لجنة المجلس الملكي بدراسته ومنع نشره أصدر الأب لويس ديلا بورترنا في بابادوليد عام 1601 حكماً مفاده أنه هناك عوائق كبيرة أمام طبعه باللغة الإسبانية، كما أدرك أن هناك قانوناً في قشتالة يمنع الكتابة ضد أولئك المارقين باللغة الدارجة...".

اتهمت محكمة التلفيق الكتاب بأنه عمل مخالف للعقيدة ولم يعد نشره ممكنًا سوى في أعقاب القرار البابوي الذي استطاع الراهب الدومينيكي الحصول عليه في أولى رحلاته إلى روما. أما الفصل الذي يحمل عنوان Tractatus de iusta فهو إضافة لاحقة للعمل صدرت بعد إقرار مرسوم الطرد.

دخل بلدياً في تشكيك "الفريق" المعادي للموريسكيين الذي ترأسه البطريرك ريبيرا، وقد تلقى معاملة مميزة نظراً لانضمامه لهذا التحالف. "بعد عودته من هذه الرحلة إلى فلنسبا، قام البطريرك بتصنيف رئيساً لدير سوينانا لمدة عام وذلك ليعينني على المصدروات التي أنتجها ويكافئني على أعمال أخرى قمت بها."(14)

وهو يدافع عن كتابه المعادي للموريسكيين بالكلمات الأثرة: "لقد كنت على سبيل التبرير أو الدفاع عن العقيدة منتهجاً أسلوب الفلسفة الكلامية من أجل مجابهة هذه الأمية الغائرة على النحو الذي أرشدني إليه الرب".(15)

ويوظف كتابنا في مؤلفه كل ما في جعبته من وسائل لتبرير مثله العليا. وهكذا نجد نظرًا في المجلد قبل الأخير من تأريخه كل من استشهد في إسبانيا بدءاً من عصر عبد الرحمن وصولاً إلى حرب البشارة. هذا وربأنا تضمنه الكتاب للقتلى الإسبان على أيدي المسلمين كجزء من الإطار العام للعمل وذل ذلك.
بغرض تشكيل صورة الأقلية - وهو ما لا يخفى على أحد - خاصة مع إعتمامه للرواية الأكثر دموية ووحشية ليبرز الشر الذي اتصف به هؤلاء الأشخاص. كان هناك موريسكي، أو ثغرى، وهو مسيحي طيب في الظاهر حتى إنه أسس ضريبة المساعدة في المصروفات التي يتم إنفاقها كل عام على المتدينين الذين يشاركون في تسجيس معاناة المسيح في أسبوع الآلام... اتهموه بالردة والانتماء لعقيدة محمد تمهيدا لإحراجه... أجاب المسلم: إذا كنت تنازلت عن هذا المال قلم أفم بذلك للسبب الذي ذكرته ولكن لكي يسير ذلك الموكب في شارع آخر، لأن التزاحم الشديد كان سيودي بحياة بعض هؤلاء الأثليين ممن ينزفون الدماء أثناء تسجيس الآلام معاناة المسيح.
(17) وهو يصور لنا الموريسكيين كقائمة للمسيحيين أو كأعضاء منظمة متآمرة تمتلك كتيبات ووسائل متطورة تنسف من خلالها أعمالها الإجرامية.

يتناول المجلدان الأول والأخير من "التاريخ" طرد الموريسكيين من إسبانيا، ليكونا بذلك عرضاً موسعاً لكتاب "الدفاع عن العقيدة".

بعد تعميد الموريسكي يتم إدراجهم ضمن رعايا الكنيسة الكاثوليكية، ولكن بليداً يرى أن تواجدهم بين صفوف المسيحيين ليس أمرًا جيدًا فهم معارضون ولا بد من معاقبتهم. تهدف مؤلفات خايمي بليدا إلى إقناعنا بالحاد الموريسكيين وردتهم، وعلى تلك الخلفية يخطئ القضاة لإقامتهم الشائعات الدينية في حضرة تلك الحثالة(17) خايمي بليدا على دراية شخصية بما يرويه من أحداث ولذا فهو أكثر المؤلفين الذين استشهد معارضوه بأقواله. كتابه هذا المتخصص تظهر أحد الأخطاء التي لازالت التأريخ الموريسكي منذ ذلك الحين آلة وهو اعتبار وضع الأقلية متماثل في جميع ممالك شبه الجزيرة. (وإن كانت الكتابات التي نشرت في أعاقا مرسوم الطرد الملكي إلى موريسكي فالنسيا وأراغون، ونجد أن المؤلفين يدرجون بقية أفراد الأقلية فيما خلصت إليه كتابات الآخرين من نتائج دون دراسة مدى تماثل سلوكهم مع ما تم عرضه من أحداث.
في المقام الأول كان على خايمي بلبيدا رفع حماية نبلاء شرق إسبانيا لأفراد الأقلية: "رأى بعضهم أن تنصر المسلمين كان أمرًا ملامحًا بينما ذهب آخرون إلى ضرورة القضاء عليهم وطردهم من هذه الممالك. كان ضمن أنصار الأول كل فارس مغوار حصل على أملاك نظير بلائه الحسن ومآثره خلال عملية الغزو وكذلك سادة الإقطاع في تلك الأنهار.. نظراً لغلبة المصالح وقلة النفوذ والقوى توالت تلك المزاعم المتعارضة فيما بينها بينما ظلت هذه القضية دون حسم لمدة تسعمائة عام عاش فيها المسلمون بين المسيحيين."(134) أدى موقف المشدد - الذي لم يكن مستغزراً آنذاك - إلى إضعاف أي توجه معارض، فهو يطالب بعدم اختلاط الأديان "Deus ex machina" لنتألي مع كلامته "... طانفة السياسيين الغادرة التي تناصر الإبقاء على الملحدين أعداء الشعب المسيحيوحسبهم، بيد أن الرب يدين رأيهم المارق ويشجبه..."(145)

طرد المسلمين ليس بالوسيلة المستحدثة في تاريخ إسبانيا. فقد حمل مليكنا العظيم (فيليب الثالث) المشعل الذي سلمه إياه خايمي الغازى. لا يتردد بلبيدا في العودة للوراء وتأمل الماضي لإبراز التشابه بين المشاكل التي تناولها بالجدل. ويرى أنه كانت هناك محاولات طرد الموريسكيين منذ حكم خايمي الأول، ولكن آراء النبلاء أصحاب المصالح عملت على إعاقةها: "على الرغم من معارضة الأثرياء ظل موقف الملك حازما وصلبا لا رجعة فيه."(165) وقد قام الراهب الدومينيكي، بقية القضاء على تخفيف أفراده من قضية الطرد، بإحصاء كل الإجراءات المماثلة التي اتبعت على مدار تاريخ الإنسانية والفوارد التي نجمت عنها.

تجسد في شخصية الموريسكي كل الشرور، ويتسبب وجوده في خلق معين لا ينضب من المشكلات حيث ينتهي أية فرصة لزعزعة الأمن. إذا كان هناك من يحمل وزر بقاء هذا الوباء في إسبانيا فهي طبقة النبلاء... وهكذا ساد رأيها، الذي
ضمن استمرار المسلمين وبقاءهم لسنين طويلة، وكانوا دائماً ما يلزمون الصممت إزاء أصحاب الآراء المعارضة.«(١١) »

بذلّت الملكية الإسبانية المستحيل لدمج المتصرين الجدد مع أفراد الشعب، فإن طبيعتهم السينية حالت دون ذلك. (١٠) يذهب كاتبنا إلى أن الطرد غاب في المشروعية ويربر عليه النحو التالي: "عندما عاش المسلمون سلماً في هدوء اقتضت العقيدة التي تمت الإشارة إليها سلفاً محاربتهم وكان من العدل طردهم من إسبانيا، أما مع استمرار ارتكابهم للشرور والفظائع ومحاولتهم قلّة الهدوء الذي كان يسود أرجاء المملكة المسيحية، فإنهم يستحقون بالفعل طردهم من العالم. كانت هذه الأمة الفاسدة غير قابئة للإصلاح إلى الحد الذي جعلها لا تفوق أخطائها أو يصلح من شأنها العقاق قط. لم يتمكن منهم أحد عن عقيدتهما الزائفة... لم تفلح معهم محاولات الإصلاح الأخوية ولا الرجاء ولا التعليم الجيد للعقيدة الصالحة: وهكذا ظهر بوضوح كامل أن الرب لم يخترهم. وهذا ما برئت عليه في كتاب "الدفاع عن العقيدة من المورسيكيين"، في تبرير المضاد لم أتعملوا بجهلهم... كانوا شهوانيين وشقيقين. كما أنهم تورطوا في جميع أنواع المعاصي فتأمر هؤلاء الأعداء الأشور الحاقدين ضد شخّه الملك وحكمه وضد الديانة المسيحية... لذلك كانوا كثيراً ما يعبرون إلى إفريقيا لقاء سفراء الخلافة الأتراك وغيرهم من الأمور المعادين للمسيحية. كما كانوا يؤمنون بالفراسة والخصوم الجزائريين ويستغفرونهم... اختطفوا أطفال المسيحيين وقاموا ببيعهم... أساءوا معاملة المسيحيين قدر استطاعتهم... تعد آلام المورسيكيين الإسبان المعروفة جيداً والتي كان يعلمنها الجميع ضرراً من الإلحاد والهرطقة واستحدثات البدع، حيث كانت العقيدة الخاطئة التي حافظوا عليها... «(١١٣)»

كان موقف دوق ليرما إزاء نفى الأقلية يبعث على الشك. حيث كان هذا

(١٠) هل هذا كلام بونيس أم كلام بليداً؟ أحياناً لا يستطيع الأفارقة تحديد شخصية المتحدث. (المراجع)
الرجل ذو الشأن الكبير سيدي لدينا وبالتالي كان سيدي لأداء من الموريسيكيين، ولذا لم يكن في مصلحته طرد الأيدي العاملة الجيدة والرخيصة من أراضيها. على العكس من ذلك يقول خايمي بليد: "لا يعتقد أحد أن كره أتباع محمد الغادرين كان أمرا جديدا ومستحدثا بالنسبة لدوّار ليرما، حيث ورث النزاع والكره المتضمن من أسلاقه وجودده المشاهير."(78) ويرى أنه تم ترحيل 15000 مسيحي جديد من فالنسيا و2044 من قشتالة(79).

لم يتسبب فقدان هذه الفئة كبيرة العدد من السكان في خسائر اقتصادية للإسبان، ولو كانت هناك أضرار". إنه نظرا لكون هؤلاء السادة مسيحيين ورعين ورعاية أوفياء لمليكم ومن أجل تمجيد الرب والمحافظة على السلام والصلح العام، فقد تحملوا هذه الخسائر الخاصة بصبر وساعدة(80). لا شيء يعكس صفو متعة طرد الموريسيكيين، حتى إنه يؤكد أن محصول القمح قد زاد. أي خسائر محتملة ناجمة عن النفي قد عوضها "التواجد الكامل للمسيح" في إسبانيا.

خصصت آخر كلمات الكتاب للثناء على فيليب الثالث وأعوانه الباسلين وعلى المنهج الذي قرروه: كانت أول كلمة قالها لهيا قد خلصنا الصليب من الإهانات التي وجهها له الموريسيكيون. أما أنا فأجبته: سيكافئ الصليب جلائته على ذلك."(81)

2-3-1: داميان فونسيكا

فتح داميان فونسيكا الطريق أمام التاريخ لقضية طرد الموريسيكيين ووضع المنهج الذي سيسير على خطاه بقية كتاب تلك الفترة، وهو الأدب التبشيري الذي يحاول إقناع المترددين بفائدة ونفع الطريق التي سلكتها إسبانيا. قام الراهب الدومينيكي البرتغالي المقيم في فالنسيا داميان فونسيكا بكتابة "الطبر المتبادل للموريسيكيين من إسبانيا: تعليمهم وإلحادهم وخيانتهم. الرد على الشكوك المثارة

50
Iusta expulsión de los moriscos de España: con la "

حول هذا الأمر

(83) instrucción, apostasía y Traición de ellos.

يمكننا التشكيك، وفقا لما ذكره بليدا في تأريخه، في كون فونسيكا مؤلفا

وحيدا لهذا العمل: "... مع وصوله إلى روما تراهي له من منطق خدمة سيدنا

ومليكة الكاثوليكى نشر كل هذه الأوراق إضافة إلى كتاب "الدفاع عن العقيدة" في

إيطاليا بثت اللغة: كان العمل قد تم ترجمته بالفعل إلى اللغة الإسبانية، كما

إلى الإيطالية... كتب خبرنئ أنه يفكر في

ترجمه كوسيمو غالي

Cosimo Gali

طباعة كتاب عن هذا الطرد الذي شهده، دون اللجوء إلى أوراق... وقد أجبرته

صديق ومؤرخ حقيقى أن عليه اختيار الوقت المناسب للكتابة. خرج كتاب "الدفاع

عن الحقيقة" إلى النور، وذلك بعد تغيير ترتيب ما ورد فيه وإضافة بعض ما جاء

في مذكراتي..."(83) وهو أيضا يبرر هذا الحكم متعلما بجهله باللغتين الفانسية

والإسبانية المكتوبة بحروف عربية واستحالة فهمه لها.

 ضمن فونسيكا النص براءة باباوية وخطبة وعدة خطابات مفيدة للغاية في

التعريف بمأساة الأقلية. هناك عدد كبير من الأمثلة والتلخيصات مماثلة لما عرضه

الكاتب السابق، ولكن للفضة عن فونسيكا يمكننا الزعم أن كل تأريخ تلك الفترة

تشابه للغاية ويعتمد على التكرار. يمكن تقسيم هذا العمل إلى جزأين متباهين

للغة: حيث يصف الجزء الأول الاتهامات الموجهة إلى الموريسكيين ونفهم إلى

فالنسيا، أما الجزء الثاني في تعرض بالمجلة لطرد موريسكى قشتالة وقتالونوسا

وأراغون.

بعد الإطراء المنكر والخطب المادحة لفيليبي الثالث ينتقل الكاتب إلى

التفريق بين جماعات الموريسكيين المختلفة والموجودة في الممالك الإسبانية:

المجنون لفظ ينتمي في لغتهم العربية المتحولين أو المنتمرين: أما مدجنى

مملكتى غرناطة وأراغون وقتالونيا فقد سموا بالغربيين وهي كلمة مشتقة من

51
ساهمي مقاطعة تراگونا (4)، بالنسبة للعراقيين الفالنسيين ظلوا معروفين بالاسم الشائع آلا وهو المورسكيون. (68) وقد حاول أن يبرز لنا أنهم لم يكونوا مسيحيين وأن بوضوح الأخطاء التي افترضوها بتدينيهم للأشياء المقدسة وكذلك إجادتهم الذي تمت البرهنة عليه. (69) إنهم أسس المفسدون، هذى الوحيد هو التآمر ضد الدولة والكنيسة. وهو مصمم على النظرية التي تفيد بأن المورسكيين مسلمون، وهو ما يتضح عندما نعد لنا طرق حياتهم ومشاعرهم الثقافية: "... يا للسعادة التي كانوا يشعرون بها عندما كان الناس ينادونهم باللغة العربية... لا يأكل أي منهم الحيوانات الجريحة أو المختوفة فهي بالنسبة لهم ميئة، أو تلك التي عضها حيوان آخر حتى لو كانت حمامًا غارقة في البحرية أو أرنب برئ عضه كلب. (70) تستطيع من خلال نصوصه استشعار المناخ العدائي الذي قضى فيه الجماعات حياتهم، كما في النص الذي يروى لنا "أنه كان بإمكان أي مسيحي ممنون من شرب المياه لعدة أيام، لأن مجرد إقلاع بعض لحم الخنزير في جدول المياه كان يجعلهم يمتنعون تماما عن الشرب منه لعدة أيام وقد تكررت هذه المواقف المرعبة كثيرا وكانت تحدث بشكل يومي. (71) هذا ويكرر اتهامهم بالخيانة والتعاون مع الأطراف بنفس الإصرار الذي شاهدناه في النص السابق.

التهمية الأساسية التي ينسبها إلى المورسكيين هي الإلحاد. حيث قدم النظام الملكي ورجال الدين تضحية كبيرة من أجل تنصيرهم "وكانوا تكيف لجذب جميع مسلمي الجزائر إلى الديانة الكاثوليكية "إلا أنهم أظهروا مقاومة عنيفة... عندما كان الكاهن يرفع الأضحى كانوا يقومون بعمل إشارة احتقار بعدهم آليتهم تحت عباءتهم (72)، كما أنهم استمروا في مزاولة أشغالهم أيام الأحاد. وهو يجادل بأن المورسكي المخلص لربه، سيكون أقل إخلاصا لمبلكه. الخيامات والظروف التي

(4) يخطئ فونسيكا بكل تأكيد، إذ كان يطلق لقب ثغر على كل الموانئ الإسلامية، فالإسكندرية ثغر.

و عليه يكون أهلها تغلبين. (المراجع)
اقترفها كانت مباغتا فيهما دمياً. يذهب فونسيكا إلى أن المكر الذي اتصفوا به يعود إلى أصلهم الذي ينحدرون منه، وهو يريد نشر فكرة كون الطرد مطلبًا شعبيًا بوجه عام وفانتسيا بوجه خاص. كما أن الخطر الذي يمثله بقاء الأقلية على الأمن الداخلي مبالغ فيه إلى حد كبير. وبدأت الراهب الدومينيكي عن أن الإغفاء من الخدمة العسكرية وعدم وجود أي موريسكي أعزب جعل الأمة الموريسكية تتذكر يومًا بعد يوم، في الوقت الذي كان فيه المجتمع المسيحي التقليدي يتعرض للأذى.

الطرد إجراء الله الوجي الإلهي ما من شك في أن الرب هو الذي قاد عملية الطرد (٩٨). يفهم الكاتب الموريسكيين بإدخال عمليات زائفية إلى إسبانيا وكذلك تهريب كميات كبيرة من الذهب والفضة خارجها. أما الأضرار الناجمة عن تطبيق هذه الطريقة في فانتسيا فهي: "خسر السادة جزءا كبيرا من دخلهم...

صحيح أنه كانت هناك محاولة لإعمار هذه الأماكن. يبدو إعمار الأماكن المهجرة حاليا مرة صعبا، حيث كانت المنازل صغيرة وقليلة ومهدمة على وجه العموم... كما لم يستطع ساده تلك الأماكن إصلاح تلك المسارئ، فقد كانوا جميعاً فقراء إلى الحد الذي لا يستطيعون معه تحمل هذه النفقات. ثم أضحى هناك صعوبة لإعمار المناطق التي تخلو الآن من السكان، كما هو الحال في غرناطة، التي كانت أيضا سعيدة ونضرة، وكذلك أراضي فانتسيا الخصبة الشاسعة، فظل العديد من الأماكن التي قطعناها الموريسكيون مهجرة إلى الأبد. الضرر الثاني - الذي لا يقل أهمية عن سابقه - هو الهرع العقاري أو الضرائب التي كانت تدفعها جماعات المسلمين والموريسكين تلك. أما آخر الأضرار والذي كان يعد غاية في الخطوة فيتمثل في كم الذهب والفضة الكبير الذي حمله المطرودون معهم إلى خارج هذه الممالك (٩٩).

يصبح الكاتب الاتهامات الأساسية الموجهة إلى الأقلية على هيئة أسئلة:

أولها، إذا ما كان هؤلاء الموريسكيون ملحدين ومارقين كما نعتهم صاحب الجلالة
في خطابه الملكي. ثانيا ما هو الحق الذي خول للملك طردهم من أرضهم. ثالثا هل
من الجائز نفي كل هذا العدد الكبير من الأشخاص المعمون وحملهم إلى أراض
كفارة... رابعا إذا كان ممكنًا تطبيق طرق أخرى أكثر تساهلا لتعويض الأضرار
التي خلفها الموريسكيون في إسبانيا. 11) وقد تمث الإجابة على هذه الأسئلة، كله
على حدة، بطريقة تفادي من خلالها الكاتب أيّة شكوك تجاه الإجابات التي قدمها.
لم يتم تعميد الموريسكيين باستخدام القوة، لذا فهم يعتبرون مسيحيين. إذا كان
الموريسكيون قد عجزوا عن استشعار العقيدة الحقة فقد مرحده إلى طبيعتهم الآثمة
وما أظهروه من حمامة. الملك هو أعلى قضاة الدولة مكانة ولا يمكن لأحد مراجعة
قراراته. كان بقاء الأقلية في شبه الجزيرة أمرًا مستحيلًا حيث "كانت أشبه
بالسربان الذي يتوجه معه بتر الجزء المصاب حتى لا تنتقل العدوى إلى سائر
أنحاء الجمهة، ونظرا لأن هذا الوباء كان كالنار التي تفشى في فالنسيا فإنه لم يكن
ممكنًا إطفاؤها سوى بالماء، عن طريق تحملهم في سفن وإخراجهم من إسبانيا،
وهو هذا المعروف الذي أُصدِم إلينا الزب والضبيط 12).
كل من بليدا فونسيكا أثّر على ذكر موافقة البابا على الطرد، وذلك لإضفاء
مزيد من الصدق إلى الجدل المثار. هذا ولم ينسى باولو الخامس قط هذا الطرد،
وكما يروى لنا بيريث بوستامينتي: "...في عام 1611 أصدر أمرا بإلغاء فقرتين
من كتاب الأب فونسيكا: الفقرة التي تذكر أن البابا رفض استقبال المنفيين في
الأراضي الواقعة تحت نطاق سلطته والقرعة الأخرى تشير إلى موافقة على قرار
الطرد، حيث لم يتم إبلاغه به إلا بعد أن أصبح أمرا واقعا.13)
بعد كل ما دار نظرا سلفا يمكننا أن نخلص إلى بعض النتائج. كان اتخاذ
موافقة أصولية ضد أفراد الأقلية أمرا واقعا والموريسكي بدوره ازداد شعوره
بإسلامه مع... شعر الأغلبية، فكل ما يملك، فلم يعد هناك ما يجعله يخفي
شخصيته الحقيقية أو شعائره الدينية. وهكذا دون أن يشعروا أعطوا مزيدًا من

54
الأسباب للمشئين ليزيدوا من تحسفهم، كما أصبح انتقادهم أكثر سهولة. لا ينبغي أن نفكر بأن رجال الدين ومحبي أصحاب النفوذ آنذاك كانوا هم من يريدون طرد المورسيكيين. لقد شعر الشعب أنه مهتمون عندما تم إقرار مراسيم الطرد، حيث اختفى منافسهم، وهم قطاع من السكان له عادات غذائية وثقافية مختلفة.

Pedro Aznar Cardona

لا تقتصر نبأة معاداة المورسيكيين على الكتاب الفلاشيين فحسب، ولكنها موجودة لدى متخصصين من مناطق أخرى. هذا هو الحال مع بدرو أثر كاردونا الذي نشر في أوريسكا في عام 1611 "الطرد المبرر لمورسيكي إسبانيا وخلاصة Expulsión justificada de los moriscos" الفضائل المسيحية لفيليب الثالث". espanoles y suma de las excelencias Cristianas de Felipe Tercero.

خصص الجزء الأول من هذا المؤلف لدراسة "صلاة محمد". ونحن نجد أنفسنا أمام كتاب عالم لاهوتي على دراسة جيدة بالإنجليز كما استنتج لنا من إشاراته المتكررة للنصوص المقدسة. وقد قام بكتابة هذا العمل للتعرف بتجاووزات المورسيكيين... انطلاقة من استهزائه بشعائر القداس الإلهي واحتفاره للمقدسات قام أحد المورسيكيين - بينما كان جالسا بين ستة مسلمين - بوضع عمله ذهبية قديمة فوق رأسه وأخذ يصبح: هل تريدون هذه؟ هل تعودونها؟(44)

أثر تقل خايما بليدا في كل الكتاب الذين عالجوا هذه القضية، ولم يستطع أثار كاردونا أن يتأي بنفسه عن هذا التأثير: كان دائما ما يشير إلى "الدفاع عن المقدسة" مضمونا مؤلفه أمثالة واستشهادات من هذا العمل. الجديد الذي قدمه الكاتب الأرغوني هو الاستعانة بمستندات من أرشيف سيمانكاس.
وطلب شخصيات كانت شهيرة آنذاك وكذلك استشهادات من جمعيات مجامع طليطلة.

ينظر الكاتب إلى الإسلام على أنه عقيدة تطرح أموراً عادية وبسيطة وسهلة تناسب شخصية محمد البربرية. وقد عرض علينا الاشتراق الفريد للفظة ساري وهو اسم الذي كانوا يعتبرون به، وكان يجب تسميته بالهاجر بحسب النسبة إلى أمهم هاجر -أو عرب أو العرب- نسبة إلى الأرض التي كانوا ينتمون إليها والتي تسمى شبه الجزيرة العربية. وهو يذهب إلى أن رمز الهلال المستمدة من تقسيم مغلوط لآراء أرضيو: "إن "مَهْدَ" مذهب زائف، وقد تنتبأت النصوص المقدسة بزواجه. لقد أتي محمد بداية مستمدة من غيرها، وجعل الجمعية يوم العطلة المقدس لتابعه متعدداً عن ذلك بالأيام الخاصة بالمسيحيين أو اليهود... في النهاية أخذ من هذا المذهب جزءًا سيناء ومن ذلك المذهب جزءًا أسوأ، وللذي صنع هذا المزيج البشري قام بالتوافق بين كل واحدة من الشعائر المختلفة التي سبق ذكرها مع آخر ملتبس ليكمل صياغة وتركيب هذا الوحش المشوه الذي يحتوي على العديد من بؤر التناقض وحذور الاختلاف...".

الجزء الثاني مخصص بأكمله لقضية طرد الموريسكيين والمكافحة التي سنتلتها في المستقبل نظير هذا العمل الجدير بالإشادة. استحق الموريسكي ما حل به من طرد حيث "... اكتشفنا أنه على الرغم من المساعي الأبوية المليئة بالرحمة، أنه لا يمكن أن يكون أبداً داخل أي منهم - لا سابقًا ولا حاليًا - بدون الصلاح، فهناك دائماً أشواك الخيانة والخوف والكفر وجرائم الغرب في المداومة الإنسانية عن طريق حياء المؤامرات، وهو بالنسبة لهم أمر يبنيع من طبيعتهم.\(^{(1)}\) ليس ممكنًا إبداء أية تحذيرات على الوسائل التي تبناها فيليبي الثالث...".

\(^{(2)}\) نسبة إلى السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم. (المراجع)
وإنما مدحه لأنه منع إسبانيا من الاستمرار في احتضان هذه الأمة الأثيمة، ولطيبته قلبه التي حملته على طردهم دون إذائهم جسدياً كما كانوا يستحقون. هذا العمل ليس تأريخاً لكي تتفق إجراء الطرد ولكنه طرح للدوافع التي مهدت الطريق لتبني هذا القرار. ولا يظهر في أي من فقرات المؤلف شعور بالبطف أو الشفقة على المصير الذي آل إليه المسلمون الإسبان المنفيين. هذا وبعد موت الموريسكيين على أيدي العرب(4)، قادة المراكب التي استقلوها، أو في أثناء الملاحية التي أجبروا على القيام بها هو الجزء العادل لأفعالهم السيئة.

حدثنا جميع المتخصصين دونما استثناء عن أساليب حياة أفراد الأقليات وعاداتهما الغذائية والصحية. وهو أمر يعدده آثار على النحو التالي: تخصصوا في المهن التي لا تحتاج إلى مجهود كبير: عمال نسيج، خياطون، حباليون، زارعو وبائعو نباتات حلف البر، صانعو وbianco حلل، إسكافيون، سانعو مراتب، بستانيون، مجدفون، بائعو زيت وأسمكا وعسل وزبيب وسكر ونسيج وبضائع ودراج ونعل ومنتجات من الصوف للأطفال(4). وهذا الاستجابة يبدي الفكرة الزائفة التي تقيس بأن هذه الحرف تمكنهم من ممارسة الجاسوسية وقضاء حياتهم مستسلمين في الشمس.

الأسباب التي يدعى أنها وراء مسألة الطرد هي نفسها التي ذكرها الكاتب السباقون، ويعرض علينا فكرة جديدة حول تدخل... المملكة السعادة مارغاريتا سليمة عائلة أوستربا... وقد أخطأ السياسيون عند تمكينهم هذه الملكة من اعتلاء العرش. (4) يضع الكاتب على لسان الملكة - بينما هي على قمة الصوت - اعترافاً بتحمل مسئولية طرد الموريسكيين... ستعم على جلالتك الفائدة لعدم سماحك لأي موريسكي أن يعيش في أي من مناطق المملكة، وإذا كان أحدهم

(4) ليام من الثابت وتابعنا أن الموريسكيين تعرضوا للموت على يد قيادة العرب، وطبع أن هذه الفترة تنسب مع كتابات دعائية طرحت في القرنين السادس عشر وسبعين عشر. (المراجع)
ما زال مختبئاً أو عاد مرة أخرى إلى إسبانيا فأصدر أوامره بطرده وإخراجه من البلد تماماً حتى يمحى من الذاكرة ولا يبقى أثر لتلك الفترة الآثمة والضئالة والمفاسدة...

الجرائم المنسوبة لأفراد الأقلية تتخذ طابعاً عالمياً ولا تخص أناس بعينهم، لذا فإن الإجراء المتبع يسرى على الجماعه بأسرها وهو ما لا يتيح سوى إمكانية إجراء بعض الاستثناءات الطفيفة للفعالة. وهو يرغب في مقارنة طرد مورسكي بنفسي اليهودي حيث يحدث عن انتقال الخطيئة من الأبناء إلى الأبناء. أن تظهر إسبانيا من الأقلية المارقة فهذه واحدة من أفضل المناور الخالدة على مر العصور والتي سيكافننا الررب عليها - نظير تضحيتها ودفاعنا عن العقيدة - بالنصر في الأراضي الشرقية. بهذه الأمنية تختتم التعليلات المستخدمة لتبرير "الطرد المستحق لمورسكي إسبانيا" لندرو أتار كارودونا، وهو عمل لم يستطع الفكاك فيه من شرك التطرف الذي مثل عاقلة أمام أية رؤية معتدلة ومنطقية للأزمة.

4-3: ماركوس دي غوادالاخارا إس خابير

Marcos de Guadalajara y Javier

هؤلاء الكتاب الثلاثة، على الرغم من تطرفهم في الهجوم على الأقلية، يعرضون طرحهم في إطار ثابت ومتماسك، وهذه هي نقطة الاختلاف بينهم وبين الراهب ماركوس دي غوادالاخارا إس خابير. فرجل الدين هذا يرد بصورة جيدة جداً على محاولة التقرب من فكر الطبقات الشعبية. الأعجاب والظواهر الخارقة للعادة هي البراهين الرئيسية التي يستخدمها في كتابه "خيانة المورسكيين ونفيهم. Prodición y destierro de los moriscos (1511). إذا كان صحيحاً أن جميع الكتاب قد وظفوا تلك الظواهر، فإن أياً منهم لم يصل إلى تطرف غوادالاخارا في ذلك.
الأمر. حيث استسلم ذلك الراهب أمام الإبراهيم التي كتبها له السماء نقولاً لنا هـ
الظواهر ليضمن عدالة طرد المسلمين الجدد: "... بمرور الوقت، تكتشف في
إسبانيا إشارات وآيات تدل على غدر الموريسيين...

أول إشعار معجز حذر به الإسبان كان جرس بيليا في أراغون...

حيث جاءته الأوامر ليبعث بإشارات ملحوظة للدلالة على الشر الذي يключа مسن
 حولهم.

الإشعار الثاني: حدث فيما بعد عندما خرجت النجوم عن مسارها في شهر
أكتوبر من عام 1603... انتشرت السحب في وابل كبير ومفاجئ، فيدلت الأرض
والأعشاب والحجارة في المقاطعة والحى كما لو كانت مصبوغة بالدماء...

الإشعار الثالث: ... لم تتبع المياه مسارها الطبيعي بل أخذت تعلو في زيادة
كبيرة كما لو أن هناك طوفانا عالميا يغزو المدن والقرى الشهيرة وأماكن أخرى.
(يشير إلى فيضان نهر توريا)

الإشعار الرابع: ظهرت هذه الحقيقة وأخذت تتكشف بوضوح، ففية عام
5160 وبعد ما سبق ذكره من زيادة كبيرة في مياه الأنهار، جف نهر كارين
الصافي ذو المياه الوفيرة لسبب غير مفهوم ولا يصل إليه العقل أبدا.

الإشعار الخامس: ... في منتصف ليل أحد أيام شهر مايو عام 1606،
روى كثيرون - كانوا موجودين بالحقل وفي أماكن استطاعوا منها رؤية واستشعار
ما حدث - أن السماء فتحت لتذرف في الهواء سيفا من اللعاب المتوهج بلون اللـد؛
صوب نصله باتجاه إفريقية وظلت هذا حتى بزوغ الفجر...

الإشعار السادس: أظهر الرب الإشارة الصامتة في الهواء، عندما عرض
على هذا المسيحي الورع المتقدم من ليديسما وزوجته وخدمته وجيرانه، في
السادس والعشرين من سبتمبر من عام 1606 بواسطة أشكال وأجسام خيالية

59
وخارقة للعادة ظهرت في جماعات متبادنة وغير منتظمة، ما كان متوقعاً ولابد من حدوثه وهو ما أشرت إليه في جزء آخر من العمل.

الإشعار السابع: اللغة الصماء السابعة تتمثل في الحذف الرمادي أو الرصاصي الذي ظهر في عام 2007 وهو على الرغم من صغر حجمه قد منح الفلكيين في إسبانيا مجالاً كبيراً لفهم وإدراك الكثير من الأشياء. بعد ذلك تم رصد الانتاج الجديد الذي لم يتبق مشاهدته في هذا النصف من الكتلة الأرضية...

الإشعار الثامن: كان نفس الهدوء الهادئ والمضطرب نظراً للأجواء السبيئة التي عبرها... وقد تجمع في إطار كبير يوم بريح عاصفة ذات اتجاهات متضاربة، تهب وتضطرب وتهيج محتملة للغاية في جميع أنحاء إسبانيا لتؤدي لاقتحام العديد من الأشجار وأضرار أخرى في بعض الممالك.

الإشعار التاسع: الإشارة الصماء التاسعة هي الاهتزاز الكبير الذي يروي حدوثه في كنيسة الحواري سانتياغو الشهيرة... والضجيج المدوي الذي أكد أشخاص جديرون بالثقة سماعه لعدة أيام في مصلى الكنيسة حيث يوجد ضريح القدس، وقد تمثل في ذات طبول الحرب وأصوات مزامير ممزوجة مع دوي إيقاع الأسلحة وصوت آخر سمع وهو يعمل على إيقاف الضوضاء صارخاً:

السلاح! السلاح! إسبانيا! إسبانيا!

الإشعار العاشر: من أجل بث الرعب في قلوب المسيحيين وتخويفهم من جرائم فحلتهم ومن منحهم رخصاً للموريسكيين المذكورين، الذين كانوا يخططون ذلك الأمر، ارتأى العناية الإلهية إحداث هزات في بعض أجزاء إسبانيا...

الإشعار الحادي عشر: بما أن الكاثوليك الإسبان كانوا يغطرون في سبتة عميق لا يريدون الاستيقاظ منه أو التحرك للفضاء على هذه السلالة الإثارة، على الرغم من كل تلك الإشارات المخيفة والآيات السابقة التي سلطت بصيغة مـٍٍٍٍ.
الضوء على خيانتهم، أمر الله - القادر على كل شيء - أن تظهر الإشارات
شرورهم وتربر الحملة التي بدأها ملئاً الكاثوليك.

الإشعار الثاني عشر: بحلول شهر مايو من عام 1909 شهد وهج شديد
في السماء... كان هناك بعض محيي الاستطلاع من شرعوا في قراءة خطابات
كانت بحوزتهم بالسهولة والدقة نفسها كما لو كنا في وضح النهار. هذه اللغة
الصامتة أعلنت ابتهج السماة الشديد لقرار عاهلنا الكريم ذي الصبغة
المسيحية...(101) إلى هنا سننهي القص الذي تناول هذه الآيات، حيث إن ذكرها
يتطلب لنا وقتاً طويلاً، كما أن بعضها لا يقدم سوى تكرار للأحكام التي أصدرها
رجل الدين حتى الآن.

على الرغم من كون غوادالاخارا من أشد الكتاب المشعنين تطرفاً فهو
لا ينتقد عمليات ببعض أصول مملكات المسيحيين الجديدة، التي قاموا بها قبل نفيهم
الاضطرار. وهو يوظف هذه الحادثة لامتداح طبيعة فيلتبي الثالث: "... ليعجب
الأثراء من سماحة ملئاً الكاثوليك الذي لم يجهز عليهم، ولمتدحوا - كما
يستحق- شخصيته الحرة، حيث ترك لهم أملاكم..."(102)

هو يبدي في كتابه "الطرد المشهود والنفي العادل للموريسكيين من إسبانيا"
Memorable expulsion y injustísimo destierro de los moriscos de
España (103) تحظى أشد من حيث الحجاج التي يسوقها. ففي الجزء الأول من
العمل يتتبع الأصل اللغوي لكلمة "ملحد" التي تعني ما يلي: "أولا: النزاع
والإضرار، مستخدما كلمات متكافئة ومتكبيرة، حول ما تعد الكنيسة الكاثوليكية
حقائق ثابتة كالتجسيد وبيع الموتى وضرورة تعميد البالغين وكذلك فعالية هذا
الإجراء والاعتراف وتقييد القربان المقدس وغيرها... الدليل الثاني على نوايا
الماريين الشريرة هو إحداثهم الاضطراب والشقيق في صفوف الكنيسة
الكاثوليكية... فهم (وهذه حقيقة واقعة غاية في الصحة) مخالقات غير مطيعة
لرؤوس الكنيسة الكاثوليكية، وذلك من خلال معارضتهم قراراتها والاختلاف معها... الدليل الرابع (الذي اكتشف على نطاق أوسع بكثير من غيره عن طبيعة الموريسكي هو قلة إيمانه وعدم احترامه للكنيسة الكاثوليكية التي تربى فيها... الدليل السادس... أن مشاعر الكاثوليك الجديدة ينبغي لهم طرح تفاسير جديدة للإنجيل... الدليل السابع: أن تأخذ هذه الجماعة الجديدة اسم وقب الشخص الزائف الذي كان أول من أنشأها ليطلق عليها جماعة... محمد (المحمدية)" (100)، وفقا للراهب ماركوس فإن كل ما عرض في هذه الفصول يتشابه مع سلوك الموريسكيين. وهو يخلص إلى نتيجة مفادها مكافحة الزنا حيًا للفتة من الأراضي التي حكموها، ويضرب الأمثلة على صحة هذه النظرية من خلال مراجعة التاريخي εις ευρωπος.

محمد رجل يتسم بالفساد والجبن وعقيدته لا تزال سوء المجانين: "... معبد الأفاع، أن الزنا يتحول في طبقات السماء ويفتش مع الملكة ولا يدرى ما إذا كان الذي مات عصروا أو نميمة صغيرة، بدأ هذان مفاده أن الزنا يحكم ما فوق القمر أما نحن فنسبط على ما تحته... (101) غوادالاخارا يرى أن لفظ خاني مراح مراح لمثلها عربية، حتى الغزاة الأوائل الذين قدمو إلى إسبانيا بعد معركة غوادالبيتي قاموا بادرة سطوة حكامهم أنفسهم. تتمتع طبيعة الموريسكيين الأثمة من العقيدة الفاسدة التي يعتقدونها والتي تجلى حكمهم إلى أشياء إباحيين وخطأ وطلاقة بحرون الحياة الدنيا دون سواها، على النقيض من ذلك هؤلاء المسلمين الذين يحرون من شأن كل ما هو دنيوي ليقفزوا بذكروا عبورهم إلى مملكة السماء.

كانت هناك محاولة للقضاء على عادات المسلمين والحاده في أثناء حكم بيدرو الرابع IV ملك أراغون، وذلك من خلال تحويلهم إلى العقيدة الحقية وهي السياسة التي سار على نهجها كل الملوك الإسبان ولم يحقق لهم الفائدة المرجوة.
لم يكن سبب حرب غزّة يعود إلى القرار الذي اتخذه الملك الحكيم عـام 1567، بل إلى الطبيعة الفاسدة للغزّاة والتي دفعتهم إلى التحالف مع الإمبراطور الأتراك بهدف إضعاف إسبانيا. هذا وقد أسفر ترحيل المقيمين إلى قشتالة عن تقشّي الفقر في مدن وقرى هذه المنطقة. مارس الموريسيون الحرب المكانيكية ومهمة التجارة التي تدور فيها، إلا أنهم على الرغم من ذلك أثاروا بحيث امتنعوا عن الطعام والشراب وجميع أوجه إنفاق المال نظراً لطبيعتهم الشحيحة. الحجج غير المنطقية التي ساقها غوادالاخارا، والتي تسطرد إلى تأكيدات منكرة كقسوة القلب المميزة للموريسكيين وجهودهم `- وفقاً لأرائه` - لارتكاب شتى صنوف الجريمة.

يذهب رجل الكنيسة هذا إلى أن الطريقة الوحيدة لتحقيق التنصير بحق هي "... حظر تحدثهم باللغة العربية: من هنا يأتي عدم تحول الأطفال والمسيحيين للسيدة المسيحية، حيث لم يفهموا الوعاظ وكهنوت الاعتراف"(10).

يرى كاتبنا أن الطرد أمر أساسي لاجتثاث الشرور من إسبانيا، إلا أنه يبدو أكثر اعتدالاً في رؤيته عن سيقانه من الكتاب عند تقييمه لنتائج هذا الإجراء، ففيذهب إلى أنه له بعض العواقب السيئة كما هو الحال في مسألة إعادة الامارة". كان لابد من أن يطمئنا في شغل أملك هؤلاء. بحيث يمكن لطبيعتهم أن تدفعهم للاستمتاع بذلك. إذا ما كانت هناك زيادة عديدة (لبيت هناك قادر كاف لإعمار ما تبقى من قشتالة) فهم بالتأكيد سيرغيونون بالذهاب إلى إعمار فلانسيا المتميزة وترك أراضي أراغون المقفرة. بيد أنه وفقاً لما ذكر في قشتالة وفي تلك الأثناء كانت إسبانيا بأسرها تعاني من قلة السكان. كانت هناك حاجة لزراعة الأراضي أكثر من الحاجة للبحث عن سكان جديد لإعمارها. (10).

والعالو لا يتعدي على اختصاصات الكنيسة عند طرهده الموريسكيين، لأنهم رغم تعميدهم بدون مارقين وملحدين. الفائدة الكبرى لهذا الإجراء هي: "وهكذا

63
فإن ملكنا المظفر عاد وانتصر لكرامة إسبانيا بهذا الطرد العادل، حتى يفهم البروتستانت وأتباع كل من كاليفينوس ولورث وهراطقة تلك الدول الذين نسبوا إلى الإسبان زوراً انهيار هؤلاء المسلمين، هذا وقد تم تطهير جميع ممالكنا وتنظيفها.

"بطلق رجل الدين العنان لتحليله عندما يعد لنا العواقب التي خلفها الطرد." ... مع نفيهم انخفاض سعر القمح، وأصبحت البضائع تنتقل بحرية براً وبحراً، لنشقت البحر دون كل هذا الحذر، أدت فطرة السماء لازدهار الزراعة وتقدمها... يتم تداول عمليات البيون bellon الذهبية والفضية المنتقاء: تعز جواه الاستهلاك – شتى أنحاء إسبانيا عموماً مصحوبة بالتضاؤل، الذي يجلب أعدادنا السر وراءه: لقد تحررت شواطئنا وضفتنا من اعتداءات الأفقرة والسرقات التي قاموا بها، توقفت عمليات القتل التي كانت تتم كل ساعة، بجهز وطننا إسبانيا في تلك الأماكن التي هجروا جموعاً غفيرة من الجنود الجدد وقد سبقوها على القلاقل والخلافات بسهولة ويسر، أضحت الأرض بدون أي عن الخيانة والانقلابات تحتها العقيدة الكاثوليكية – الرسولية والرومانيّة – وأخيراً فإننا جميعاً نتمتع بالأمن والأمان في منازلنا كما خول لنا الرب... "كل الكتاب الذين تحدثوا عن الطرد تناولوا عواقبه خاصة بصورة متفائلة وهو ما يشكل أكثر نقاط هذه القضية جدلاً حتى وقتنا هذا. تسببت هذه الطريقة في إحلال الدمار بالنضج الزراعي في بعض المقاطعات، كالأراضي الفائقة على وجه الخصوص. كانت تلك الآثار أقل بكثير في أندلومة وتشتتة نظرًا لتضاؤل عدد الموريسيين في تلك المقاطعات. إذا سلمنا بفكرة الأزمة الاقتصادية والسكانية التي شهدتها القرن السابع عشر، فهذا يدل على الاتنادي خلفه طرد الموريسيين على صغر عائلة أوسترياس.

كان الطرد بمثابة حملة جيدة بالإشادة في نظر من عاصره. هذا وقد فطنوا - على الرغم من عدم التصريح بذلك فيما كتبوه من نصوص - إلى
خطورة القرار الذي تم اتخاذه، حيث اعتقدنا أن هذه التضحية لابد من أن يقوم العرب بتعويضها إما بغزو الأرض المقدسة أو أماكن أخرى في شمال إفريقيا. على جانب آخر، كانت هناك تكهنات منذ العصر الوسيط من قبل كل من المسلمين والمسيحيين بفنا عقيدة الخصوم. وقد اعتقد الإسبان أن المرسوم الذي صدر في عام 1209 كان الخطوة الأولى في طريق القضاء على "الطائفة الأثنا عشرة".

اتصنف التاريخ للقضية الموريسكية في القرن السابع عشر بالتكرار والإصرار الشديد على جدوى طرد المسيحيين الجدد. إضافة إلى المؤلفات الكبيرة التي قمنا بتحليلها، هناك أعمال أدبية قليلة تحمل القليل من الاختلاف.

الآن سيببدأ العمل على إعداد تآريخات حربية، وأحاديث مثفقة وليس مجرد "تبريرات" مملة (نظرا لكونها مكررة وتتفتر إلى المنطقية) لتثبيت إجراء النفسي. بالتأكيد هناك من أصر على مسح الملك فيليب الثالث بإفراع، ولكن بدأ تتضمن معلومات متصلة بالاهتمام حول المعارض، كما ظهرت مراجعات تاريخية لم نطلق عليه عملية استعادة الأرض، إضافة إلى الكثير من الاقتراحات لوضع الموريسكيين، وهو ما تتطلب الكثير من الجرأة آنذاك- وبعض التوصيف الحقيقي للقضية، والقليل من وجهات النظر غير العدائية أو التي لا تصر على تبرير ذلك الإجراء. حتى إنه هناك أخبار مضحية عن إجراءات اقتصادية. كل هذا ظهر في ثوب جديد من خلال أناشيد ملحمة كتلك التي ألفها ثابات أو حوارات كما في مؤلفات (رنيو)، أو على هيئة طلب كذلك الذي صاغه (غوناليث دى ثيريجو).

5-3-1: أنطونيو كورال إيزاخاس

تتفتر هذه النصوص من وجهة النظر الأديبية إلى الجودة بشكل واضح. فاهتمامها لا ينصب على القيمة النثرية أو الشعرية بقدر ما تنقل لنا من معلومات.
إذا ما تتبعنا التسلسل الزمني سنجد أن مؤلف أنطونيو كورال إر روخارس هو أول
هذه الأعمال. قام هذا الرجل العسكري بنشر كتابه "تاريخ شورة المورسيكيين
Relacion de la rebelión y expulsión de los moriscos del Reyno de Valencia
дерدهم من مملكة فالنسيا" (111) ونفى المجلد ظهر "رسالة للتحذير
فمن نشوب الحرب" Tratado de advertencia de Guerra
لنفس الكاتب. هذا الفارس الذي يتبع مذهب القديس سانتياغو يروى لنا آخر
المواجهات الحربية ضد المورسيكيين والتي دارت على الأراضي الإسبانية. فنص لنا شخصيات وأماكن
ومعارك كلها مرتبطية بالأحداث الدائرة. إنه صراع في مواجهة خونة ومارقين،
ولكنهم أعداء يعذبون بالقوة والجسراء (111).

لم يكن كاتبنا راضيا تماما عن قرار الطرد، فقد وصفه بالتراضي نافذا إياه
لتمكينه المورسيكيين من اصطحاب ممتلكاتهم معهم عند خروجهم. تم طرح العمل
Agustín Mexía على هيئة قصة مدح للسيد أغوستين ميخيا
على هيئة قصة مدح للسيد أغوستين ميخيا
بطولة المسيحيين وهمجية المورسيكيين التي يبررها تماما كونهم جماعة من
المارقين، وقد قدر عدد المورسيكيين المنفيين بمانة وأربعين ألفا تم طردهم من
فالنسيا (114).

كورال إر روخارس رجل عسكري، ويجب أن يفهم كتابه من هذا المنظور
فما من داع لتفسير الطرد. على ذلك فإن كورال يستند إلى حكم مسبق:
المورسيكي مخلوق لا يقبل المصالحة، لذا فالحل الوحيد الممكن هو طرده. يتناول
الكاتب قصة حملة عسكرية تأخذ الحكم فيها أسلوبا قصصيا تسهم قراءته وهو
قرب إلى التاريخ الذي يتناول الحروب الغزائية منه إلى المؤلفات التي تحاول
توضيح أسباب طرد المورسيكيين.
يذكر كتاب "طرد سيميون ثاباتا فالنبيانو للموريسكيين من الجبال ومن مويلا دي كورتيتس" لبيهينتي بيريث دي كوياما Muela de Cortes por Simeón Zapata Valenciano إلى الجودة المطلوبة. العمل مقسم إلى خمسة أنشطة تتناول الفترة الواقعة ما بين الغزو العربي وطرد العرب Nehania من إسبانيا. والكاتب يوضح الهدف من المؤلف على النحو التالي:

أنشد للحملة التي تكفلت بأمرها
للشجاعة التي استعمر بها فيليبي
يرميه البربرى الطريد بحنق
ويرى تاجه من ليبيا
أما آخر ما تبقى من رفات القديسين
في حوزة كتيبة من قطاع الطرق المدني للمقدسات
هو بسبب البطولات
والمجد الخالد في تاريخ وطننا إسبانيا:
أدت شجاعة سيميون ثاباتا
هذا الفائق العظيم، صاحب الشرف والسعود
إلى انتشار/عموم السعادة في وطننا الحبيب
لتبقى حاضرة في ذاكرة من خلفه

67
أصداء تلك الحملة البطلية التي اضطخل بها
لينهيها بهذا النصر المجيد
تاركا وطنه يشعر بالحرية
التي حققتها بالحيلة ثم بالسيف. (115)

ويستعرض مراحل الفتح المختلفة وصولاً إلى استعادة الملوك الكاثوليك
لفرناتي. الخضوع الأخيرة في هذه العملية هي قرار الطرد الذي ألقاه فيليب الثالث
والمعارك التي شهدتها جبال فانوسا. إن مرسوم عام 1009 الذي أقره الملك هو
تتمة الفتح الذي اضطخل به سيميون ثاباتا. وقد جاءت رواية الحملة التي شنها هذا
الرجل على هيئة ملحى:

حتى قام ثاباتا بقطعته
بإخضاعهم وحملهم على الاستسلام
لبهدي وطنه وملكيه ذلك النصر
والشرف الجلي والشهرة الكبيرة والنصر الخالد. (116)

وهو الطابع الذي تحلي به المؤلف بأكمله، وهناك أيضاً طرح لمناظر
الطبية والأعداء:

فكان من كيد البربرى الشجاع
تحدثه من هذا المكان الشاهق
من داخل هذه الأدغال الكثيفة
متواريا بين ظلال الليل المعتم... (117)
وقد بلغت الإشادة بالموريسكي ذروتها في الأبيات التالية:

كانوا بدون أشد ضراوة وإرهابا
بليسون جلودا خشنة
ليست كجلود الخنزير الناعمة
فهم لا يحبونها(118)

لا تخلو حملة ثباتا من العناصر الخارقة للطبيعة والتي تمثلت في زيارة
حورية من نهر توريا له لإقناعه بأن يأخذ عليها مسألة الطرد. إن الإقلاع
والشرف والمسلم والمسيحي والموت كلها عناصر تم تمجيدها ليكون النصر في
النهاية حليفًا لحزب الحقيقة.

كان هذا وضع الحملة

عندما تدخلت عناية السماء
للتعاون في طرد البربرى العنيد
الذي ألقى هدوءها وسبب لها العناء
وهكذا قام الفارس سيمون ثباتا
بعدما تأثر قلب الشجاعة

ليؤيد ويساند هذه الحملة المباركة

وكان على صعوبة تنفيذها كثير من الإجماع(119)

يختتم الكتاب بنقد الموريسكي والتعبير عن الفرحة بالانتصار على العدو
وحشي وهمجي. إن أطلا أو عاجلا كان لابد من طرد الخائنين:

69
يا لسعادة بفناها
تلك القنّة الدنيئة، الخائنة، الهمجية، الوحشية
يا لجنونها وجرأتها وقلة إحساسها
لقد كانت تتربص بالسيحية كما الساحر
يا لسروري برؤيته يحقق
هذا النصر الكامل المحقق
مع تصاعد ذروة هذا النصر الكبير
أضع نهاية مجهدة لهذا النصر الأخير

ولد الانتصار على جماعة قليلة العتاد - هزمت منذ اللحظة التي ثارت فيها
على سلطة تفوق إمكانياتها إلى أقصى حد - شعورا بالفخر. لم يكن هناك مبرر
لحملة معايدة الإمبراطورية سوى اللهجة والرغبة في البقاء على قيد الحياة.

7-3-1: مينينديث دى باسكونتيوس
آخر الأعمال التي تروى طرد الموريسكيين من فلنسبا هي كتاب البرتغالى
مينينديث دى باسكونتيوس Menéndez de Vasconcellos وعنوانه "عصبة حلها Liga deshecha por la expulsión de طرد الموريسكيين من الممالك الإسبانية". هذه المجموعة الشعرية تشبه سابقتها من حيث بنائها. يرى هذا المؤلف أن عملية استعادة الأراضي الإسبانية بعد
خيانة الكونت خوليان استمرت منذ حكم ملوك عائلة أوستريا الأولين وحتى فيليبى
الثالث المجيد. هذا ولا يتناول باسكونتيوس شخصية الموريسكي بقدر الازدراء
الذي أضافه عليها بيريث دى كويًا. أما استعادة الجبال الفالنسية فقد تم تحليقها كما لو كانت أحد فصول ملحمة شعبية:

مجيد إسبانيا شرف العالم بأسره
حققت أرجل فضية وأيد ذهبية خالصة

هذه الأمة المحاربة منقطعة النظر
هي الدعامة التي تساند الخير الإلهي
يا من غلبت شجاعتكم البحر العميق
رغبة في الجنة المسيحية
فهذا ما تستحقونه

يتعرض الكاتب في أثناء روايته للأحداث لظواهر خارقة للعادة تحالفت مع المسيحيين لتحقيق النصر: "... قال المسلمون إن امرأة ترتدي عباءة زرقاء وتستل سيفا أجهزت عليهم..." كان باسكونثيوس - وهو فارس برغالي - مشارك في الأسطول الحربي الذي بعث به كونت نيبيلا والقائد العام لساحل أندلوثيا مانويل ألونتو بيريث دى جوثمان، ولذلك فهو يصف لنا جانبًا كبيرًا من الأعمال العسكرية التي قام بها الأسطول ضد سواحل شمال إفريقيا وذلك عقب خروج الموريسيين من إسبانيا.

يطرح الكاتب الطرد على أنه أمر واقع، وقد منعه طابعه العسكري من تكوين الحجج التي تبرر قرار الملك. يفيد هذا النوع من الكتاب في التعريف بالثورات الفالنسية حيث يمدنا بالمعلومات وأسماء المشاركين والمعارك الرئيسية والمناشدات التي كانت تهدف إلى القضاء على الجماعات المشهقة، بيد أنها...
لا تساعدنا كثيرا فيما يختص بوصف الأجناس البشرية وتأقلم الموريسيين - أحيانا توجه بالأحل بطرق معيشة المتصررين الجدد - وقيمتهم الشعرية.

يجب أن ننظر إلى لجوء عدد كبير من الموريسيين إلى السلاسل الجبلية على أنه أمر ينبع من رغبتهما في البقاء في الأرض التي ولدوا عليها وعملوا فيها لقرون عديدة. نظم أولئك الثوار أنفسهم في جماعات مقاومة تستهدف ضرب المسيحيين القدامى من مواقعها في الجبال. كان مع هذه الفئة المتقدمة المسلحة أمرا صعبا وذلك لوعورة التضاريس وشعورهم الجيدة بالمناطق التي سكنوها. دافعت الأقلية الفانلسية عن نفسها بأسلوب مشابه لما انتهجه الغربانيون في عام 1568. بعد عامين من المعارك الدائرة وسط الجبال نقص عددهم ونفيت آخر الجماعات التي بقيت منهم. كانت احتمالات انتصار الموريسيين في هذه الحرب المصغرة شبه معدومة، فقد كانوا جماعات كبيرة العدد قليلة الذكية تفتقر إلى المؤن والماء والأسلحة. وهي جموع غير متجانسة يمثل فيها النساء والشيوخ والأطفال بالنسبة للمقاتلين عقبة لا يمكن حلها. أكد دومينيك أورتيش و ب. بيرنت في كتابهما أن "هم تلك التحصينات البدائية والقضاء على مقاومة حشود تفتقر إلى النظام كان أمرًا غاية في السهولة بالنسبة للإيطاليين الذين وصلوا إلى إسبانيا لتأييد الحملات العسكرية، بيد أن صفوفهم تم تخل من الضحايا مما أثار حفيظتهم. فإن ما فت في عضد المحتمين بتلك الدروب الوعرة كان الجوع والعطش والتعب أكثر من الحديد والنار."

3-8: مارتين غونثاليث دي ثيوريغو

Martín González de Cellórigo

أول كاتب يطرح مسألة التعايش مع الموريسيين هو مارتين غونثاليث دي ثيوريغو في كتابه "المذكرة... إلى جلالة الملك فيليب الثاني يمتدح التزام الرعية"
Memorial... a su Majestad Felipe II encareciendo la
obligación de los vasallos en avisar a su Rey y Señor los daños que
causan los nuevamente convertidos de Moros a estos Reinos

بـتحذير ملكهم وسـدهم من الأضرار التي تـسبـب فيها مسلمو المملكة المتـنصـرين
الملك الحكيم للتخلص من الموريسيكيين وهكذا فإنه من الأفضل عدم وجود هؤلاء
الأعداء المحليين، وإذا لم يوافقوا على نقل حياتهم من هذا المشهد عندئذ يتم تنفيذ
بنود قانون العقوبات الذي ستدفعهم صرامته إلى إنهاء وتحجيم جرأتهم التي أسفرت
عن العديد من السلبيات في تلك الممالك، وكذلك طردهم منها...

133) أرسلت هذه
المقتترحات إلى البلاط الملكي من باباولد في
1597.

يتناول المؤلف في الجزء الأول من العمل واجب تحذير الرعية للملك من
الأضرار التي تسبب فيها الموريسيكيون، عارضا في الجزء الثاني اقتراحه بـطرد
هذه الفئة استنادا إلى عوامل دينية... الإهانات اليومية - التي لا تختصـ
الموجهة من هؤلاء الموريسيكيين إلى الرب لا تقتصر على كونهم ليسوا مسيحيين
- وهو أمر معلوم للجميع - وهم يمارسون عقيدتهم الماجنة تحت هذا المسیم، إلا
أنهم يعدون كذلك وبالا على كل ما يتعلق بخدمة الـرب... 131) ومن أسباب
أخرى ديمغرافية "... وفقا للمعدل الذي يتكاثرون به وتناقص عدد الـمسيحيين
فإنهم سيسودون في القريب العاجل، وهذا أمر واقع نتج عن مغادرة المسيحيين لهذه
الممالك للمشاركة في حروب أو ارتباطات فرضت عليهم، بينما يظل الموريسيكيون
قابعين في منازلهم وبين أبناء جدتهم. المسيحيون يدخل الكثير منهم في خدمة
الكنيسة/الرهبنة، في الوقت نفسه لا يقوم هؤلاء بالأمر ذاته حيث يرشدـهم نبيهم
الزائف في القرآن إلى وجوه نكارتهم وعليه فإنهم لا ينشغلون بأمر آخر. لذا فإن
معدل زياحتهم العدائد بيث الربع في قلوب الجمع132) وكذلك أمور تنطق بالأمن
الداخلي... لنر، كما هو واضح أنهم جمعوا كل الأسلحة المتوفرة واحتفظوا بها

73
سرا... عندما يتعلق الأمر ببراجي خارجى على القانون كهؤلاء فإن أمتلاك الأسلحة يعد أمرا خطيرا. (148) هكذا نجد هذا الكاتب المطالب بإخضاعهم للضرائب يسبق عصره، على الرغم من أنه هذه المره يتلاعب بالأشخاص، حيث يبرز هذا الاقتراح تقل وزنه كمحام لمحاكمة التقنيش في باباوليد في شخصيته أكثر من كونه ناضدا. أما كتابه الحافل باستشهادات من الإنجيل وتبريرات دينية فإنه جدير برجاء دينين أكثر منه برجل يدرس ظواهر اقتصادية.

Aguilar Gaspar

٢-١٩: غاسبار أغلار

تعد قصيدة غاسبار أغلار التي تحمل عنوان "طرد مسلمي إسبانيا على يد صاحب الجلالة الملكية فخامة الملك فيليب الثالث" Expulsión de los moros de España por la S.C.R. Majestad del Rey don Philipe Tercero أكثر القصائد التي أطرى عليها معاصروه مثل خايمي بليدا على سبيل المثال.

كانت العقيدة هي الدافع وراء قرار فيليب الثالث طرد الموريكيين:

وصل صوته الرصين إلى أعماق النائم

عندما قال فيليب الكبير:

انهضوا الآن واشرعوا في الهجوم

عندها ستبدأ السماء في تأليدهكم

أنا العقيدة، ومن أجل نقائها

أرسلت قبطانات تلك السفينة

***

74
تشعر السماء بالرعب والإعجاب
عند رؤيتها لاستضافتكم على أرضكم
من ماضوا في اندفاعهم وحماقاتهم
وشهد الجميع بعذارتهم (130)

بعد الإطراء على العاهل، كما هو معتاد في هذا الأدب التبريزي، يعده لنا العواقب الاقتصادية الناجمة عن الطرد
دعاً عن عقيدتنا وحتى نحن بها
عليينا جميعا التضحية بحياتنا وخدمتها
لأنك أنا جميعا بهذا ملتزمون
ونحن لا نبالي بالموت أو فقد العائد
الذي يساعدنا في الحصول على قوتنا
لا أدمج السادة
مع أن واجب الإشادة بهم,
فلو وضعوا حياتهم بين أيادي الرب
لأصبحوا أثرياء ينعمون بالسعادة...

لكن هذه الدراسة - غير المعهودة آنذاك - تخلص إلى عرض حلول متتالية للقضية ولكن بتعدد الجوانب البطولية كما هو معتاد في الأنشيد الملحمية. وكـان أغيلار أكثر أمانة من معاصريه في أثناء طرحه لموقف الموريسكيين الثائرين في فالنسيا
عندما شعر المسلمون بالحماسة النادرة
التي ميزت جنودنا الأقوياء البواسل
أقرأوا بسوء أوضاعهم
وخرزوا تحت أقدامهم النبيلة
وهم ينمط حياتهم هذا يجمعون المال
ولا يدركون (لغبائهم وعدم إتزانهم)
أنهم بامتناعهم عن الطعام يفقدون
ما سعوا للتمتع به... (132)

يبدو أن حالة المسلمين كانت سيئة، فقد ألهموا الشاعر هذه الأبيات:

الرحمة الإسبانية الواسعة
دعت إلى إطعامهم.
فقدمنا للمسلمين الأعداء.
الخيز والزبيب والتين (133)

في ضوء ما تقدم نجد أن بعض مقاطع قصيدة غاسب للأغيلار تبرز لنا قدر
تأثره بتنفيذ قرار الطرد، لذا فإنه عند عقد مقارنة بين هذا العمل وما سبقه من
أعمال تظهر لنا اختلافات كبيرة. فهنا يكتشف لنا جانب أكثر إنصافا وإتزانا، أو
يعكس على الأقل الوضع المأساوي للمنفيين:

كتيبة من المسلمين والمسلمات
tذهب لشأنها وتستمع للإهانات
موثوقين بالكنوز والثروات
محملات بالحلي يلبسن الحلل
الشيوخ حزاني تذرف أعينهم العبرات
يعدون القدر ويجهوزون الرحال
ملحات جميعها بالحلي
المراجل والأباريق والقنادل
أما أبناءهم الأعزاء
 فأقاموا على بيعهم لذوينا
فقط من أجل كسرة من الخبز...
من ذا يشير إلى المصير الحزين
لاولئك الذين ركبوا في السفينة
أما آلام الموت الفظيعة، فقد علم الجميع
أنهم يعودوا أقل إيلاما وترويعا(130)

وهو يجازف في محاولته التوصل إلى عدد المترودين الذي قدره بعد: "مائة وثلاثين ألفا دون أدنى شك. إن المجد الذي حققه بالنصر لهو حصاد مر إزاء هذا المشهد المؤسف. حساسية هذا الشاعر ساعدت على نقله لأحداث أغفلها بباقي المؤلفين في غمار تقبلهم للاهتمام وتحويله عن هذه "البطولة المجيدة". ربما يكفى هذا الأمر في حد ذاته لصياغة نوع من التعرف بقدرة غاسبار أغيلار على "الرؤية بعينيه" بدلا من ترك نفسه يتساق وراء الشعر بالانتصار وتبيان الجدل.

الدينى.
Juan Ripoll

el diálogo de "حوار للتعزية بسبب طرد الموريسكيين من إسبانيا" consuelo por la expulsión de los moriscos de España

خوان ريبول هو عمل آخر يكسر نمطية التأريخ الموسيكي، وهو حوار متقف وقراءته أمر معقد نظرًا لوفرة الاستشهاد بالمؤلفين الكلاسيكيين أمثال ألبرتو وسيرابيون. المحاور الأول هو بطريرك عالم يجيب على الشكوك التي تراود سيرابيون إزاء نفي الأقلية. الكاتب يهاجم أفراد الأقلية رويدًا رويدًا على مدار الفصول أو "المقاطع" التسعة للمؤلف.

يقوم ريبول بانتقاد شهم في الفصول السبعة الأول: "ألبرتو... فالبخيل لا يخالف طبيعة الأشياء فحسب ولكنه يخالف إرادة الزباق لأن مسميته الإلهية تتضخ في كل الأمور والبخيل يقوم بالأمر ذاته... فكما يتربى الصدا على الحديد والخضدة على الفاكهة، فإن الشح يولد خصالا سيئة".

يشكك سيرابيون في صواب هذا الإجراء غير المعتاد وما يمكن أن يسقوه من أضرار. يجيبه ألبرتو مذكرا إياه بعمليات الطرد السابقة جميعها وما أسفرت عنه من أمور محومة: "سيرابيون: حسنًا، ألم يكن بالإمكان اتخاذ إجراءات أقل فظاعة قبل طرد الموريسكيين؟.

ألبرتو: أحسنت فيما قلت، ولكن لابد لي من تبيهك إلى أن هذه كانت طوارئ أخرى (4) وجماعة محمد هي أكثرها ضررا على الإطلاق. (13) الطرد لا يتسبب في أي ضرر حيث "استجاب الزباق إزاء هذه العسرة بوفرة الحصاد: إذا اشترى بعشر عملات ما تبلغ قيمته عشرين عملة، فإنه في النهاية ساكن أيضا

(4) يقصد اليهود بالتأكيد، فقد طردوا من إسبانيا عام 1492. (المراجع)
شخصًا ثانياً، وصول إلى اقتراح عودة قطاع عريض من الشعب لممارسة الزراعة لتخفيف الآثار السلبية لهذا العامل.

النقد الرئيسي الموجه للموريسكي هو طريقة حياته المتشابهة (فهو يعترف عن تفهم أسلوب حياة مغاير لحياة المسيحية القديمة)، وكذلك خيانته للملكة والاتفاقيات التي يرميها مع الأتراك.

يعزى سيرابيون صعوبة التعايش بين الثقافتين إلى "مكر الشعب الموريسكي ومغالاته في الإباحية" وهو يرى أن الخطر الذي سنجم عن بقاء الأقلية في شبه الجزيرة لا يكاد يذكر، بل أن نصائح البطريرك الحكيمة تغلبت على هذه الحجة المتزنة... ومعالجة الاضطرابات القليلة: كما في حالة الأبهر التي تتصاعد شيئا فشيئاً ثم تتحول فيما بعد إلى برق شديد وصواعق (١٣٩\).

العداوة بين الموريسكي والمسيحي القديم تتبع من الخلافات الدينية بينهما، طرد الموريسكيين أمر عادل. إنهم على الرغم من تنصيرهم ظلوا ملحدين. فيما يتعلق بأثر أضرار الطرد فادحة كخسارة الإيجارات/العائدات والأموال وتضاؤل عدد السكان، يقول ريبول على لسان ألبرتو "بالنسبة لهذه الأضرار فقد أفقدهم البخل أسباب الفضيلة والوصول إلى المجد"(١٣٩). إن عقم إسبانيا الناجم عن قلة السكان، يعوض الاستقرار الداخلي. بعد الطرد؛ أعظم الأحداث المجردة في ذلك الوقت: "وهكذا فلتتعلم يا سيرابيون أن الطرد كان وحياً لإلهى، وحيطة تدعو إلى الإعجاب، وقراراً عظيمًا وحكمة قال الشعراء عنها إنها من عند الرب. "(١٤٠)

Juan Luis de Rojas

١١-٣-١٠٥ خوان لويسي دى روخاس

ربما يكون كتاب "بيان بعض حوادث البربر الأخيرة: خروج الموريسكيين من إسبانيا وتسليم لاراشي" Relaciones de algunos sucesos postreros de
يروى الكتاب كيفية الاستيلاء على ميناء العرائش وأرسيلة Larache وampling Arcila الموريسكيين. بدأ الكاتب في المقام الأول بتلخيص مشكلة الألفية وطرحها علينا: كان موريسكي إسبانيا ذوي أصول مختلفة، ولكنهم ينحدرون جميعاً من مسلمي إفريقية: فكان الأرغونيون والفالنسيون والقطالانديون هم من حافظوا في إقليم فالنسيا على شريعتهم وأزيائهم. مع تطبيق القانون تنصروا وتردوا ملابسهم على غرار ملابسنا، فإن إيمانهم كان زائفًا كلفتهم، ومن الممكن التأكيد على عدم وجود مسيحي واحد بينهم، أو من هجر التحدث بالعربية سوى أولئك الذين يجيبون التحدث بعدة لغات ممن تواجدوا في المدن الكبرى: فسكان أندولونيا وشمالها هم من دخلوا طواعية في عقيدتنا عندما انتصر الملوك الكاثوليك على مملكة غنسطة، وذلك بعد الثورة التي أخمدتها الملك فيليب الثاني، وقد تم توزيعهم بين القشتاليين بعد عدة سنين عاشوها وهم يدخرون في صبر، وعندما زرونا بيوتهم رأينا أنهم لا هم إلا التكاثر والإثارة، وقد أدرك الجميع أنهم لا يشاركون بنا في الحروب ولا يلتقيون بالكهنوت أو خدمة الكنيسة أو البحرية، وإنما يعتمدون بالتمتع بالأموال المسيحية بينما يعيشون في الظاهر حياة مرتاحة. (141) إن صياغة هذا المؤلف له في دون شك أكثر واقعية وصدقًا في كتابات مؤلف القرن السابع عشر. كنتيجة طبيعية للأدلة السائدة في تلك الفترة نجد بعدة الطرد، فالخروج عن الإجماع على المبادرة الملكية هو أمر من الصعب أن يتحلى به كتّاب المشكلة الموريسكية. امتثال روحنا للقرار، بيد أنه لم يتم سوى بعرضه في النص دون التأكيد عليه، وهو ما اعتدناه من كتاب آخرين. وهو يرسم لنا مشهدًا مظلمًا لوضع
إشببالية بعد أن تركها هؤلاء المورسكيون، ملمحاً إلى تأثير هذا الإجراء على بعض الأفراد الأبرياء لأنه لم يكن مفيداً لإسبانيا في بداية القرن السابع عشر.

ويصور لنا الطرد كحادث حزين يبان تنفيذه وكذلك فيما يخص مصير المنفيين: "...أخذوا من كل شخص ست عملات مقابل إيصالهم إلى مارسيلياء، وبعد أن أبحروا لمدة عشرة أو اثني عشرة يوماً على ظهر المركب تخلصوا من ما يربو على خمسة آلاف شخص على شواطئ الجحيمات مخبرين إياهم أن هذه هي الأراضي الفرنسية وضعفون على الأرض أولاً ثم تركوه دون أدلة شفقة بعد أن زودوه بدنز بسير من ملابسهم فحسب دون أي نفائس أو أسلحة، محاطين بما يزيد على ألف فارس عربي... وقد عادوا جميعاً إلى تطوان والقصر والعشرين، ربما لكونهم قد استشعروا هناك الأجواء الإسبانية." (34) يبنى الكاتب نفسه على بقاء بعض المورسكيين في إسبانيا بعد اعتبارهم مسيحيين صالحين.

تكررت في أعمال بلان بيردو و ديبيو إسكولاتو (أسقف غرناطة) كل النقاط التي عرضها حتى الآن بقية الكتاب المعاصرين له. إنه تأريخ مملوء بالتكرار يهدف إلى إقناع القراء بما فيه. لم يثير طرد المورسكيين أي نوع من الانتقادات في النصف الأول من القرن السابع عشر. مع وصول فيليب الرابع إلى العرش كان المشهد في إسبانيا قد تغير كلياً وبدأت تظهر بوادر آراء معارضة للإجراءات الذي تتبعها في عام 1509. أن يسمح الملك نفسه للكثيرين من سلالة المورسكيين بالاستقرار من جديد في شبه الجزيرة له دليل قاطع على حدوث تغير في عقلية حكامنا.
اللهامش

(1) يعتقد أن تطور حرفة النقل بواسطة البغال في إسبانيا خلال القرن السادس عشر يرجع لعدد الموريسكيين الكبير الذي مارسها.

Las comunidades de Castilla, Marvall, "مجتمعات قشتالة". يرى خوان إغناسيو غوتيريث نيتو Juan Ignacio Gutiérrez Nieto أنها لم تسهم قط في الصراع.

(3) García Cárcel, R., Las Germanías de Valencia

(4) اقترب الأسطول التركي بقيادة بيالي باشا Piali Pacha من المواقع الإسبانية على البحر المتوسط. أوضح كل من المتخصصين في القرن السادس عشر والدراسات الحديثة أن الموريسكيين في أثناء حصار مالطة قاموا بتسجيل معلومات عن قوة الأسطول الإسباني الذي استطاع بمساعدة المحاصرين.

(5) Regla, J., Estudios sobre los moriscos

(6) وفقاً لما ذكره مارمول كارباخال، فإن ابن أمية يعتقد أنها ستكون ثورة قصيرة المدى ولا تتسم بالقوة.

(7) هذا القصص يحتوي أساطير وخرافات وحكايات متعلقة بالمسلمين والموريسكيين.

(8) Braudel, F., El Mediterráneo y el mundo mediterráneo en la época de Felipe II

(9) García Arenal, M., Los Moriscos y la Inquisición

(10) Regla, J., Ibíd., pág. 51

(11) García Arenal, M., Ibíd., pág. 287.

el Diálogo de consuelo

(12) أحد الأمثلة الجيدة على ذلك هو "عزاء بسبب حرب طرد الموريسكيين". لخوان ريبول sobre la expulsión de los moriscos. شكل رجل من العامة حول نفسي الأقلية.

82
(13) Compendio de industrias en los ministerios de la Compañía de Jesús con que prácticamente se muestra el bien acierto en ellos

(14) Domínguez Ortiz, A., crisis y decadencia de la España de los Austrias, pág. 11-73.

(15) كان موقف اليسوعيين هو الانتعداد عن هذه المشكلة، فكان منتقدو الأقلية بصورة أساسية هم الرهبان الدومينيكان وصغار رجال الكنيسة في فالنسيا وغرناطة.

(16) Ibíd., pág. 32.


(20) Herrera, F., Clásicos Castellanos, núm.26, pág. 269.

(21) Justa poética, B.A.E., XXXIII, pág. 269.

(22) Premáticas y aranceles generales, pág. 7.

(23) Edición de Aurelio de Fernández y Orbe. Biblioteca de Autores Españoles.

(25) Ronda de la lealtad y lealtad en el reino de Castilla, Tomo III, Madrid, 1622.

(26) Restauración política de España, Edición de Jean Vilar, Instituto de Estudios Fiscales, Madrid, 1974, pág. 135.

(27) ....Madrid, 1625, discurso VII.

El coloquio de los perros

(28) Breve historia de los moriscos en España.


Bernardo Blanco (4) la tipografía utilizada en esta obra es la tipografía de Carlos González, D. N. S., a la que se han agregado algunas correcciones manuscritas.

(35) Se puede encontrar más información sobre esta obra en la Biblioteca Nacional de España, Madrid. La obra fue publicada por primera vez en 1974.

(36) Pfandl. Historia de la Literatura Española.

(37) Domínguez Ortiz, A. y Vicent, B., Historia de los Moriscos. Vida y tragedia de una minoría, Madrid, 1979, pág. 9.

(38) Caro Baroja, J., Los moriscos del reino de Granada, pág. 17.


(40) Ibíd., pág. 178.

(41) Ibíd., pág. 280.

(42) Ibíd., pág. 95.
يرى التاريخ التقليدي أن فليب الثاني كان يعاني من إضطرابات نفسية كما كان ينظر إلى دوق أوستريا بازدراء. حيث مثل بالنسبة له صورة طبق الأصل من والده. إذا فهو كان يخشى استيلاءه على مقايدة الحكم في بعض ممالك الإمبراطورية الإسبانية.

(46) Ibid., pág. 96.

(47) استخدمت الطبعة الموجودة في B.A.E., المعجل 21، صفحة 123 وما تلاها.

(48) D. Ortiz, A., y Vicente, B., ibíd., pág. 25.

(49) يصعب للغاية التخلص عن فكرة عدم تحالف هذا العمل وكتاب السيد دييغو معاً. لابد من الوضع في الاعتبار أن "التاريخ الذي كتبه مارمول كارباخال والذي يجمع قدرًا غير معقول من البيانات... لا يدين لـ "حرب غرناطة" سوى بتأييده بإبهاء، خاصة فيما يتعلق بعدد من الأحكام على بعض الشخصيات". "حرب غرناطة" طبعة بلانكو - غونثاليث، صفحة 83.

(50) Ibid., pág. 365.

(51) يخبرنا مارمول كارباخال أن فرناندو بالور كان يود jednak إلى إيطاليا وغليانديس ليعيد جمع الثروة التي كان قد بدها، وذلك في نفس التوقيت الذي وقعت فيه الثورة.

(52) Ibid., pág. 201.

(53) يصف مارمول الحرب بأنها "نهاية". هذه هي رؤية جماعة المسيحيين الجدد التي منحت نفسها الحق في السبب وعدم دفع الضرائب الملكية.

(54) قام بلانكو غونثاليث وكل من أورتيث وبيبسينت المتمردة، وذلك في الأعمال سالفة الذكر.

(55) صدر الجزء الأول في سرقسطة في عام 1595 تحت عنوان تاريخ جماعتي الثغريين وبنى سراج - فرسان مسلمون وموسيحيون - حتى انتصار الملك فرناندو، وهي نبوءة ظهرت حديثًا في كتاب
عملي ألفه كاتب مسلم من غرناطة ذو رؤية اسمه ابن أمين، يتحدث فيه عن نشأة هذه الجماعات. هذا العمل ليس سوى رواية قائمة على أحداث حقيقية. يتضمن السرد بعض الحكايات التقليدية في الأدب الموريسكي الأندلسي. تعد طبعة بلانشارد ديموج هي الأكثر إثارة للاهتمام فيما يتعلق بالجزء الأول. أما الجزء الثاني فявوي في المجلد الثالث، مدريد، 1975، وهو العمل المستخدم لإتمام هذه الدراسة.

(56) Ariban, Carlos (introducción a la segunda parte de las Guerras Civiles de Granada, BAE), pág. XXXVI.

(57) يصف بيريث دا إيتا ابن أمية ب "الملك الضني" مشيתכנ على اللقب صعبة احتقار.

(58) Ibíd., pág. 610.

(59) Ibíd., pág. 650.

(60) Ibíd., pág. 591.

(61) Ibíd., pág. 592.

منع تماما الدخول بالأسلحة إلى قاعة الاجتماعات بمباني البلدية، فيما يتعلق بتعيين فرناندو بارو قائدًا للحركة، فقد كان نسبه تأثير أكبر من هذا الحدث النادر. مع نشوب الحرب تم إحياء كاففة التقاليد الإسلامية، بما في ذلك تعدد الزوجات. هذا الخبر ليس صحيحا على الإطلاق وينسب لخيلاء المؤلف أكثر من الحقيقة.

(62) Ibíd., capítulo III.

(63) مع نشوب الحرب تم إحياء كاففة التقاليد الإسلامية، بما في ذلك تعدد الزوجات. هذا الخبر ليس صحيحا على الإطلاق وينسب لخيلاء المؤلف أكثر من الحقيقة.

(64) كان ابن أمية أمرلا لأكثر الجماعات المتمردة تطرفًا. مع اغتيال ابن أمية أصبح الموريسكيون أشد تطرفًا في مطالبهم وأضحت الحركة أكثر أصولية. كانت الثورة تنهار داخلياً، حيث أيد أحد القطاعات الاستسلام بينما حاول الآخر الاستمرار في حرب خارثة تمامًا. تولى الحصاد السلبي لأحداث عسام 1570 التقاءه نهاية على المقاومة القليلة المتبقية. حصل العمل الأول على إحدى الجوائز الهامة في تلك الفترة.

87
(65) Ibid., pág. 593.

R. 15.119 و R. 44.401 B.N.M. بمسلسل

على التوالي. حصل العمل الأول على إحدى الجوائز المهمة في تلك الفترة.

كانت البطريرك ريبيرا واحدا من أكبر المعاصرين للأقلية، فقد كلف رجل الكنيسة خايمي بليدا

Defensio Fidei... بتأليف كتاب "الدفاع عن العقيدة"...

(68) Crónica... prólogo.

(69) Ibid., Pág. 941.

(70) Ibid., Pág. 947.

(71) Ibid., Pág. 863.

(72) Defensio, pág. 37, tratado I.

(73) Crónica... pág. 869.

(74) Ibid., pág. 870.

(75) Ibid., pág. 872.

كان نبلاء فانسيا من أشد المدافعين عن الموريسكيين، ويتضمن بصورة أساسية مسئولية بقاء الأقلية على

دائنها. في السنوات الأولى من القرن السادس عشر تلقى الموريسكي معاملة مميزة من محاكم

التفتيش وقد تغير هذا الجو العام بعد حرب غرناطة.

(76) Ibid., pág. 880.

(77) Ibid., pág. 883.

فى السنوات الأولى من القرن السادس عشر تلقى الموريسكي معاملة مميزة من محاكم التفتيش وقد

تغير هذا المنظر العام بعد حرب غرناطة.

(78) Ibid., pág. 930.
(79) Ibíd., pág. 984.

(80) Ibíd., pág. 1.031.

(81) Ibíd., pág. 981

R. (82) La tipografía utilizada en el libro original es de BNM. Del giusto scaccoimento 11.918. Este libro es una traducción al español del Padre de Moreschi de Spagna libri sei del Padre dell'Ordine dei Predicatoni de Moreschi de Spagna.

(83) Crónica..., pág. 949.

(84) Justa expulsión..., prólogo

(85) Se considera que la obra de los moriscos tenía una influencia de los siglos XVI y XVII en las reformas de la época. El libro se publicó en el siglo XV y es un análisis de las reformas de la época. Aquí hay un ejemplo de lo que se ha escrito sobre el libro.

(86) Ibíd., pág. 98. Libro I.

(87) Ibíd., libro 2. capítulo II

(88) Ibíd., fol. 91.

(89) Ibíd., fol. 260.

(90) Ibíd., Fol. 323-325.

(91) Ibíd., fol. 354.

(92) Ibíd., fol. 478.

هذا المثال مأخوذ من خايمي بليدا.

R. 2.856

(94) استخدمت النسخة المحفوظة في B.N.M. تحت رقم مسلسل 2.856

(95) Ibíd., pág. 152, parte I

(96) Ibíd., pág. 155, parte I

(97) Ibíd., pág. 3, parte II

(98) Ibíd., pág. 35, parte II

(99) Ibíd., pág. 115, parte II.

(100) Ibíd., pág. 102, parte II

R. 10.400

(101) استخدمت النسخة الموجودة في B.N.M. تحت رقم مسلسل 10.400

(102) Ibíd., cáps. V, VI, VII.

اقترضت الاستشهادات على الوصف البسيط للظاهرة.

(103) Ibíd., Fol. 38, 39, 40.

R. 16.526

(104) الطبعة المستخدمة هي النسخة المحفوظة في B.N.M. تحت رقم مسلسل 16.526

(105) Ibíd., Fol. 9-11

(106) Ibíd., fol. 39.

(107) Ibíd., fol. 76

(108) Ibíd., fol. 127

(109) Ibíd., fol. 157

(110) Ibíd., fol. 157-158

90
(111) استخدمت الطبعة الأولى الصادرة في عام 1243 هـ في بايبلويد والموجودة في ممشل 1659 لتحليق هذا الكتاب.

(112) هذه الأعمال تقلل من شأن القدرات القتالية للجماعات المورية الموجودة بالجبال والسهول. لم يكن لديهم إمدادات جيدة وكانت تجهيزاتهم ضعيفة ولم يتمكنوا سوى النذر السهير من الطعام. اتفقوا إلى القادة والخطط العسكرية المحدودة والتملص للجد. كان أملهم الوحيد هو سيطرتهم على الجبال واستخدامهم لتقنية حرب العصابات. لقد أظهروا مقاومة ضارية ولكنها لم تدم طويلا نظرا لأن بعضه.

(113) عند حدوث الثورة المورية في فانوسا كان ميخيا قد تقاعد في مستمرة ألماني وذلك بعد أن خدع خلال فترة حكم فيليب الثاني كقائد ميداني وحاك وقائد عام بكمبرا وأوسيدندي، أصبح فيما بعد عضوا بمجلس الحرب. أسترده أفعاله في القضاء بحص على بعض هذه المجموعات الجبلية.

(114) Ibid., pág. 40.

هذه الأرقام قريبة للغاية من التقديرات الحالية لأعداد المطرودين. حيث تحدث ريغلا عن 12000 إلى 17000 شخص، وتحدث بروت من 12000 شخص، وروتيت ألمانيا عن 12000 شخص من الموريكيين.

(115) استخدمت في هذا الموضوع الطبعة اللاحقة الصادرة في فانوسا في عام 1249 هـ، الكتيب الأول.

(116) Ibíd., fol. 19, canto I

(117) Ibídem., fol. 34, canto II

(118) Ibíd., fol. 26, canto II.

يمكننا التشكيك في صحة التأكيد الذي يفيد ارتداء الموريكيين لجولوا الخنازير البرية، حيث يحترم الإسلام أكل لحم الخنزير و مشتقاته كما يعتبر استخدام جلد بالنسبة للمسلم نذر سيبا. هذا التأكيد يبعث فينا الشك حول معرفة المؤلف بالواقع الموريكي.

(119) Ibid., fol. 41 v., canto III.
(120) Ibíd., fol. 60, canto V

R. (121) النسخة المستخدمة هي طبعة مدريد لعام 1612 المحفوظة في B.N.M. تحت رقم مسلسل 88

3.740

(122) Ibíd., canto IX

(123) D. Ortiz y Vicent, B. ob. Cit., pág. 184

V.E. (124) هذا الطلب موجود في 50/9 B.N.M. برقم مسلسل

(125) Ibíd., fol. 8

(126) Ibíd., fol. 6

(127) مارتين غونثاليث دى ثورريغو يضع في اعتباره الأماكن المهجرة بمملكة قشتالة. نظرًا لتزايد أعداد المسيحيين الجدد يومًا بعد يوم يعتقد ثورريغو أن إسبانيا تواجه خطراً كبيرًا.

(128) Ibíd., fol. 7

R. (129) النسخة المستخدمة هي الطبعة المحفوظة في B.N.M. تحت رقم مسلسل 12.484. هذا الكتاب كان لدى باسكوال غايانيوس الذي كتب في صفحته الأولى: "نسخة كاملة من عمل نادر يذكر سالاساً في الكاتالوج الخاص به أنه لا يوجد منه سوى نسخته الشخصية" Salvador.

(130) Ibíd., pág. 9

(131) Ibíd., pág. 16

(132) Ibíd., pág. 153

(133) Ibíd., canto VII

(134) Ibíd., pág. 190

Nicolás Assiayun (135) صدر هذا العمل في بامبلونا عام 1613 على يد الناشر نيكولاس أسيايون. ر. رقم مسلسل B.N.M. 16.526.
(136) Ibid., Fols. 2v y 3r

(137) Ibid., Fol. 6

(138) Ibid., Fol. 9

(139) Ibid., Fol. 17

(140) Ibid., Fol

R. (١٤٢١) النسخة المستخدمة موجودة في B.N.M., رقم مسلسل 13.503.

(142) Ibid., Fols. 21v y 22r

(143) Ibid., Fol.25v.

(١٤٤١) ... أوهام وزوال تلك الأوهام في ذلك الوقت. إضافة إلى كلمة عن موريسكي إسبانيا، مع عدد من التحذيرات لتوفير الحذر ... مذكرة موجهة لمكتنا حول قيام الموريسيين، انطلاقا من كثرهم للعقيدة والديانة المسيحية، بقتل المسيحيين القديمي (وبعض المسيحيين الجدد) المقيمين في البشائر في مملكة غرناطة في أثناء ثورة عام ١٥٦٨.
الفصل الثاني
بدء معضلة: التأريخ المتحرك والتاريخ المحافظ

1-2: تأملات عامة
مع نهاية آخر حكام أسرة أوسترياس Austria ووصول عائلة Borbón إلى الحكم في إسبانيا تراجعت المشكلة الموريسكية حتى انتهت بها الأمر إلى دروب السنين. ولم يغير هذا المنظر العام المظلم سوي الكتب الذي ألفه الإنجليزى ميشيل غيديس Michael Geddes في عام 1702. إلا أن هذا العمل ليس معروفا ولم يأت على ذكره أو من كتاب القرن التاسع عشر حيث تناسى الإسبان المصري الذي آلت إليه هذه الأقلية من المسيحيين الجدد، ولن يخرق هذا الصمت سوى الرومانسيين بعد الثالث الأول من القرن التاسع عشر.
يمكن أن نقول إن المشكلة الموريسكية قد عادت لتصبح مشار دراسة والبحث في حوالي خمسينيات القرن الماضي، هذا ويؤكد ريكاردو غارثيا كارثيل Ricardo García Cárcel في حديثه حول التأريخ في تلك الفترة: "أنه منذ طرد المورسكيين في 1609 وحتى عام 1901، وهو العام الذي نشر فيه كتاب بورونات والذي يعد دليلا معيارا للغاية عن الحملة القتالية العنيفة التي مورست ضد المورسكيين، فإن التأريخ الإسبانى يزخر بالإصرار على الدفاع عن مسألة الطرد وتبريرها، معترفا بإيابا النتيجة المنطقية لكون العناية الإلهية تحمي إسبانيا "ترور
ترينتو ومطرقة الملحدين»(1) فما ساقه هنا المؤرخ الفالنسي لا يتفق في رأيي وحقيقة التأريخ في القرن التاسع عشر.

وخصوصاً في هذا الفصل، رغم Lea هذا ونجد أعمال كل من بورونات ولبا عن كون تاريخ نشر هذه الكتب يعود إلى الأعوام الأولى للقرن العشرين، وذلك لأنها تعد ذروة ما انتهت إليه الدراسات في القرن الثامن عشر.

فريسمو Florencio Janer بدءاً من فلورينثيو خانيير نظر الجميع إلى طرد الموريسكيين على أنه قمة الوحدة السياسية والدينية في إسبانيا، بيد أن آراء الدارسين على اختلافهم قد تنافست حول المناهج، والفرصنة، والعواقب الاقتصادية لذلك العمل. فلا يمكننا أن نصف الإنتاج التأريخي للقرن التاسع عشر بأسره فئة واحدة. إذا كان من المؤكد أن هناك كتاب قد دافعوا عن ذلك الحدث وبرروه فهناك آخرون اعترضوا على صحة السياسة التي اتبعتها عائلة أوسطرياس مع المسلمين الجدد، سواء كله أو جزء منها. ومؤخرًا القرن التاسع عشر تتراوح آراءهم من المشعفين الساخرين، أمثال بورونات، إلى نقاد سياسة الاستعباد التي قام بها كل من الملوك الكاثوليك والحكام الأوائل من أسرة أوسطرياس. وفي رأيي الشخصي لا يمكننا المساواة بين أعمال كل من دانفيلا والكانوباس ديل Menéndez y Pelayo، وبورونات، وميغيلتيث إيز بيلابي ي، Dánvila، و كاستيو Canovas del Castillo وبين نظائرها التي قام بها موديستو لا فوينتي Sangrador و Vitorres. هذا وتناولنا للموضوع أقرب بعض الشيء إلى رأي إيزكينييو تيسار巴斯 بالذكر به عن بعض أن مسألة الطرد مبررة إلى حد بعيد وأنها أبدت للبلد خدمة كليلية خاصة فيما يتعلق بالجانب الديني والروحاني. (دانفيلا إيز كويابو، والكانوباس ديل كاستيو، وميغيلتيث إيز بيلابي). أولئك الذين يتمتعون برؤية أكثر تحررا وتسامحا
يأسفون لذلك الأمر حيث يحملون مسؤوليته على عاتق رجال الدين الذين لم يرتفعوا شرحهم إلى المستوى اللائق، وكذلك ضعف فيليبى الثالث، ومصلحة وزير مارتش (Munoz y Gavira) مونيوث إى غابيريا وذهبون إلى أن هذه الطريقة كانت ذات عواقب وخيمة بالنسبة لتطور البلاد فيما بعد وإن كانت من الممكن أن تعود عليها ببعض الفائدة الروحانية.

لقد تم عرض المشكلة الموريسية في سائر أعمال القرن التاسع عشر على أنها صدام عرقي. فكرل من السلالتين المسلمة والمسيحية قد تجاربها فوق تراب شبه الجزيرة الإسبانية منذ العام 711 ليتمكن الصراع في 1209. وعلى هذا يكون الاحتلال قد دام تسعة قرون وليس فقط ثمانية. تتوافق هذه الروية مع كيفية تحليل ذلك الأمر في الوقت الحاضر. لقد وضح ريفالا أن المشكلة ثقافية وأنه لا يوجد خلافات عرقية، إلا إذا فإنه لن يمكن للعقل أن يتفهم الإجراءات العملية التي دفعت المسلمين القدماء كي يحتفظوا بأطفال من المسيحيين الجدد.

تعتبر مسألة تحقيق الوحدة القومية من خلال نفي الأقليات من الموضوعات المنكرة. حيث يدافع الكتاب التحرريون بصورة نمطية عن الأقليات موجودين هجومهم ضد الإدارة الإسبانية. وعلى النقيض فإن المؤرخين المحافظين يدافعون عن الديانة المسيحية كمبدأ أساسي للأمة الإسبانية.

وكما جرت العادة عند التأريخ لفترة زمنية بعيدة، فنحن على دراية بالتحيز الذي قامت إليه تلك التفرقة الصارمة، حيث يصعب للغاية التمييز بين المؤرخين المحافظين والتحرريين لعدم وجود حدود واضحة بين الاتجاهين. ونجد أنفسنا في موقف مماثل عند التصدي لتأثير الفلسفة الوضعية على هؤلاء المؤرخين، فسقدي هذا التيار واضح عند مينينديث إى بيلابي، إلا أن هذا لا يعني اختصفاء تماما عند الآخرين.
وهنا نجد أنه بإمكاننا تجميع تلك الأعمال وتصنيفها إلى ثلاثة أقسام:

(أ) مؤرخون تقرروا للحكم على قرارات حكام عائلة أوستراس. هذه الكتب
- جدلي الطابع إلى حد بعيد - تمثل بصورة أساسية في تلك المبنية في
الفصل السابق والتي تتعددها النصوص الأصلية تماماً أو لا يتوفر سوى
الحدود الدنيا منها (تذكر على سبيل المثال ألبيرت دى ثيركوت)
(Circout).

(ب) الدراسات المبنية على قاعدة قوية من النصوص غير المنشورة. ويمكننا أن
نضمم هذا القسم كل من أعمال ليا (المدعومة بمستندات خاصة بمحاكم
التنافسة)، وأعمال دانفيلا (ال المتزودة بالعديد من محاضر المجال
والخطابات وسجلات المحاكم)، وبورونات (حيث المستندات المنتمية إلى
أرشيفات فانيسيا)، وخارير (الذي جمع مخطوطة مين أرشيف مملكة
أراغون والأرشيف العام بسيمانكايس).

(ج) أعمال المؤرخين الذين خلفوا روافذ أدبية قائمة على أحداث تاريخية
حقيقية. هؤلاء الكتب متأثرون أو منتمون بصورة مباشرة للتيار
الرومانسي الذي انتشر بقوة على نطاق واسع في النصف الأول من القرن
التاسع عشر. وبعد أستاذ الجغرافيا والتاريخ بآحد معاهم فالنسيا والمؤرخ
الرسمى لمدينة توريا بيثينتي بويكس (Vicente Boix)

أبرز نماذج هذه
المجموعة الثالثة.

إلى جانب هذا التقسيم العام يلزم أن نوضح بداخله التيار الفكري لكلاً من
المؤلفين. فالمحفظون المدافعون باستماثة عن الوحدة الدينية لا يقتلون على نقد
مسألة الطرد، فهذه الطريقة بالنسبة لهم لا تشوبها شائبة. أما المتحررون فهم أكثر
تعاطفاً مع الموريسيكيين وأصد نقداً للسلطة. ضمن التيار الأول سنصع كانوباس ديل
كاستييو، ودافيلا، وبورونات، ومينينديث إلى بيلاريو. كما سنجد ضمن المتحررين Amador de los ريوس Kلا من مونتيرو إلى غابيرا، وخانير، وأمادور دي لوس ريوس، وموديستو لافوينتي، وليا، وآخرين.

ينبغي استثناء الفيكونت الفرنسي ألبيرت دي تيركوت من تلك الفئة الأخيرة نظراً لدراسته. فهذه الشخصية أقرب للاتجاه المتحرر منه إلى المحافظ، في أننا لا يمكننا كذلك إدراجها في المجموعة الأولى. حيث لا يقدم سوى القليل من الوثائق وهدفه الأخير هو تشويه صورة قوة وأمة مازال ينظر إليها في القرن التاسع عشر على أنها بربرية ووهشية. وهو يستعرض بسرور بالذات الأخطاء السياسية الإسبانية حيث يرى أن للطرد أمثاله الاقتصادية المشبوهة إلا أنه يعود ليعيد ذلك بالتأكيد على مزايا السياسة والدينية.

إنه البحث عن الأسباب التي حملت مؤرخي القرن التاسع عشر على دراسة هذا الأمر له شيء معنى وذلك نظراً لعدع تلك الأسباب. حيث نعتقد أنه لم تكون لديهم الدواسع نفسها، كما أنه ينبغي أن نصفهم حسب الجيل، أو الأغراض السياسية، أو التبشير الفكري والوفدة من أوروبا، أو مجرد ردود أفعالهم تجاه الأحداث التي عاشتها إسبانيا في الفترة ما بين 1850 و1901.

وفي المقام الأول لا يسعنا إكبار كون هذا الاهتمام متأنئاً بالحركة الرومانسية، والتي كان لها تأثير ملحوظ في إسبانيا وإن لم تكن كذلك في أجزاء أخرى من أوروبا. وعلى جانب آخر فإن الدراسات التي اضطلع بها مؤرخو القرن التاسع عشر حول فترة التوسعات الإسبانية جعلتهم يتغافرون بظهور هذه المشكلة أمامهم. فالتفكير التحرري يدافع عن الأفكار، بينما المحافظون - كما في حالة كانوباس - يبحثون عن المكون الجوهرى للقومية الإسبانية.
وهنا ينبغي إيراز إحدى النقاط حتى يتسنى لنا فهم هذه الدراسات التاريخية، حيث إن المؤرخين المستغلين بالسياسة - وقد كانوا متوافرين بكثرة في القرن المنصرم - هم الذين عنوا بذلك الأمر في بدايته، وهو ما يبرز النية المبكرة للكتاب أنفسهم. فهم لا يدرسون حديثا تاريخيا فحسب بل يدافعون عن عدة نقاط فكرية بعينها من خلال دراستهم لتلك الأقلية.

وأخيرا فإن ذلك الاهتمام المفاجئ بالأمر مرده إلى الحرب القائمة آنذاك في محيط المغرب. حيث نجد أن مدرسة المستعربين في القرن التاسع عشر، والتى يمثلها على أكمل وجه بابس كوال غابانغوس، لم تستطع أن تتأي بنفسها عن التأثر بذلك الأمر.

عاد الإسبان في القرن التاسع عشر بعد قرون عديدة إلى لقاء المسلمين وجا لوجه. وإذا كان مؤرخو المشكلة الموريسكية في القرنين السادس عشر والسابع عشر قد تمتعوا ببعض إفريقيا عند كتابة بعضهم في التاريخ العام لشمال إفريقيا أو بعض القصص الإفريقية، فإن تلك الخصائص ستنكر من جديد في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

سوف تغلق القضية الإفريقية عدما معرفا سينكرنا بأزمة ماضية ومشاكل ولدتها التعايش بين ثقافتين بينهما خلافات أساسية. ويمكننا أن نسق على سبيل المثال العمل الذي كتبه سانغرادوراي بيتروريس مخصصا إياه لأودونيل بوصفه فاتح مدينة تطوان، والتي يذكر أن العرب المسلمين قد قاموا بإعادة تأسيسها. (1)

لم يكن هناك مجرد ازدراء لحريات الثقافة وإنما للقارة كذلك وهو ما سيتضح عليه هذا الاستشهاد من مقدمة كتاب بورونات التي أعدها مانويل دانفيلنا: "ما الذي أتى به غزاة القرن الثامن من إفريقيا وما الذي عملوا على ازدهاره عندما عادوا

100
إلى هناك؟ لا شيء بالتأكيدٍ (3). ويمكن للمرء أن يتساءل إذا كان ذلك النص يحوي جذور الازدراء الذي سيلاقيه الإسبان في شمال إفريقيا. فاستخدام فظ عرق للتعريف بالموريسكيين في أثناء تعايشهم مع المسلمين في دول المغرب أيضا له دلالته.

ومن الممكن أن نضيف عاملا آخر حتى نفهم النظرية المعادية للموريسكيين في كتاب بورونات. حيث تزامنت كتابته للعمل مع فقدان الإسبان المستعمرات الأمريكية وما لذلك من إضرار بالاقتصاد والسكان. حيث يشير للأمر العديد من المرات على مدار المؤلف، ففقدان إسبانيا للمستعمرات يضبعها في مواجهة مستقبل غير آمن وفترة جديدة من الانتهاء، وللهذا قام باللجوء إلى القرن السابع عشر وتحديدا طرد الموريسكيين كظاهرة مشابهة إلى حد ما. حيث تعود الأنظار لتجه نحو القضايا الداخلية، وندع المسألة الموريسكية مثالا معبرا عن فترة صعبة في تاريخ إسبانيا. كما أن كون بورونات من رجال الدين كان له أيضا تأثيره المباشر على هوسه بمعاداة الموريسكيين.

هذا العامان سيخلقان وعا بالوحدة الداخلية وبأمل إسبانية متوحدة ومتحكسة بالدين. وهذه النظرية موجودة في جميع الأعمال التاريخية المكتوبة في القرن التاسع عشر دون استثناء. هذا وتمثل المعصلة في العواقب الاقتصادية والمعمالة التي يتلقها الموريسكي أكثر منها في الآثار السياسية والدينية التي أجمعت عليها الآراء.

3- فلورينثيو خانير
إن كتاب فلورينثيو خانير "الوضع الاجتماعي للموريسكيين في إسبانيا: أسباب الطرد والعواقب التي خلفها في المنظومة الاقتصادية والسياسية" Condición social de los moriscos de España: causa de su expulsión y
«الآثار التي حصل على الجائزة الثانية في مسابقة الأكاديمية الملكية في التاريخ لعام ١٨٥٧، سوف يصبح أفضل نتاج لتاريخ القضية الموريشية في القرن التاسع عشر. حيث سيباع بقية المؤلفين في التحقيقات التي قام بها الآراء التي توصل إليها. وانطلاقاً من هذا العمل ستستحب بقية الكتب إلى تأكيد أو إنكار ما حصلت عليه عبر وثائق غير مشروعة. البناء الداخلي للعمل مقسم إلى ثلاثة فصول:

- الوضع الاجتماعي للموريسكيين في إسبانيا.
- أسباب طرد الموريسكيين.
- العواقب التي خلفها الطرد في المنظومة الاقتصادية والسياسية.

في المقام الأول يقوم بتحليل غير متعمق لكل من حرب الاسترداد وفترة حكم الملوك الكاثوليك وأول حاكمين من أسرة أوستراس من هنالك روايته للأحداث عند العام ١٥٧١. هذا ولا نعرف تدهور التعايش السلمي بين المسلمين القدماء والمسيحيين الجدد (١٥٠٠-١٥٧١) إلا عن طريق محاضر المجالس وسجلات المحاكم دون استخدام المستندات الخاصة بمحاكم التفتيش. بعد ذلك انتقل إلى التركيز على أسباب الطرد والثورات الموريشية الأخيرة والعواقب التي أتت إليها هذه الأساليب.

ويعتمد خليط بصورة أساسية من حيث الوثائق على المراسيم، وقرارات المجالس، وخطابات الشخصيات البارزة، ومستندات مجلس الدولة المحفوظة في الأرشيف العام لسيمانكاس، وقوائم من تم ترحيلهم، وأوراق من أرشيف مملكة أرغوان.

لا يجب أن يدعا عنوان الفصل الأول نأخذ فكرة خاطئة، حيث لا يتواجد أكثر من دراسة لوضع الموريسكيين حتى تاريخ نشوب ثورة غرناطة. الأمر
الوحيد الذي يظهر لنا هو المقارنة بين المسيحيين و光电 طبيعة العرب. فالموسيكين ببدا من العام 1492 يصبحون شعباً محلياً يتغذى عليه التشتت الديني، فتحولهم الزائف، Cisneros، ورديتهم، وتعاونهم مع الأراكان، وتصميمهم على طقوسهم ومعتقداتهم الدينية لا يمكن إنكارها على الإطلاق، بيد أن "شعبة ممتهنا إلى تلك الدرجة في تقاليد وطرق حياتها وممتلكاته وعقيدته وحتى في تقاليد المنزليات كالموريتين، ممن الممكن إخضاعه تحت ضغط القمع المستبد ولكن قبل ذلك كان عليه الثورة بحماس مستميتا مستخدما الأسلحة التي ورثها عن آبائه(6). إن سلوك الموريتين موروث بكل وضوح عن أسلافهم العرب، فالسيحيين الجديد لا يمكنه التخلص من ذلك الإرث الذي يعد مكوناً رئيسيًا في شخصيته، حيث كان الموريتين مسلمين بحق فيما يتعلق بشؤون حياتهم الداخلية، محترمين أحكام القرآن في الأمور الحياتية والعقدة ومحافظين بكل إمكانيات على تقاليد أسلافهم(7). وخبرنا في هذا الفصل الأول عن الاتجاهات التقنية والمبادئ الجديدة التي جاء بها العرب واستمر الموريتين في استخدامها. من هنا نستطيع في المستقبل الأزمة الناجمة عن شعبهم، حيث يأسف خائير لأنه "في النهاية لم يكن لدى أسلافنا خطة محددة أو نظام سياسي يهدد لاستيعاب الموريتين بمنهجية وتصبر ونجاح"(11). الأمر الذي كان سيمكننا من إضعاف إصرارهم في الدين. ويرى أن السلوك الديني الذي أملأه حكاماً يفتقر إلى التناسق وجود هدف محدد واضح المعالم.

لا يرى خائير طرد الموريتين على أنه العلة الرئيسية لانهيار إسبانيا وخلو شبه الجزيرة الأيبيري من السكان، غير أنَّه يترافق بتأثيرها على مناطق

(*) يخلط المؤلف بين العرب كقومية وبين المسلمين كمجتمعين متقنرين دين سماوي. (المراجع)
بعينها: لقد بدأت آثار القمع الذي مورس ضد المتحولين حديثا إلى المسيحية في الظهور أولا في مملكة غرناطة مع القرار الصادر بطرد من تبقى بعد الحرب السابقة من عدد قليل من السكان المورسكيين(1). إن السبب الرئيسي لانعدام السكان بالداخل يرجع إلى ما أثاره اكتشاف العالم الجديد من اهتمام لدى الإسبان كما أن: طرد المورسكيين فيما بين عامي 1409 و1414 أسهم بالضرورة - وكيف لا - في انعدام السكان المتقول محور ما أظهرته شبه الجزيرة من مقاومة لذلك في القرن السابع عشر، ولكن مع تزايد أعداد المطرودين حتى تسخئة ألف أو مليون شخص، كما يذهب بعض الكتاب، فإن قلة السكان في إسبانيا كان سابعا إلى حد بعيد الحرب الداخلية والخارجية، والأوبئة المستمرة، والمجاعات، والغلاء، وهجرة اليهود(2) وبالطبع المسلمين وذلك في أثناء حرب غرناطة وبعد ثورة عام 1568 عندما خلت أندلوسيا من سكانها.(3) أما رغبة خانق فكانت "أن تصل الأمة الإسبانية لأوجهها وأزدهارها المنتظرين بعد أن حققت الوحدة السياسية(4)", وهو ما لم يحدث في تلك الأونة.

ومن العوائق التي خلفها الطرد نبرز على الجانب الديني: لقد حلت إسبانيا فوائد ملحوطة بطرددها المورسكيين الذين فروا وحدة البلاد الدينية وأمنها مما ذهب بكل جهود ملوكنا سدى، وإذا استنكرنا ذلك الأسفل من الناحية الاقتصادية نظرًا للتأثير السلبي الذي نجم عنه منذ حزوة إقراره، فإن التحيز الواضح للمؤرخين يجبرنا على احترامه بما أحدثه من فوائد عديدة في المنظومة الدينية والسياسية(5)، أما النتائج السياسية فمن يذكر أن طرد المورسكيين كان مفيدا يقدر كونه ضروريا، حيث أثرى الدولة بخيرات لا تقدر هي وحدتها الدينية وأمنها(6).

(1) أهل كان عدد اليهود كبيرا بحيث تؤثر هجرتهم في الكثافة السكانية؟ (المراجع)
تكم القاضية في تغير سلوك المسيحى القديم منذ العصر الوسيط. "ذل ذلك الاندماج في الأعراف والتقاليد بين عرقين متضاربين، عندما يحكم لنا التاريخ الحماس الذي دفع الفرسان المسيحيين لارتداء أزياء الموريسكيين، وركوب جيادهم بالركاب القصيرة، وتكلفهم لاتباع طرق المسلمين، في الوقت نفسه كان الاعلان يستقبل السفراء الأجانب جالسا على سجادة Enrique IV الإسباني الرابع الذي كما جرت العادة في الشرق وقد أوكّل حماية قصره إلى حرس مكون من ثلثمائة فارس إفريقي. (11) وقد ظل الحال على هذا النحو حتى حكم الملوك الكاثوليك الذي وجدنا فيه "... الإساءات والانتقام بين كلا الفريقين، والرغبة في الانتهاء من إرساء الوحدة الدينية وهو الفكر الذي سيطر خلال قرون طويلين من الزمان على المستشارين السياسيين، والحاجة الملحة لتأمين السلام الداخلي للبلاد وحمايتها من الغزوات الخارجية... هذه هي الدوافع الرئيسية لتلك الثورة الشهيرة والتي تراوح الموقف فيها من الحقد الأعمى إلى الإجراء المبالغ فيه. (17) إن فكرة طرد الموريسكيين " ليست نتيجة محددة للأفكار التي سادت لقرون عديدة، ولكره الشعب التقليدي لمن حكمهم قديما، ولكن وسيلة ضرورية لإقرار السلام في الكنيسة والدولة الإسبانية. (18). والطرد يتجنب الاضطرابات والحروب - داخلية كانت أو خارجية - والتي كانت قد دمرت الأمة الإسبانية أكثر من غيرها. ويرى خالق أن العداوة بين هذين العرقين لهى أشد عمقا من الكره الموجود بين الكاثوليك والبروتستانت: كيف كان من الممكن الإخاء بين ديانتين مختلفتين ومنضادتين كالاختلاف بين ابن الرباح والنبي الزائف? (19)."

ويبرز خانى من خلال شهادات المؤلفين المعاصرين للطرد أن التعابيش بين الثقافتين كان أمرا مستحيلا حيث "... ظلوا يحكمون بين عظمائنا حتى بعد التحول القسري للموريسكيين الذين ازدواوا الواجبات المقدسة التي أملتها عليهم الكنيسة وأصبحوا بعيدين كل البعد عن كونهم إخوة ليقوم الجميع من جديد باعتبارهم أعداء..."
لم يبرهنوا على إخلاصهم دينياً وسياسياً، وهذا يعكس تقسيم جانب من الضغكية التي كان المسيحيون القدماء يكتونها للمسيحيين الجدد وهذا هو السبب الذي جعل من كتبنا عن الطرد، سواء من العامة أو من أفراد الكنيسة، ما زالوا يعتبرون الموريسكيين معتدين، ومن هنا فقد آلهم جميعاً أن يعيشوا وسط المسيحيين ويمتلكون خيراتهم ويعظون بما يجب أن يتمتع به الكاثوليك\(^{11}\).

وبرى خانين أن التشدد الديني قد أتى على يد الملوك الكاثوليك، في بعض تحييهم الوحدة السياسية زرعوا داخل وهم ساكنى شبه الجزيرة الرغبة في الانتقام من الغزاة الذين أضحوا من هؤلاء من القرن السادس عشر "...لم تتشب الحرب أو تستمر باسم المصالح المادية ولكن تحت رأية المبدأ\(^{11}\)."

العواقب الاقتصادية واضحة بالنسبة لخانين: تدمير الزراعة وضياع العديد من المحاصيل وانعدام السكان: لم تكن عمليات إعادة الإعمار فعالة، فالدمار الذي لحق بأراضي فالنسيا كان شاملاً. وفيما يتعلق بالنتائج السياسية والدينية فهي لا يجبر على توجيه أي لوم، معترفاً المكاسب مقبولة إلى حد ما. على العكس من ذلك فإن العواقب كانت مدمرة على الجانب الاقتصادي: "ونحن في الختام ندين أيضاً تشدد أولئك الذين لم ينجحوا في تطبيق فضائل الإنجيل للتهيئة من الحقد الذي سيشربه العامة ولم يسعوا سوى في إذكاء نيرانه. ولا نبريء - كما يقول أحد المؤرخين - فلبيبي الثالث وأسلافه من الذين يتحملونه في تلك الأحداث المؤلمة والذي اقترف منه حاكم كاستيا الحكم جزءاً ليس بالسيير، وهو الذي يعد اسمه مكرهًا لدى الكتاب الأجانب بينما يذكر لدينا مفاخر أمجادنا القومية... إن المسؤولية الأخلاقية لطرد الموريسكيين لا تقع فحسب على عاتق فيليبي الثالث ورجاله بل هي ملقة بأكملها على روح القرن التي حصدت إرث الأزمة السابقة وتلقت دفعتها تظهر في النهاية هيمن عليها التعصب والتشدد في الوقت نفسه. وما حدث على نطاق الدينى نجده بالطريقة نفسها في مجال السياسة.
فمنذ ما يفصل بين الشعوب تنافر طبيعي وثقافي، وحروب دموية، كالتي ذكرناها، حينئذ لا يقدر على جمعها سوى معجزة تدفع بها العبادة الإليهية.(12) وبعد هذا الاستشهاد لم يتبق سوى آخر آراء فلورينثيو خانير المريرة التي تضمنها كتابه: "... كان طرد الموريسكيين ثمن تحقيق الوحدة الدينية نتيجة نسبان أسلافنا تلك الحكمة السامية: تدعم الممالك أركانها بالرحمة وتهزها بالقسوة.(13)"

3-2: ماتياس سانغرادور إيف بيتوريس

قام ماتياس سانغرادور إيف بيتوريس عضو الأكاديمية الملكية في التاريخ
نشر كتابه المختصر "ذاكرة التاريخ حول طرد الموريسكيين من إسبانيا خلال حكم Memoria histórica sobre la expulsión de los Moriscos de فيليبي الثالث، España en el reinado de Felipe III في عام 1858. هذا الكتاب الصغير يمثل إلى درجة تثير الشكوك عمل خانير المنشور في العام السابق. على الرغم من وجود ملحوظة في نهاية العمل مفادها أن "... هذه الذكريات كتبتها المؤلف في عام 1855 في مكتبة رئيس أساقفة توليدو(14)" إلا أن ذلك لا يعلمنا ننكر شبهة الاحتياط فبناء الدراسة متتماثل وكذلك النتائج التي خرج بها، حتى إنه في إحدى صفحات ذلك المؤلف الصغير يطالعنا العناوين الكامل لكتاب خانير.

فترة Carlos V وكارلوس الخامس Felipe II

عند حكم كل من فيليبي الثاني مشهومة حيث نشبت فيها أزمة القرن السابع عشر. هذا ولم يفلح خليفة فيليبي الثاني في استدراك أخطاء أبيه وجدته. فقلة الكفاءة الشخصية لفيلبي الثالث جعلته يمنح Francisco Sandoval y Rojas سلطته إلى فرانسيسكو ساندوفال وروخـاس. إن اندلاع الصفات "الواجب أن يتحلى بها الملك"(16) لم تتوافر كذلك في دوق ليبرما الذي يعتبره ذلك الشخص القوي ذو المكانة الرفيعة لدى الملك والذى صوره
التاريخ قصير الأمد على أنه سياسي ورجل دولة طموح إلى أبعد الحدود ولكن ليس لتحقيق رخاء ومجد إسبانيا وإنما لإعلان مكانته عن طريق جميع المناصب والثروات لكل أقربائه ومواليه. وما لا شك فيه أن طمع هذا الثرى غير القابل للإشباع كان أحد العوامل التي أثرت بصورة مباشرة في قرار طرد الموريسيكيين الإسبان(٢١).

ويرى سانغرادور إيه بيترس، مثله مثل خاتير، أن طرد الموريسيكيين لم يخلف وراءه سوى تدمير الزراعة والفنون والتجارة. أما ضرره الأكبر فهو دون شك إزرا خلو إسبانيا من السكان.

يدرس الفصل الأول تطور التاريخ السياسي للأقلية حتى زمن فيليب الثالث، ويأسف المؤلف على مدار العمل للقرار غير الحكيم للعال الإسباني من الناحية الاقتصادية "...إذا كان قد حصد مندحا شديدا من نفذه، نتيجة التملق الدنيه فإنه قبطر وازعوس Richelieu باستياء كل المفكرين وأدى إلى أن يصنف الكاردينال ريشيليو ووزير هـا الإجراء بأنه غير حكيم Luis XIV ملك فرنسا لويس الرابع عشر اقتصاديا..."(٢٢).

أما الفصل الثاني فيختص بدراسة الوضع الاجتماعي للموريسيكيين الإسبان.
لا ينسى سانغرادور إيه بيترس كون الموريسيكي سليل العرب الذين غزوا شبه الجزيرة عام ١٢١٧، كان الموريسيكيون خلفاء أولئك العرب البارزون أو من الأفضل أنقول إنهم هم العرب أنفسهم ولكن معبدن، وعلى الرغم من أنهما لم يطرقو للارتقاء بالعلوم التي بلغ فيها أسلافهم شانها كبيرا نظرا للمكانة المختلفة التي شغلوها فإنهم قد احتفظوا بمعلومات مفيدة وصفات الجد والتجارة التي نجحوا من خلالها في الحفاظ على ازدهار الزراعة، والفنون، والتجارة(٢٣).
وبعد ذلك يثير فتوى وصف كل واحدة من جماعات الموريسكيين الموجودة
شبه الجزيرة مادحا فيها جميعا الإبتكار ونمط الحياة المحتفظ: "يجيب ألا يبعث ذلك
على الاعتقاد بأن الحالة الاجتماعية لهؤلاء هي نفسها الخاصة بالمسيحيين الجدد أو
الموريسكيين، بل على العكس من ذلك، وعلى الرغم من تشكيكهم جزءا من مجتمع
الكنيسة بعد تصريتهم واحترام الكنيسة لهم باعتبارهم من أبنائها، فإن مياه التعميد
لم تقدر أبدا على غسل أو محو البقعة السوداء التي خلفها أصلهم، وعلى ذلك فإن
التصور الصادق لبعضهم وكذلك مرور الزمن لم يستطيعا إخفاء الفوارق العدائية
بين المسيحيين القديمي والجديد، وهي التي كان من الممكن القضاء عليها تماما
باتباع سياسة تبعت على الوفاق والتنازغ.(3)

الأسباب التي أشار إليها سنغرادور إيبن توريس بوصفها المؤدية لطرد
الموريسكيين هي: تحقيق الوحدة الدينية والداخلية بإزالة عملاء الأكراك من
أراضي المسيحيين. أما العواقب المترتبة على ذلك فسوفها في الفترة التالية: "إذا
نظرنا للطرد من الناحية السياسية نجده جاء لتحقيق حلم فيليب الثالث الكبير ألا
وهو الوحدة الدينية إلا أنه على التقيض من ذلك جلب على الدولة خسائر
لا تعوض: فنقص عدد متزايد من العمالة الفاعلة كان أثره السلبي ملحوظا على
خزانة الدولة، وهرجتهم من إسبانيا تبعها انعدام السكان من المقاطعات التي كانوا
يقيمون فيها.(3)

إن عدد الموريسكيين المطرودين الذي أذننا به هو 43700، وهو يتفق
مع ما ساقه الأكاديكي مانويل دافيليا. وكل ما حققه هذا العمل الصغير هو إلقاء
الضوء على علامات الاستفهام التي أثارتها المشكلة الموريسكية في القرن التاسع
عشر. كما أنه لم يضيف مستندات جديدة إلا في أضيق الحدود. الأمر الجديد الوحيد
الذي أثير به هو اتهامه لدوق ليورما كمسؤول أساسي عن عملية الطرد.
4-2: فيرنانديث غيرا

Las Reflecciones sobre la rebelión de los Moriscos y un cesno de población Boletín Oficial إلى النور للمرة الأولى في النشرة الرسمية عام 1840، لينشر بعد ذلك بأشهر قليلة في مجلد صغير مستقل.

دراسته مادحا المعاملة الحسنة Fernández Guerra يبدأ فيرنانديث غيرا التي تلقاها المسلمون في اتفاقية 1429، إلا أن "... التخصصات الدينية التي لا يعنيها في شيء إرادة مهارة البشر أن نشره وانتصار المورة إلى الركائز الأساسية للمجتمع، بدأ في إبتلاع الأقاليم بعيد الغزو على يد بعض الأساقفة لإصدار مرسوم تعميد كل المسلمين الخاضعين ومن يرفض منهم ذلك يطرد إلى شمال إفريقيا، وأُمِّدَوا هذه النصيحة الشنيعة - متحايلين بذلك على اللاهوت - إلى كون ذلك الأمر لا ينقص من الاتفاقية وإنما سيعمال على تحسينها عن طريق استشعار النفس لما هو ضروري لصلح الروح" (30). ويرى المؤلف أن تنفيذ ذلك القرار "... يبدو مستمداً من القرآن أكثر من الإنجيل" (31).

إن سياسة استياع الأقلية الموريسكية المتبعة ما بين عامي 1502 و1568 تعد جادة ولا تنظير باحترام للعقيدة الكاثوليكية. يذهب فيرنانديث غيرا إلى أنه على الرغم من التصريح فإن أي شعب لا يمكنه تغيير عاداته في مثل هذا الوقت القصير، ومن المنطقي أن يحترم الموريسكي "اتفاقية التعايش السلمي" كما كان متوقعًا أن يقوم فيليب الثاني الشهير بابتش عملي استباد من شهد التاريخ. فمنذ بداية حكمه تمت ملاحظة هذه السلالة الموريسكية المنكوبة بطريقة غاية في الفظاعة حتى

(30) من الواضح أن المؤلف القديم لم يقرأ في القرآن أنه "لا إكراء في الدين". (المراجع)
لبدو من غير المقبول عدم إثبات مؤرخين للأمر في رواية موحدة وخلاصية من أيّة شكوك.

"إن الطرق التي اقترحها مستشارو فلبيبي الثاني لتهيئة الموريسيكين وتحويلهم لمسيحيين بحق كانت هي العوامل المؤدية لثورتهم." (110) هذا التأكيد الذي ساقه أيضاً موديسو لافونتسي يعتبره فيرنانديث غيرا الركيزة الأساسية للثورة وهي متضمنة في دراسته للأفلاقية. لذلك نجد أن تحليله سطحي ويفترق إلى الموضوعية.

أما نتائج الحرب فكانت: "الملاحظات الحقول المهجورة بالشرور، وبدت المنازل الخاوية مدمرة. كانت تلك هي ثعاب الأخطاء التي اقترفتها الحكومة وكذلك المبالغة في التعصب." (110) وهو يحمل فلبيبي الثاني مسئولية طرد 600,000 موريسيكي من مملكة غرناطة وهو ما خلف دمارا شاملا. ولمعالجة هذا الموقف غير المستقر لم يتم الملك الحكيم، مدعوا بالنوايا الأوروبية، سوى "زيادة طفيفة في الضرائب العامة لصالح إعمار مملكة غرناطة. حيث أراد إعمارها بواسطة عملية مالية الغرض منها استنفاذ الشعب إلى أبعد حد لملء خزانة الدولة." (110)

يمكننا اعتبار هذا العمل بمثابة أول دراسة جادة عن الديموغرافية الموريسكية. على الرغم من أن النتائج لا تتفق وما لدينا حالياً. وفي الصفحات الأخيرة من العمل يتناول إعادة الإعمار وتعداد السكان منذ عام 1571 وحتى منتصف القرن التاسع عشر. إن التأكيد على أن طرد أعداد كبيرة من السكان من مملكة غرناطة القديمة لا يضر بخزانة الدولة يوضح لنا أن هذا العمل جاء في إطار تبرير منهج سياسي. وقد تم التصدي لتحليل الحرب وأسبابها لهدف واحد وهو دراسة الإحصائيات السكانية.
على أي حال فإن رؤية فيرنانديث غيرا ممثلة لرؤية موديستو لافونتي، حيث ينتقد السياسة السببية لفيليب الثاني والتي أدت إلى الانقلاب الذي قام به موريسكيو غرانطة. فالموريسكي تحرك دفاعاً عن نفسه وأحدث انقلاباً لمنع الإجهاز عليه من الناحية الثقافية. وهو يعتقد أن إقرارهم للدينية المسيحية كان من الممكن تحقيقه بواسطة ضرب الأمثلة والتعريف الجيد بالمقامات الدينية وليس بالقرارات التي تتيح استخدام القوة والتي أدت إلى تفاقم مشكلاً بالغة الحساسية.

5-2: خوسي مونيوث إي غابيرا

إن كتاب خوسي مونيوث إي غابيرا (31) فيكونت، José Muñoz y Gavira، سان خابير، أهداء المؤلف إلى ليوبولدو أودونيل القائد Leopoldo O’Donnell العسكري الذي أسقط قلعة تطوان. وهذا الإهداء يقترب النظرية التي تبنيها من اللحظة الأولى التي شرعت فيها في تحليل التأريخ الموريسكي في القرن التاسع عشر. كان هذا هو التأثير المحتمل للحروب في محمية المغرب على العودة لدراسة القضية الموريسكية، هذا ما تؤكد هذه الكلمات: "في الوقت الذي وقعت فيه أوروبا تتأمل مبهرة انتصار الجيوش الإسبانية في إفريقيا والتي تلوح منتصرة من فوق أسوار المدينة المقدسة للإسلام، تطوان، تلك المدينة التي نباها المورسيكيون، الذين طردوا من قبل من إسبانيا، بعلم إسبانيا المزين بالقلاع والأسود، فلن بعد خروجاً عن الموضوع إذا سردنا التاريخ المؤثر لشعب...” (32). إن إنتاج مثل ذلك العدد الكبير من الدراسات حول موضوع محدد خلال القرن التاسع عشر له أمر لـه دلالته وثير اللغة الدائرة إلى حد بعيد. للوهلة الأولى يمكن للمرء أن يظن إن ذلك يرجع إلى الرغبة في إعادة النظر وتقديم الفترة الإمبريالية الإسبانية، إلا أن ذلك السبب لا يعد كافياً حتى يمكن فهم ذلك الاهتمام المفاجئ والبالغ فيه. إن الاتصال القائم مع المسلمين في شمال إفريقيا جعل المؤرخين يعودون من جديد للاهتمام بقضية
تبدو الآن أقرب من ذلك قبل، ولا يمكننا أن ننسى البعيد السياسي الذي راعاه المؤلفون المتخصصون في القضية الموريكية.

وتتضح لنا رؤية مونييث إيز غابيرا منذ مقدمة العمل، عندما يذكر نص مذكرات الكاردينال رتشيليو (143)، ويقوم فيه رجل الكنيسة الفرنسية بالتحقيق في Quintana وسيلة الطرد، ونشيد الاستكرال لكيتنا وكذالك يأسف فيه على خسارة أولئك السكان.

تحت استحالة إندماج "القومية الإسلامية" و"القومية الإسلامية" الصفحات الأولية. وتشير هذه النقطة ممتزجة بمديح إسبانيا ويسابيل الكاثوليكية وكذلك الملكية الإسبانية: "لم تكن ثمانية عام وقتا كافيا لمزج القوميين Católica الإسبانية الإسلامية. إن النفوذ الذي شعر به منذ قرون عديدة كل من الغربيين، والفراعنجين، والروماني والقوطنين أحس به كـ ككذالك الحرب المنتصرة في إسبانيا." (40).

لم تكن الحكومة الإسبانية هي الملامة الوحيدة على النصري الذي آل إليه الموريسيون، حيث "لا يمكننا على الرغم من ذلك إنكار أنهم قد جلبوا المصالح فوق رؤوسهم باستمرارهم سرا في اعتناق الإسلام والتأثير المرة تلو الأخرى ضد بلادهم" (41).

تعد حرب غرناطة نتيجة مباشرة للتعصب الديني الذي أثاره الكاردينال تيسيثينيوس، والذي سري وانتشار فيما بعد عن طريق المراسم التي جمعت ممارسة العادات والتقاليد الموريكية، والتي تعد مسؤولية في المقام الأخير عن الجمود الثقافي للمنهزمين. إن الصلات بين أجهزة الحكم المختلفة في غرناطة في سنوات القرن السادس عشر تسببت إلى حد كبير في الموقف الذي اتخذه الموريسيون عام 1569: لم يشعر الموريسيون بالرعب بل بالحقق واشتهل فيهم نيران الغضب.
حتى أضحا مستعدين للموت بدلاً من معاناة كل ذلك القهر من المهانة. ولم يفلح حديث الموريسكيين الأكثر سنا وثراء ونفوذا، مدومين ببقية الفرسان النبلاء، مع إنهاء سيل المصابات التي يعاني منها الشعب المتنصر. (24) لم Deza الرئيس ديثا تعد الحرب مسألة دينية، بل تحولت لتصبح صراعا من أجل بقاء أحد "الأجناس". وتتبور عواقب هذا الصراع في الفترة التالية: "حمل الموريسكيون معهم سر صناعتهم وظل البند مدمرر لفترات طويلة نظرا للخراب الذي خلفه الجنود. أما المستوطنون الجدد الذين منحوا الأراضي مقابل مكسور مخفضة فلم يجدوا ما يعينهم على الحياة. فمن وافقو على ترك بلادهم كان بعضهم غير قادر على أعمال الفلاحة والبعض الآخر كان قد تعود على نمط حياة خليعة لا يصلح للعمل." (22).

ستنقل الآن إلى وصف العواقب الاقتصادية والسياسية والدينية المتتربة على طرد الموريسكيين. هذا لا يعني عدم اهتمامنا بالثالثة عقود التي مرت ما بين نهاية حرب غرناطة وعام 1309 إلا أن الأسترقاطي الإسباني لم يعرها أدنى أهمية. أما العاقبة الأساسية للطرد: "لم يكن الضرر الذي تكبجه إسبانيا لخسارة ذلك الجزء المتنامي من السكان بهذا السوء، وذلك نظرًا لعدد وتوجه وتنوع السكان المطرودين، والذين كانوا على وجه التحديد الزراع والتاجر والصناع، أو بمعنى آخر طبقة السكان العاملة والأكثر دفعًا للضريبة." (21)

والفحص الذي برهن بها على هذه الفكرة مشابهة لتلك التي عرضها موسيتو لافونتيي، وهو يختتم العمل بالتأكيد الآتي: "إن الأضرار التي تكبدها إسبانيا جراء طرد الموريسكيين كانت على درجة عالية من الخطورة والشدة بحيث لم يكن مرور قرنين ونصف من الزمان كافيا لتعويضها." (20) كان تزايد العمولات الزائفة، وقولة الأصلية، وفقدان التقنيات الخاصة بالزراعة، وقلة العمالة لدى الإسبان، ونقص الإيداع العاملة في الصناعة، وارتفاع معدل الجريمة هي النتائج الاقتصادية الرئيسية.
هذا ولم يتحقق الأمن الداخلي المزعوم مع الطرد حيث قام الموريسكيون، مدفوعين بمشاعر الكره "بالدخول في خدمة العثمانيين على سفنهم الحربية القديمة وتخصصوا في ممارسة القرصنة مفضلين أن يجروا سواحل إسبانيا".

تعد القرصنة في مجال البحر المتوسط نتيجة مباشرة للطرد ولم تتفشى قبل انقضاء عدة أجيال من قدامى المسيحيين الجدد، إن طردهم إلى أراضي شمال إفريقيا أدى إلى إقامة مدن جديدة مثل تطوان مما أدى لزيادة عدد الأعداد.

وفي مغالطة شديدة وممتدة إلى حد بعيد، يؤكد أن الحرب التي نشبت بعد طرد الأغلبية احتل فيها ".... على ذلك الساحل غير المضبَف ملية، وجبل بيلبيث، والحسيمات، وسبيتا، وتقع جميعها على الجانب المقابل لجبل طارق، وهي تستحكم مثلها في مدخل المضيق".

كما يشرح في الصفحات الأخيرة من العمل الخطوات التي اتخذت للسيطرة على محمية مملكة المغرب، والحملة الرائعة التي قام من خلالها أودونيل عام 1860 باحتلال تطوان.

وعلى ذلك يكون هذا العمل إهاماً مباشرًا للوجود الإسباني في شمال إفريقيا، حيث يعود الإسباني للالتقاء مع العربي ومراجعة التاريخ. إن أعداءهم الجدد لا يختلفون كثيراً عن أولئك المسلمين الذين سكنوا شبه الجزيرة منذ القرن الثامن، حيث يجعلنا وضع ثقافتين مختلفتين في مواجهة بعضهما البعض نتذكير الجهود المبذولة لتحقيق الوحدة الدينية.

يرجع الطرد إلى ضعف شخصية فيليبي الثالث والمصالح الاقتصادية لدوق لبرما، والذي كان في حقيقة الأمر هو المستفيد الوحيد من هذا الإجراء.
1-2: Marcelino Menéndez Pelayo

Historia de los Heterodoxos españoles

Bíblicos, el libro publicado en 1923, fue la obra más importante de Menéndez Pelayo, en la que desarrolla sus ideas sobre la historia de España. En esta obra, el autor propone una lectura crítica de la historia, que se centra en la figura de los “heterodoxos” como representantes del pensamiento no dogmático y crítico en España.

Después de la Guerra Civil, Menéndez Pelayo continuó su labor como escritor, publicando obras como “El alma de España” y “La esencia de la España”. En sus últimos años, se convirtió en un referente importante para el movimiento modernista en España.

En el plano político, Menéndez Pelayo fue un adversario del gobierno de la II República Española y del Frente Popular. Tras el golpe de Estado de 1936, se exilió en Francia, donde murió en 1941.

En la obra “Historia de los Heterodoxos españoles”, Menéndez Pelayo critica la historia oficial y propone una lectura crítica de la historia de España. La obra es una defensa de la cultura española y una crítica a la ideología oficial de la época.

Aumentado el número de trabajos que Menéndez Pelayo publicó a lo largo de su vida, se convierte en uno de los escritores más influyentes de la España contemporánea.

116
دراسة الصراعات الداخلية الحادثين في أثناء حكم كارلوس الخامس. إن النعوت التي يستخدمها مينديديث بيلابو لوصف هذه التمردات قاسية للغاية. ومن المثير للدهشة أن يصف عنصر المقاومة بأعضاء الجماعات: "... دفع الموريسيكيون ثم تأهلهم للفرسان ضد أهل فالنسيا من أعضاء الجماعات، الذين تمكنت منهم رغبة غريبة للتبشير (3) فكانوا بعد نهب وإحرق وتفجير منازل وأراضي المسلمين يبنسون المقدسات بعميدهم لأكثر من 1200 شخص، وفي بولوب قاموا بقتل 600 فرد بعد المراسم مباشرة. (24)"

وكون هذا التعميد للموريسيكيين على يد عنصر المقاومة حقيقيًا أو زائفًا نظرًا لأنه لم دون موافقة المسيحيين الجدد لا يعد جزءًا من المعضلة.

هذا ويذكر الانتقاد الشديد لسياسة المصالحة التي اتبعتها كل من كارلوس الخامس وفيليب الثاني عبر الصفحات. إن احتفظ الموريسيكي بمعتقداته يرجع إلى فساد روح هذا المنتصر الجديد، وحماية البداية له، بالإضافة إلى السياسة الفاشلة التي اتبعتها العرش: "نظرًا لاستبدال سياسة التبشير عن طريق التعليم بسياسة القوة نجد أنفسنا وسط شعب من المسيحيين الذين والأعداء المستنرين ممتنين لا يرحبون بهما نفسيين على الدوام ضد استقرار المملكة، إما بواسطة الانقلابات العامة والثورات أو عن طريق الاحتجاجات السرية والتحالف مع الأطراف أو قراصنة شمال إفريقيا. ويمكننا القول بأنه بالكاد تواجد بين الموريسيكيين من يعتنق عقيدة الصليب بدقة. كانت لجان التفشي على علم بذلك وقد دعتهم أحيانًا إلى محتمتها بتمايه الإلحاد، ولكنها دائما ما كانت تنتهي بمعاملتهم بلين غير معتاد دون أن تعرض عليهم عقوبة تزاحمهم أو تكتفي بمصادرة ممتلكاتهم، وذلك لأن الخطأ

(3) كان تنصير المسلمين حينئذ يهدف إلى الإضرار بمصالح البلايا. عندما ينصير المسلم فإن يكون في حاجة إلى دفع البلايا عنه وبالتالي فإن يدفع لهم ضرائب وان يرضى بالحصول على أجور منخفضة.

المراجع)

117
لا يقع على عاتقهم بمفردهم بل يتحمل المسيحيون القديمي جزءاً منه ليس بالقليل.\(^{(32)}\)

لم تنجح سياسة الاستبعاد التي اتبعتها فلبيني الثاني في إيجاد حلول فعالة للمشاكل. حيث جاءت القرارات متأخرة ولم تولد سوياً زيادة الكراهية بين المجتمعين.\(^{(40)}\) وهذا هو السبب الرئيسي لثورات غزينة عام 1568.

لم تثر المخاطر التي مثلتها الأقلية أو رد فعل لدى الملك الحكيم: "... لم يكفه الطرق غير الآمنة التي عاثت فيها جماعات قطاع الطرق، ولا كثرة الدسائس التي تولدت بنفس السرعة التي تموت بها لكي يقرر قطع ذاك العضو الفاسد من جسد الأمة الإسبانية. لم يكن هناك سوى مشاريات، ومذكرات، وقرارات، ومجاسس: أفة إسبانيا القديمة\(^{(45)}\)."

بعد إطاراته الشخصية وعمل غاسبار أغيلار، يبرز لنا استنكاره لما حدث في فالنسيا في أثناء الانقلابات التت حدثت بعد إعلان قرار الطرد: "لم تكن الحرب حرباً بل عملية صيد وإبادة لم يتحلي فيها أحد بضمير أو شفقة أو رحمة فألقى بالرجال والنساء والأطفال من فوق الصخور أو قطعت أوصالهم في عمليات تعذيب مروعة.\(^{(61)}\) وهو يذهب إلى أن عدد المطرودين يقارب 90000 وذلك دون إحصاء من ماتوا في جبال فالنسيا، أو من بقوا في شبه الجزيرة. إن ازدراء المنفيين هو أمر لا ينسى على الإطلاق. وهو يرى في الصراع، كفاح كتاب القرن التاسع عشر، مواجهة بين جنسين متصادمين والمحصلة النهائية هي تغيير طبعة الأضعف: "إنه لضرب من الجنون التفكير في أن تنتهى معارك من أجل البقاء، وحروب دموية دامت لقرن بين الأجناس المختلفة سوياً بالطرد أو الإبادة. دائمًا ما يخضع الجنس الأدنى وينتصر مبدأ القومية الأقوى والأشد.\(^{(70)}\) وأمام تلك الحتمية لا يسعنا إضافة المزيد: سنكتفي بإثبات الرؤية التي تنقلها لنا هذه المشكلة."

118
بيد أن باسكال بورونات يمنح موقف مينينديث بيلليو الأخرين وروئيته الضيقة. وبعد مسألة الطرد عادلة وضرورية بل إنه يذهب إلى أن المكاسب الروحانية قد عوضت الخسائر الاقتصادية المحتملة.

والقرن التاسع عشر لا يقدم لنا سوى أعمال تحاول تبرير أو نقد السياسة والحلول التي لجأ إليها فيليبي الثالث. معالجات القضية الموريسكية ليست سوى تحدث للأعمال الكلاسيكية حول هذا الموضوع، واستخدام بعض فقراتها لتزيين الفرضية المطروحة. فلا يوجد اهتمام بمعرفة عادات وطرق معيشة الموريسكيين، وإن وجد فهو مجرد نقل للمعلومات الموجودة في الوثائق دون تحليل إمكانية صحة ما تتبّى به الأفعال. إضافة إلى ذلك فإن خضوع المسيحي الجديد للوسائل التي فرضها عليه المسيحيون القدامى والتراث الثقافي الضئيل الذي خلفه الموريسكيون، كل ذلك أدى إلى احتقارهم. ولقد عولجت القضية الموريسكية كمجرد صراع عنصري. "لقدما ما تم الحكم على إجراء الطرد بنفس الحماس الذي تلقاه به يوبي، وكان إسبانيا في القرن السابع، وكاد بيخا Lope de Vega، وثربانس Cervantes، على أنه انتصار لوحدة الجنس والدين، واللغة، والعادات. أما الأضرار المادية فسيعالجها الزمن: فما كان صحراء فاحلة وكتيبة المنظر عاد ليصبح بساتين خصبة وبهجة، أما ما لا يمكن معالجته ولا يملك البشر دواء له فهو الكره بين الأجناس، وما يخلف وراءه عقدا متشابكة ودامية هى الجرائم المشابهة لما قامت به عناصر المقاومة. وعندما وصلت الأمور إلى ذروتها لم يعد الطرد مناسب وحسب بل حتميا. لم يكن ممكنًا حل العقدة وإنما كان ضروريا قطعها: هذه هي العواقب التي طالما أدى إليها الارتداد قسرا عن ديانة ما."((6))

ومينينديث بيلليو لا يعد طرد الموريسكيون ضروريا فحسب بل يراه كتتمة لأحد قوانين التاريخ وهو لا يُسّف سوى لتأخير تنفيذه.
التأكيد على أن محامى التفتيش قد عاملت الموريسيكيين برفق غير معتاد دون أن تفرض عليهم عقوبة لتراثهم أو تصادم أملاكهم لا يمكن التأكد من صحته إلا في أثناء العقود الأولى من القرن السادس عشر، حيث أدى الضرد إلى واحد من أكبر الانهيارات الاقتصادية بالنسبة لاقتصاد محامى التفتيش.

7-2: ميديستو لاوفونتي

قام ميديستو لاوفونتي بتخصص عدة صفحات من كتابه "التاريخ العام لتحليل المشكلة الموريسكية وكان هذا Historia General de España للإسبانيا" العمل من أكثر الكتب المقرورة آنذاك، ولذا يسهم تأثر الآراء التي يحويها إلى حد كبير في الفكر الإسباني خلال القرن التاسع عشر. ويؤكد مانويل مورينو ألونسو في حديثه عن شخصية المؤرخ البالنسي: "بعد أن أصبح شخصاً مشكوكاً، لجأ لاوفونتي للتاريخ بوصفه مؤرخاً لبعث رسالة خاصة به، وهو يرى أن الدور الرئيسي للتاريخ في حد ذاته هو قبول رأى شيوخه حول Magistra Vitae حول Cicero كحرة للتتويج في الوقت الحاضر، لا سيما إذا نظرنا إلى الظروف والأحوال التي تمر بها الحياة السياسية في إسبانيا في القرن التاسع عشر."(50)

وكثير من مؤرخ القرن الماضي فإنه يبرز الجرأة والظهارة المتواصلة في الإسبان، إضافة إلى حب العقيدة وهو العنصر الرئيسي للفكرية الإسبانية. وعمله بعد نظراً وقائماً على التأملات على الرغم من تضمينه لوثائق جديدة حول المشكلة الموريسكية ينتهي عادة إلى الأرشيف العام لسيمانكس. ويتأمل لاوفونتي وقائع القرن السادس عشر والبدايات السابع عشر. والأحداث التي يرويها لا تختلف عمداً وصفه معاصروه إلا من حيث الحكم النقيدي الموجه لها.

120
ويذكر النقد لحكم فيليبي الثاني على مدار هذه الصفحات، فالثورة لا تقوم نتائج الشر المتآصل في هذا "ال الجنس" كما سيؤكد بورونات بعد عدة سنوات، ولكن السبب هو: "لا يوجد شعب لا ينقلب على محاولة اقتلاعه بالقوة من جذوره، وكل ما يعد ضمه في حياته كموريسيكي البشرات غير القابلين للترويض، والذين أعطوا دلالات عديدة على شجاعتهم الفظة وضراوتهم الخشنة، وعرف عليهم تسخينهم الشديد بعذاباتهم القديمة." (12) المشكلة إذن هي عدم الفهم والجهل المطبق لواقع غرناطة. كان من الممكن تنصير المسلمين بصورة أفضل عن طريق التبشير. كان
القنوط الذي استشعره الموريسيكي هو السبب الوحيد لزجّه بنفسه في حرب
بناءة.

كان من الخطأ السياسي إشعال ثورة "... هؤلاء الأشخاص المتوضعين
وغير المروضين" إلا أن عدم التحلي بالواقعية كان سبباً لتلك المقاومة الملتهبة التي
أطلقت بين صفوف المسيحيين رد فعل عكسي: "... بمجرد بدأ الحرب بالنسبة لهم
أصبحت ضرورة ومن الواجب الانتصار فيها لشرف المسيحية وخير
الإنسانية".

"تسبب فيليبي الثاني الحكيم بأفعاله في إشعال الثورة والحرب الدموية التي
شنها الموريسيكيون، كما أدى إلى إطلاقها استنكاره لتصورات أحد الجنرالات الذي
كان على وشك قمعها، تاركاً أخاه له يتصرف بتوان غير مبرر: وقد تعامل بالشدة
ذاتها مع كل من المذنبين والأبرياء. لم يكن أمامه طريقة لإرسال الوحدة الدينية في
ملكة غرناطة سوى بإخالائها من قاطنيها، أما تحويل سلالة من الموارقين إلى
مسيحيين أخير فقد رأى أنه من الأفضل القضاء عليهم."(11) ربما تكون هذه الرؤية
تتسم بالمبالغة في تناولها لمعالجة فيليبي الثاني المشكّلة الموريسيكية. وتظهر
بوضوح، الريبة التي تعامل بها المؤلف مع الماضي الإسباني من خلال الاستشهاد
السابق.

وهذه المشكلة لا تعيب الملك الحكيم وحده، فقد ورثها عن الإمبراطور: "ما
الوسيلة الواجب اتباعها مع أشخاص عنيدين ومتصليين؟ إن إلقاءهم في النهر،
bغض النظر عن جرائتم وكونهم سلالة محاربة وقوية، كان يعني أيضاً حرص
أشد أراضي إسبانيا خصوبة من أكثر الفلانون اجتهاداً، وإخلاء أجمل مقاطعات
إسبانيا من سكانها، وتجريد خزانة الدولة من أجزل مصادرها عطاء، التسهيل مع
استمرارهم في اعتناق عقائدهم وشعائرهم الإسلامية لم يكن يتفق مع خطط العاهل
السياسي كما كانت ترفضه روح الشعب. بدأ أن تعليمهم، وإضفاء صبغة التحضّر
عليهم وعذبهم بواسطة العقيدة والسياسة والوعوز هو أكثر الأمور ملاءمة وفائدة
أيضاً أكثرها مراعاة لروح الإنجيل. على الرغم من ذلك فقد أجبرهم كارلوس
الخامس على الاختيار بين التنصر أو الطرد. (19) كل ذلك يرجع لإهال كارلوس
الخامس الشديد لشئون إسبانيا: "إن انشغال الإمبراطور فيما بعد بالحروب
الخارجية، وغالبيتها ضد المارقين والخونة، لم يجعله يفطن إلى أن مسلمي مملكته
خضعوا لما يريد ولكن دون اقتراح، وأنهم قد تتصرفوا ولكنهم لم يؤمنوا، وأنهم
خضعوا للأوامر المسيحية ولكنهم كانوا معتنقين للإسلام. وهكذا ترك كارلوس
أرثاً لولده وحفيده، وكلاهما يدعى فيليب، نواة الحروب الدموية للمتمردين من
الموريسيين الثالثين. (18) هذا ولم يكن فيليب الثاني المرتد الذي تمكن منه
فكرة الوحدة الدينية بعقد على إيجاد نهاية جديدة لهذه المشكلة.
وإذا كان الكاتب قاسياً على أول حاكمين من حكام أسرة أوسخرياس فقد كان
أشد قسوة مع الحاكم الثالث وما أتخذه من قرارات. وينقسم تحليل نتائج الأحداث
التي وقعت ابتداء من عام 1609 إلى ثلاثة أجزاء: اقتصادية، وسياسية، ودينية.
العواقب الاقتصادية هي الأكثر أهمية. ويعتبر لافويتن ليشدة على
المؤرخين المحافظين في هذا الصدد. وقد أثارت آراءه انتقادات كانويس ديل
كاستيو، ودانيلارا، وبورونات. "أنا شيء هو أنه بذهابهم قد اتفقنا شعبا كادحا،
وذكري، ومدربا على المهارات النافعة. وسنبعد الحديث عن زراعتهم محاصيل
السكر والقطن والحروب التي كانوا فيها متفوقين للغاية، وذلك نظراً لنظام ريكهم
المثير للإعجاب والذي استخدموا فيه السواقي والقنوات... ونستكمله عن صناعتهم
للنسيج والحرير، والورق، وديغ الجلد الذي تميزوا فيه، لتكون الخاتمة مع
الحرف الميكانيكية التي ازدرى الإسبان احترامها بوجه عام لثقافتهم وتفاخرهم...
كل تحمل نقص الأيدي العاملة والذكاء، الذين أصبح مستحيلاً تعويضهما في فترة
قصيرة وتكلف فيما بعد جهدًا ووقتًا، وأموالًا. وهكذا واجهت القرى الصاخبة

123
الصمت الحزين لترحيل ساكنيها وتحملت فيما بعد عبور المزارعين والحمالين للطرق متعرضين لمخاطر ملاقاء قاطعي الطرق... ويرى لوچوينتي أن المستفيد الوحيد من الطرد هو دوق ليبرما، الذي استولى على جزء من النقود التي بيعت بها أملاك المسلمين، ويقدر أنه قد جنى من ذلك خمسة ملايين ونصف ريال.

وبعد طرد الموريسكيين أكثر شيء برثى له في إسبانيا. ويتفق المؤلف مع آراء الكاردينال ريتشاريو ويفصح الاجتماع بأنه: "أشد المجالات التي ذكرها التاريخ على مر القرون السابقة جرأة وبربرية."(7)

ويرى فيما يتعلق بالمواقع الدينية: "أن تقسيم فكرة الوحدة الدينية، التي عمل بمهارة لتنفيذها كل من ملوك وأفراد الشعب الإسباني، لهما أمر لا يمكن إنكاره. ولكننا لتعتقد أن تحقيق الوحدة بواسطة إبادة أولئك المعتقلين لمعتقدات مغابرة أمر يستحق الإشادة (فيما عدا حالة نشوب حرب كما حدث في العصور الوسطى). ما كان سيحقق المديح بالفعل هو اجتذاب المارقين باستخدام العقيدة، والإقناع، والتبرير، والاذاعة، والتفوق الحضاري."(7)

وفي عرضه للعواقب السياسية يلخص كل أفكاره حول القضية: "... ولم نجد أن الخطط التأمرية كانت على قدر الانتشار والخطورة التي ساهمت أن تضارح الطرد، أو أن نفود المسيحيين الجدد في فلانسيا كان ممكنًا أن يثير هذه المخاوف الجادة، أو أن يكون موريسكي أو راغون وموريثيا قد أوحوا إليهم بذلك، كما جاء في عرض نواب تلك الممالك للأمر، وكانوا يعدون أكثر السلطات المنوط بها في هذا الصدد، ولا نعرف ما إذا كان موريسكي قشتالة قد تآمروا عليهم أو إذا ما كان بمقدورهم التأمر عليهم."(4) على أية حال، إذا اعتبرنا أنه بعد قرن من قمع الموريسكيين، وإخفاءهم لقوانين المملكة، وتفريقهم، ومزجهم بين الإسبان.

(*) هذا ما نتناول فيما بعد ما كتبه سالو ف. كتابه "القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى" ترجمة عائشة سويلم، المشروع القومي للترجمة (المراجع).
والمسيحيين، لم تنجح جهود تعويديهم على الشعراء والتقاليد المرجوبة، أو إعادة دمج بقايا الشعب المنزور في الحشود كبيرة للشعب المنتصر، أو حتى جعلهم منحيةً دينيةً، دون أن يكون من الضروري لجوء لمسائل الإبادة العنيفة لجيل بأكمله، فإنه بعد ذلك لا يمكن الحكم إيجابياً على سياسة فيليب الثالث ومن سبقوه من الحكام.

تختلف رؤية موديستو في أفونتي عن رواية كانوباس ديل كاستيو. حيث يرى هذا الأخير أن الوسائل المتصلة ب"الجنس" الموريسيكي كانت عادلة. وأن تعاطف قوى المملكة قد تجاوزت بكثير كل حدود العقل. وأن تعريض الوحدة الدينية التي حققتها الملوك الكاثوليك للخطر بعد جريمة. كما أن الموريسيكيين قد منحوا كل السبل الممكنة للتنصر ولم يمنعهم من قبول العقيدة.renderer euclidean.style= "normal"

الشريرة. وهو يعتمد على تصرفات الجماعات germanias ويعتبر التعميد السذى نفذه لا يصلح. والطرد هو أمر جيد على المستويين السياسي والديني. أما المشكلة الاقتصادية فهي مهمة ولا تلعب سوى دور ثانوي. صحيح أن هناك مشاكل، وخاصة فيما يتعلق بتعداد السكان في فاليفيا، إلا أن الوحدة الدينية عوضت تلك الآثار السلبية. وتم إعادة إعمار مملكة توريا القديمة بسرعة، فلم تحدث فجوة اقتصادية وديموغرافية.

أما أ마다ج دى لوس ريوس فوجه نظره أقرب لنظرة المؤرخ البالنسي.

حيث يذهب هذا المؤلف إلى أن الطرد كان أحد العوامل التي أطلقت العنان لأزمة القرن السابع عشر، والتي تكيفنا من أثارها بصعوبة. على الرغم من ذلك، فإن هذا الاعتراف غير المباشر بالاضرار الاقتصادية للطرد لم يكن مقبولًا. لذا فقد كان تبريره الفوري، أو من الأفضل أن نقول التقل المناز لتلك الحقيقة، هو الفائدة.

(3) هل كان الموريسيكيون بحاجة إلى شهادة انتقالهم لوطنهم الإسباني؟ (المراجع)
الأخلاقية والدينية التي تحققت. على أية حال فإن المؤلفين الذين يستخدمون هذه
الحجة المفروضة نجدهم يرحبون تحت قيدمنحقي يتبع اتجاههم الفكري ممن
الصعب أن يضف قيمة إلى أعمالهم وآرائهم غير كونها وثائقية بحتة.

إن الأعمال التي تناولت تاريخ إسبانيا العام لها قيمة نظرية. حيث تبدو رأيا
حول السياسة الملكية والعواقب الناجمة عن الطرد. والوثائق التي تمدنها بها قليلة
وليس على فدر كبير من أهمية بالنسبة للتطورات اللاحقة للقضية.

إنه أعمال سياسية ذوى أسماء مشهورة يتلاقبون بالتاريخخدمة
مصالحهم. رؤيتهم ومثلهم الأعلى في الحياة ينعكس بوضوح في هذه الأعمال. إن
معضلة القضية المورسكسية في القرن التاسع عشر تتركز حول آثار الطرد
والأسباب التي دفعت لاتخاذ هذه الوسيلة. المؤرخ المحافظ سيتناولها بوصفها
مشرفة حيث أدت لتحقيق الوحدة الدينية الكاملة، والمؤرخ المتحر سيراً طريقة
مشوهة حيث أدت إلى نقص عدد السكان للأمة الإسبانية.

8-2: ألبرت دي ثيركوت
نشر الكونت ألبرت دي ثيركوت كتاب "تاريخ المسلمين، المجندين
المورسكس" Histoire des Mores, Mudéjares et des Morisques عام
1846 في باريس.(37) يقع العمل في ثلاثة مجلدات خصصت حوالي نصفها لعرض
إشكالية المسيحيين الجديد من أصل مسلم. وقد كتب ثيركوت في حقيقة الأمر دليلا
للاجانب تحدث فيه عن الوجود العربي في إسبانيا.

Damian وداميان فونسيكا Bleda وGuadalajara y Javier Fonseca
وقد استعان بنصوص لكل من بليدا
وعودالإخباراء إي خابيير و Guadalajara. وعلى الرغم من تضمينه في نهاية كل مجلد قائمة بالوثائق المستخدمة فإن عمله يتسم بنقص شديد

126
في الوثائق الأصلية المستعان بها، وهو ما عودنا عليه مؤرخ القرن التاسع عشر، المتخصصون في القضية المورسية من معاصرى تيركوت (أمثال لافونتي، أو بورونات، أو دانفيلا) يعرفون هذا العمل ولكنهم لا يشيرون إليه إلا قليلاً. هذا ويتعد النقد للمؤلف الأرستقراطي الفرنسي، ويتكيف كمثال على ذلك استياء بورونات منه لإنقاصه من أهمية ما قام به السيد بيلاريو ولأنه يؤكد أن هذه الشخصية ليست مسؤولة في تاريخ إسبانيا. هناك العديد من الأخطاء التاريخية، مثل كون كل من رئيس أساقفة توليد ودوق ليرما أخين له بينما هما في الحقيقة عميه وابن أخيه.

خصص المؤلف المجلد الثاني وجزءاً من الثالث لدراسة حرب غرناطة Diego (1868-1871). وهو يعتمد على روايات دييغو أورتادو دي ميندوتا، Luis Mármol Carvajal، لويس مارمول كارباخال، Hurtado de Mendoza، وبيريز دي إيتانا. حيث يقدم لنا تأريخاً مسحاً ومطولاً لكل لحظة من لحظات النزاع. ويفعل الصراع من خلال النصوص الكلاسيكية مضيفة تأملاته حول الأحداث. من هنا نتجرأ ونؤكد أنه عمل ذو طابع نظرى إلى أبعد الحدود. ويتضمن هجوماً منظماً على سياسة الملك وموظفيه. يأخذ تيركوت جانب الدفاع عن المسيحي الجديد، الذي يراه شهيد التتعصب الإسباني خلال حكم أسرة أوسترياس. فقد قام المورسكيون بالعديد من الأشياء الجيدة ولم يستحقوا أن يتلقوا معاملة بهذا السوء:

لم تعان بحق من وجود المسلمين سوى طبقة واحدة فقط هي طبقة العمال، فكثيرة وجود عمال لا يعكس أدت إلى خفض الأجور، إلا أن هذه الطبقة التي كان مقدرة لها أن تلعب دوراً غاية في الأهمية في تاريخ إسبانيا، هذه الطبقة لم يعد لها أي تأثير بعد القضاء على النظام الإقطاعي. من هنا نستطيع أن نتقهم لذا استطاع مسلمو قشتالة، مع عدم تمتعهم بحماية منظمة ذات نفوذ كمسلمي غرناطة، أن
يتطاول الأزمة التي عانت منها اليهود دون خسائر فادحة على الأقل في الوقت الحالي. (٤٧)

ورويت نهوضهم تاماً للمؤرخين الإسبان (٥٠)، ليس فقط فيما يتعلق بموقفهم المختلف نحو الأقليات ولكن كذلك بالنسبة للفرقة التي تناولها بالتحليل. وتعد دراسة ثورة غرناطة هي الأساس، بينما يعالج الطرد وعواقبه في أربعة فصول بطريقة مختصرة ومركزة. لقد استخدم الموريسكي ليكون رأياً يحمل نقداً شديد اللهجة للعصر الإمبراطوري الإسباني. فكان وجود المنشق دينياً وثقافياً هو السهم الذي هاجم به حكم فيليبي الثاني، هذا إضافة إلى نقص اللاذع لمحاكمة التفتيش والتعصّب الدينى. لذا فهو يرسم لنا صورة مجتمع مغلق، ومتخصص، ودموى، وجائر. مجتمع سمح لنفسه أن يلعب بمصير نصف مليون شخص.

بحافظ ثيركوت على موقفه الناقد لشخصية فيليبي الثاني:

... لم تكن المشاريع الكبرى التي تهدف إلى التحسين والتنظيم معروفة لهذا العاهل الحريص، الذي حكم عن طريق فرض الرعب والتجسس، والذي أرغمه وزراؤه على إحداث أضرار عديدة وقفاً لرغباتهم وأكثر مما كان يريد. وعلى الرغم من طبيعته المشتككة فقد دفعته قريحته الامور إلى تقوية الخلافات بدلاً من التقارب بين الإرادات، ولم يكن يستسلم قبل القضاء نهائياً على كل من يقف في طريقه. إن فيليبي الثاني، الذي لقبه المؤرخون الإسبان بالحكيم، لم يتعم أية دروس من أصحاب الخبرة... وكان لابد له من الاهتمام بأمن الدولة بدلاً من إشارة الاضطرابات بقرار مثل الذي أصدره في عام ١٥٦٦. (٣٠)

لا يحتل طرد الموريسكيين سوى الفصول الأربعة الأخيرة من العمل. وفيها يواصل هجومه المنظم على السلطة المالكة. يعتبر دوق ليرما هو المتسبب الرئيسي في فرض هذه الوسيلة المذمومة، حيث يرى أنه من فائدة لتحقيق الوحدة الدينية:
وضع الملك يده على كل ما يمكن الاستيلاء عليه من المساجين قبل إرسالهم بعيداً على متن سفن كبيرة وقديمة. ليس من المبالغة التأكيد على إن مرسوم الرابع من أغسطس قد جرد إسبانيا مما يصل مجموعه إلى مائتي ألف نفس بشرية. لقد انتشرت عواقب طرد موريسيكي فالنسيا بعد خروجهم منها مباشرة، إلا أن ذلك لم يمنع دوق ليرما من المنضى قدماً في طريقه المٌشروع. لقد تم تطهير مملكة فالنسيا، وقد أخذوا على عاتقهم مهمة تطهير باقي إسبانيا.⑷

ويظهر تعاطفه والصرخة التي أطلقها في وجه ما يعده ظلمًا وتحرفاً منحرفًا تجاه أكثر أبناء الوطن إنتاجًا في الاستشهاد التالي:

كانوا يبيعون لهم كل ما يحتاجوه في أثناء الطريق بأسعار مبالغ فيها، حتى مياه الأنهار التي لجأوا إليها ليشتروا بأكفهم، وظل الأشجار التي تذروا لاحترامهم بها لعدة لحظات.⑸

كان المؤرخ الفرنسي بعد الموريسيكي إسبانيا. هذا هو الأمر الوحيد الذي يعيننا على فهم الكلمات الآتية:

كان حب الوطن هو ما جعل شابات وادي ريكوث الممارسات بقررن الزواج من المسيحيين القدامى، حتى يتسنى لهن البقاء في إسبانيا. بعض الزواجات فشلت، وانضمت الزوجات للخدمة في الأديرة. هناك أخبار ترقب اللجوء للجبال طبَّا للحماية، حيث قضاوا حتفهم بعد حياة باقية، بيد أن تأملهم للسماء التي عاشوا تحتها في سعادة خففت عنهم عناة النفي.

Salazar

انتقد ثيركوت أعداد المنفيين التي اقترحها كل من سالازار مندوزاً Escolano (١٠٠٠)، وميلينديث بيلايرو (١٠٠٠)، واسكولانو Mendoza وغوادالاخارا إِي خابير (٢٠٠٠). وقد زودنا بالأرقام التالية:
<table>
<thead>
<tr>
<th>عدد المطرودين</th>
<th>للطرد الأول</th>
<th>للطرد الثاني</th>
<th>العدد الإجمالي</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>15000</td>
<td>فالنسيا</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>8000</td>
<td>أندلوسيا</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>6400</td>
<td>أراغون</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>4400</td>
<td>قتالونيا</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>127</td>
<td>قشتالة</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>6502</td>
<td>موريا</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>1100</td>
<td>كالاترپا</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>2500</td>
<td>وادي ريکوتو</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>عدد المطرودين</th>
<th>للطرد الثاني</th>
<th>للطرد الأول</th>
<th>العدد الإجمالي</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>6000</td>
<td>فالنسيا</td>
<td></td>
<td>453596</td>
</tr>
<tr>
<td>1267</td>
<td>قشتالة</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

ولكن (79) لحساب السكان الذين فقدتهم إسبانيا في هذه الفترة من الضرورى معرفة عدد الموريسكيين الذين هلكوا عن طريق السيف، والثوران، والجوع، وكَم هرب منهم قبل الطرد (80). لقد تم اضطهاد الموريسكيين تحت ذريعة العقيدة. فلم يعود الطرد سوى لصدور العديد من الشهداء حيث لم تقبلهم أي من الأماكن التي حلت بها السفن التي كانت تقف (مثل روما في عام 1611 على سبيل المثال).
في إطار معارضته للآراء التي تعرضاها كل من دانيلا وبورونات، يذهب تيركوك إلى أن هجرة هذا الشعب كانت واحدة من أهم الأحداث النافعة التي استفادت منها بعض مناطق شمال إفريقيا.

كانوا متفوقين على سكان شمال إفريقيا في الصناعة والتجارة، حيث جلبوا معهم تقنياتهم الزراعية، ونظامًا خاصًا بهم لاستغلال الينابيع والبرك وقنوات الري، وأسرار صناعة الصوف والحرير. حيث احترموه، كما كان حالهم في إسبانيا، كلمة الحرف المربحة، وكل الحرف كانت مربحة عندما كانوا يمارسونها. هذا الأمر أثار حسد اليهود، والمسلمين، والعرب أنفسهم.

الضرر الأساسي الناجم عن الطرد هو:

دائمًا ما خسرت إسبانيا جزءًا من شعبها، وقد افتقدت بشكل خاص الزراع والصناع، وهي لم تستطع قط تعويض من طردهم.

كان دوق ليبرما وولد دوق أوثيدا هما المستفيدين الوحيدين، حيث حصت على 3500 دوقية، و1000 دوقية على التوالي.

وقد استفاد الأرستقراطي الفرنسي من كل ذلك في مهاجمته للقرار:

قررت مدينة فالنسيا الاحتفال بالطرد كل عام بواسطة موكب تذكاري، إلا أنه كان من الضروري أن يقوم رئيس الأساقفة بجمع الأموال لدفع أجور أعضاء الكنيسة الذين سيحضررون الموكب.

والعوامل الاقتصادية يمكن استشعارها في الأماكن العديدة التي أخليت من سكانها، والدمار الذي لحق بالقلع الإقطاعية القديمة، والصناعة التي قضى عليها، والتدهور الذي أصاب إسبانيا والذي تأخرت الدولة قرونًا عديدة للخروج منه.
تعد الوسيطة المتبقية قاسية ودموية. ولا يمكن إلقاء تبعتها على قائد سياسى
بعنيه فهي تمس جوهر الكيان الإسباني نفسه؛ من بين جميع أمم الكورة الأرضية تعد
الأمة الإسبانية هي الأسوأ من حيث القيام بالهام الشعبية التي أوكلتها إليها الإرادة
الإلهية عدة مرات. فكلما استطاعت القيام به في أمريكا هو القضاء على الأجناس
الموجودة دون أن تتمكن من استيابها قط؛ وقد حملت الكبراء والتشدد الحضاري
أبعد من أي أمة أخرى، ذلك التشدد يمكنه أن يكون أكثر شؤما من التشدد الديني.
لم يشعر الإسبان نحو المسلمين والهنود سوى بالاحترام.(3) لم يحاولوا معرفتهم
أبدا، والهنود بدورهم لم يرغبوا في التعرف عليهم، دائما ما كانوا ينظرون إليهم
على أنهم شعب بربري، وشرير، ودنيء، كما لو كانوا أحد تلك الشعوب التي
لا تستحق شيئاً.(4)

ستنكر الاستشهاد عند هذه النقطة حيث إن باقي تلك الصفحة والتي تليهما
تذكرنا، بما وصفه الكاتب، بماضينا القاسي وغير العقلاني. ينتهي العمل بتوصية
الحكام بإذن مقاصد شعبهم في الاعتبار، فいただくوا بذلك إلى آباء حقيقيين للرعية،
وألا يتعاملوا بالوحشية التي سلكها فيليبي الثاني.

لقد تعامل تيركوت مع المراجع القليلة التي استخدمها بطريقة تنفق وأهوائه
ومنظور مشوه، شرقي، ومبالغ فيه. العمل يعد ذما مستمرا للسياسة الملكية. كان
قرار الطرد ثمرة أفكار أربعة من اللصوص والمعتصبين وهو لا يعبر عن رغبة
الشعب. وهو يرى القضية الموريسكية من منظور ذاتي يتبعة فيه مذهب المغالاة في
بشاعة الأحداث. وهذا هو السبب وراء قلة الإشادة بهذا العمل في التأريخ على
مدار القرن التاسع عشر.(5)

بعض الباحثين يربطون بين تصرف إسبانيا تجاه المورسيكيين، وتصرفهم تجاه الهنود الحمر، راجع
مقال أريتال على سبيل المثال. (المراجع)
في الوقت الحالي هناك باحثون كثيرون يوجهون النقد لسياسة الملك الإسبان ويعترفون بوقوع ظلم
على الشعب الموريسكي. (المراجع)

132
МАНОЕЛ دانفيلا إي كويادو

واحد من آخر الأعمال التي تتناولها بالتحليل هي سلسلة المحاضرات التي ألفها عضو الأكاديمية الملكية في التاريخ مانويل دانفيلا إي كويادو ما بين الرابع من فبراير والتاسع والعشرين من مارس عام 1889 في منتدى مدريد الثقافي. والتي نشرت في العام نفسه في كتاب صغير تحت عنوان "طرد الموريسكيين الإسبان". La expulsión de los Moriscos Españoles

المحاضرات بكتابة مقالين آخرين حول هذا الموضوع في شرطة أكاديمية التاريخ Hما تزع سلاح الموريسكيين في Boletín de la Academia de la Historia و"جهاز عروس موريسية من Desarme de los moriscos en 1563". Ajuar de una morisca de Teruel طرول (81). وكل واحدة من هذه الإصدارات تعد نقلًا لوثائق غير مشروعة دون إضافة معلومات جديدة. كما تتناول المشكلة الموريسية في المقدمة الطويلة التي كتبها لدراسة ياكوب بورونات (82) - الذي سردته فيما بعد - والتي أقر فيها بصحة الأفكار التي عرضها في محاضراته.

الوثائق التي يعتمد عليها العمل بصورة أساسية تتمثل في محاضر محاكمة التفتيش، والأعمال الكلاسيكية والتي تمت دراستها في الفصل السابق، ومستندات لم يسبق نشرها من الأرشيف الوطني للتاريخ والأرشيف العام لسياكاس.

شكفلت كل واحدة من المحاضرات فصلاً مستقلًا: في الفصل الأول كان الغرض هو معرفة الحالات التي نجمت عنها الأسباب المؤدية للطرد، وذلك عن طريق دراسة الأمر منذ زمن خامي الأول ملك أرغون وحتى الملك الكاثوليك. كل من الفصل الثاني والثالث والرابع يتناول كل الأحداث المتعلقة بتلك القضية خلال حكم الملوك الكاثوليك، وكارلوس الأول ملك إسبانيا، وكارلوس الخامس ملك ألمانيا، وفيليبي الثاني. وفي الخامس...، سأنتهي من دراسة الحدث ذاته من خلال
حكم فیلیپین الثالث، وهو الذي أصدر مرسوم الطرد عام 1909، مبينا العواقب السياسية والاقتصادية التي تمخض عنها.

وسوف نتتبع خطوة بخطوة تعليلات المؤلف ملتزمين بالمنهج الذي رسمه.

حيث يضع مسألة المسيحيين الجدد في فلبينيا بصفة خاصة في المقام الأول، مضيفا أن تلك المشكلة خاصة بهذه المملكة على الرغم من وجود فروع لها في باقي البلاد. من هذا المنظور يمكننا أن نفهم اختيار الكاتب لحكم خايمي الأول حتى يبدأ به محاضراته.

ترجع جذور القضية الموريسكية إلى بداية حملة استرداد الأرض، ولذلك فهو يميل إلى وضع تعريف لها: "... ما الذي تعنيه هذه الحملة؟ وما تلك القوة القادرة التي يحويها استعادة التراب الإسباني والذي تمت في فترة قصيرة مدعومة بالعناية الإلهية حتى تم استرداد الوطن السليب بأكمله؟ ألم قد حمل هذا الغزو في مضمونه أفكارا عظيمة: الفكر الدينى من ناحية، وفكرة الملكية من ناحية أخرى، إضافة إلى حرب استقلال الوطن، والرغبة في الثأر للإهادات القديمة، وكذلك فكرة الرد على احتلال كالذي تعرضنا له في عام 1911 باستخدام نفس الأسلحة والوسائل والموارد وتثبيت نفس النظام المستخدم منذ الغزو العربي وحتى عام 1492 عندما أرسى الملوك الكاثوليك الوحدة الوطنية باحتلالهم لغرنطة.

يتبنا دافليلا بما سيلقية الموريسكيون من مصير مشهوم منذ استيلاء خايمي الأول على شاطبة: "ولكن أنها السادة بالصدق الحكمة القائلة بأن السلام القائم على إذلال المهزوم ليس ولا يمكن أن يكون سلاما دائما!".

كانت الظروف التي عاش فيها الموريسيكي في أثناء القرن السادس عشر واضحة منذ العصر الوسيط "... بعد استعادة فالنسيا حدثت ظاهرة سوف تتكرر.

(*) نكتب هذا المصطلح الذي استخدمه المؤلف وإن كنت نحفظ عليه. (المراجع)
بعد ذلك بأربعة قرون بالضبط. حيث قام السلاطين بانقلاب، وأيد الفاتيكان قبواة
الحكم الملكية. حيث تبرعت الكنيسة بربع إيراداتها واعتبر الملك مضطرا لأن يقسم
أمام المندب الأول بكاتدرائية فالنسيا على إبادة المسلمين، وقام النبلاء بحماية
السلالة المسلمة وردع الإرادة الملكية وأوجدوا بذلك تضارباً محققا في المصطلح
إلى أقصى درجة. (11)

تم تحليل المشكلية الموريسكية في القرن التاسع عشر من منظور ثلاثي
الأبعاد. من أحد الجوانب نجد المسألة الدينية، وعلى جانب آخر السياسية، وأخيرا
هناك اعتبار الموريسكي منتميا إلى سلاسلة مناقضة تمامًا للسلالة المسيحية، "تقرر
عصر سلاسلة المسلمين خلاف حكم خايمي الأول
Jaime I
"مصير سلاسلة المسلمين خلاف حكم خايمي الأول، والذي اضطر في مناسبتين مختلفتين إلى طردهم من أملاكهم/من مملكته. لقد أدت استحالة اندماج
السلالتين المسيحية والمسلمة إلى حالة من العنف والحرب التي تجسدت في القرون
الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ولم يوضع لها فصل الختام حتى حكم
فيليبي الثالث. (14) ونية دانفيلا هي إبراز الطرد على أنه أمر ملائم. وكما برهنا
منذ قليل فإن الفكرة ترجع جذورها إلى حكم خايمي الأول، فالمجهود الذيبذل
الكاتب في الاضطلاع وإخراج عدد كبير من الوثائق من دائرة النسبين يهدف إلى
تلك الغاية. وهو لا يصدق أراء ناقدة للوسائل المتبعة والقرارات المنظمة في هذا
الصد ابل يؤرخ فقط لقضايا الألفية مع التأكيد بشكل خاص على حالة فالنسيا.

تم تحليل المجتمع الإسباني في القرن السادس عشر كما لو كان تحليلًا لفترة
تعابيرها رغم الصعاب ثقافات كانتا فيما مضى متناقضتين، وأسلوب حياة
متعارضين. وهذه البورا ستشنج أكثر قتامة إذا ما أضيفنا إليها اعتبار المسيحية
القديم هو المنتصر والموريسكي هو الذي يعيش رغم الصعاب - على الأرض
التي ولد فيها - للشفاء الفاتح عليه. والمعضلة التي عاشها هذا العصر بأكاديمية
التاريخ تظهر في المؤلفات التي تتناول تلك القضية. ... مهما كان قدر مشاعرنا
الخبرة وإحساسنا بالتعاطف نحو سلالة الموريسكيين المسكنة، والممتدة، والكافحة، والتي لجأت إلى وحدة القرون بمثلية في الحماية، بل من السعي للحصول عليها، عن روف المحاكم كما فعل اليهود، فلا يمكن إنكار أنهم لم يحاولوا بحسن نية أن يكونوا جزءا من المجتمع المسيحي ولم يظهروا استسلام المنكروز الذي يفضل العيش وسط من انتصروا عليه(13). ينسى دانييل أن الموريسكي هو القاعدة التي بني عليها النظام الإقطاعي بفإنسيا، من الممكن أن يكونوا قد توحدوا مع المجتمع المسيحي بالمعنى المفهوم، ولكنهم أسهموا في محافظة الطبقات الفنية على مستواها المحلي.

من الغريب إشارة دانييل المتكررة إلى محكمة التفتيش. وهو يعترف هذته المؤسسة بوصفها معرفة عن الإدارة الشعبية(14) كما تضطلع بالحفاظ على سيادة الوطن. في بعض الفترات يذكرنا بأفكار كانوبياس ديل كاسترو في القرن التاسع عشر حول إصلاح النظام الملكي، وهو ما لا ينطبق على واقع الأمور في أثناء العصر الإسباني الوسيط عندما كانت تلك المحاكم مجرد هيئة استشارية بحتة. وفي المقابل، يعد محكمة التفتيش شبيه يلقى بضلاله على الماضي الملكي المجري. وعلقته المنتمية للقرن التاسع عشر لا تستطيع استيعاب الطرق والمذهب الفكرية التي تبعها القائمون عليها، وهم vôœ، لو لم يترك أعضاء المحكمة أنفسهم ينساقون وراء تعصبهم الديني، وهو السبب الذي أعزى إليه بعض الأسلوب القاسي الذي ابتعت في أثناء سير العمل في المحكمة المذكورة، أصبحت هي الضمان بالنسبة للأبرياء، كما كانت سككل الاستقرار والحزم لهذه الهيئة، وأنا أعتقد أن هذه كانت نية من طالبوا بإنشاء المجلس الأعلى(15).

تعالى المؤلف مع غزو غربنة بطريقة سطحية للغاية، فلم يقدم سوى بتلخيص تاريخ تلك الحقبة دون إضافة معلومات جديدة. ينتمي الموريسكي إلى جماعة عرقية وثقافية مختلفة، إلا أن ولادته في شبه الجزيرة منحته بعض...
خصائص الأمة الإسبانية "... ليبرز في أثناء حضور الملكة الكاثوليكية أن العرب المسلمين يتحولون بالشجاعة، أي شجاعة تلك إذا كان جميع عرب غرناطة المسلمين إسبان مثلهم مثل الأشخاص الذين حاربوهم! نظراً لكونهم إسبان، وذلك لولائهم في إسبانيا، فمن الطبيعي أن يتحلوا بالشجاعة، ونجدهم يصبحون أكثر غلظة وغبر قابلين للترويض كلما أقتربوا من حدود إفريقيا"(1).

كانت الاتفاقيات المبرمة مع مسلمي غرناطة محكوماً عليها بالفشل منذ لحظة عقدها مع أمة مهزومة. فلم تؤتي الوسائل التي اتبعها الملك الكاثوليك وكارلوس الخامس، ولا أساليب اللين التي تبنتها لجان التفتيش بثمارها، نظراً لطبيعة الموريسكيين الآثمة وإصرارهم على عقيدتهم الدينية.

وقد عقدت مقارنة بين حكم الملك الكاثوليك وحكم كارلوس الأول "... لقد تمكن الملك الكاثوليك، في رأيي، من تدعيه الحكم الملكي، وتحقيق الوحدة القومية، وأيضاً جعل أنفسهم محبوبين من قبل شعبهم، أما كارلوس الخامس فقد بدأ حكمه بالانفصال عن الدولة، ومن يصر على حكم شعب ما رغم إرادته ومعارضات ذلك مصلحته فهو عاهل شقي. إضافة إلى ذلك، لم تكتف أسرة أوستراس بالابتعاد عن الحكم الملكي للبلاد، بل أنشأت قوة برلمانية عظمى، وحولت - من وجهة نظر - إسبانيا في مرحلتها الأولى إلى إحدى مقاطعات الإمبراطورية الألمانية؛ لم يطلب رجالاً ونقولداً إلا عند الحاجة... بالنسبة للموريسكيين، فقد رأينا كيف كانوا يتعاملون كعبيد ولم يظلموا في إسبانيا سوى تحت حماية سادة الإقطاع، وذلك لكونهم بخدمون مصالحهم. وقد ظل مصيرهم تعيساً وشقياً ومزعزاً مثلاً كان حالهم منذ زمن بعيد"(2).

لا يستحق سلوك الملك الكاثوليك أدنى نقد، والمغالاة التي من المحتمل أن يكونوا قاموا بها في أثناء حكمهم يمكن التجاوز عنها لأن... "... أسهم استبدال نظام..." 137
الإقطاع بنظام الوحدة في زيادة تركيز الإدارة داخل إطار الحكم الملكي، والاستدامة، وقل ما شئت، إلا أنه كان من الضروري إجلال مبدأ الوحدة بدلاً من مبدأ الفردية الذي اعتمدت عليه حياة مجتمع الإقطاع وعالمه". فبالحكم الموحد دون تفضيل للمصلحة الخاصة هو الحل الأكثر ملاءمة للدولة. ويرى دانفيلا أنه من مدين بالفضل لسياسة تركيز القوى التي تبعها كل من إسبانيا وفرنسا، ثم اسندو Isabel Fernando إن فكرة إيجاد قرن تاسع عشر يقوم على تركيز الإدارة ويسوده شعور قوى الوحدة الوطنية، بمقارنته مع القرنين الخامس عشر والسادس عشر تلقى صدى لدى مؤلفنا. ولكن لا يجب أن ننظر ما إذا كانت تلك الرؤية لإسبانيا الخالية من المصالح الشخصية في القرن الثامن عشر تنطبق مع الواقع - وذلك على الرغم من التآكل الداخلي الذي فطن إليه حكام عائلة بوربون منذ القرن الثامن عشر - وإذا ما كانت هناك احتمالية لعقد مقارنة بين الوحدة التي أرساها الملوك الكاثوليك والوحدة السائدة في القرن التاسع عشر.

دانفيلا لا يتفق مع حكمة فيليبي الثاني، ويجب عليه عدم تخطيطه لمسألة الطرد، وتقدر له شخصية البروتستانتيين المتناضتين أكثر من الموريسيين. كما أنه لم يقدر على إضافة المصالح الاقتصادية إلى نتائج الوحدة الدينية: "...عرف فيليبي الثاني مكمن الخطر وأشار إليه، ففهم جيدا أنه لن يكون عليه فقط أن يحارب داخل المجتمع المسيحي جنباً لمساواته معه، فليس هناك الإلتزام ببعانه، وعثره الخاص، ولكن كان تضارب المصالح يدخل في صميم الأمر. ولذا فقد هاجم ولااحق السادة الذين قاما بحماية الموريسيين - أو من الأفضل أن نقول المسلمين، فلم يكونوا يوماً غير ذلك - طاردهم وحاربهم بمساعدة محكمة التفتية، بيد أنه تدخل عدة مرات للتخفيف من قسوة الأحكام التي رجبت الهيئة الموقرة في تنفيذها...". وهو يقارن بين موقف الملكي غير الملزمن وموقف السيد خوان.
د. ريبيرا رئيس أساقفة فانيسا والذي دافع عن طرد هؤلاء الخونة وأعوان قراصنة شمال إفريقيا. (م)

اتخذ قرار الطرد منذ اجتماع مجلس الدولة في الثلاثين من يناير عام 1599. هذه الطريقة بالنسبة لدانفيلا تعد استجابية للمطالب الشعبية التي وجدت في رئيس الأساقفة مثلاً أعلى، فهو لا يكتف بنشر قواعد الدين، بل خرج للتثبيث، معطياً بذلك المثال للرجال الذين ورؤساء الأبرة الذين امتلأت بهم دور العبادة في قرى الموريسكيين، ليحثهم بذلك على تطبيق اتفاقيات المجمع الديني الإسباني. ولكن أيها السادة لم يسفر قرار العفو الصادر في السادس من أغسطس عام 1599 عن أية نتائج، فلم تستفد منه سوى موريسكية واحدة(101). سيعبر ذلك البرهان الأخير على عجالة. حيث يسعى بذلك لبراز عدد جدوى أية وسيلة تتبع مع الموريسكي، والأهمية الكبرى للاختلافات الثقافية والعرقية. وعلى جانب آخر، فإن وضعهم الاجتماعي البائس والأراضي البور والمقترحة التي سكنوها لم تخلق دافعا من أي نوع - يجعلهم يشيرون بمسقط رأسهم، كما كانوا يدعون(101).

والسبب الأخير للطرد هو أن "...تعاون الموريسكيين مع فرنسا والأمكاك وملوك فاس والمغرب كان القصة التي صممت ظهر البعير ودفعت عجلة قرار الطرد، الذي واجه على الدوام صعوبات عديدة(101). الموريسكي هو المسؤول الأول عن طره. لم يفقد العرش سوى القليل أو لم يفقد شيئا على الاطلاق بالتبعة، وذلك لأنه إذا كان لدى الموريسكيين الحماسة للإقدام على أي نوع من المشروعات الاقتصادية، لم يكن لنلاحظ نتائج مثل في المقاطعات الإفريقية التي أتوا إليها؟(101). كان الطرد حديثا قوميا "...مع وجود هذا الكم من المستدقات

(م) يثبت ماركيت بيانويا أن البطريرك لم يكن مقتنا تماما بفكرة طرد الموريسكيين. انظر كتابه "القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى" ترجمة عاشية سويل، المشروع القومي للترجمة. (المراجع)
والشواهد التي تحكم على القضية دون تحمس، لن نسمع سوى الاتفاق معنا على
كون الطرد أكثر التدابير السياسية تفوقا خلال حكم فيليبي الثالث(10).

يعد الطرد بمثابة الخاتمة للغزو، وعلى الرغم من تسعبه في عواقب
اقتصادية وزراعية فإنه قد تم تعويض تلك السلبيات بالقدر الكافى عن طريق إحلال
السلام بين الشعب الذي ".. طالب به، من الضرورى الرضوخ وبشكل خاص لهذه
الاعتبارات الدينية التي طالما عنت الكثير، ولكنها فرضت بشكل أساسي في عام
1609 بناء على رغبة جميع الإسبان في تحقيقها..."(10).

يظهر ملخص لفكر دافيلا في المقطع الأخير من محاورته: "إن المسؤولية
الأخلاقية وراء الطرد لا يتحملها فيليبي الثالث، ولا حتى أعوانه، ولكنها تقع
بالكامل على عاتق الشعور القومي والذي عبرت عنه - في رأيى - المحاكم
والرأى العام والأدب والشعر وجميع العناصر الاجتماعية التي وقفت إلى جانب
الملك واقتربت عليه تنفيذ هذه الطريقة المبررة تماما على الجانبين السياسي
والديني، دون نقد الجانب الاقتصادي"(10).

إن الدفاع بلا هوادة عن سياسة أول حكام عائلة أوسترياس الصغير يذكروا
بالمؤلفات ذات الطابع التبريري المتوازنة في الفصل السابق: كانت الحرب الدينية
مشتعلة ضد سلالة العرب المسلمين، ووقفت المشاعر الروحانية ووجهها لوجه أمام
القضية السياسية. تصارعت الإنسانية مع الدنيا وخرجت تلك الأخيرة منتصرة.
لقد فقدت إسبانيا أشد أبنائها اجتهادا، حرم الأبناء من حجر أمهاتهم وطف آبائهم;
لم تكن هناك رحمة أو شفقة تجاه أى موريسكي، إلا أن الوحدة الدينية أشرقت
بنورها ولمعانها في سماء إسبانيا، والدولة التي يشترك أبناؤها في جميع أحاسيسها
المبهرة أمة محظوظة."(10)
الثروة التي خلفها مانويل دانوفيلا إِي كوبيدو هي دراسة الدوافع التي حملت 
فيليبي الثالث وأعوانه على إصدار مرسوم طرد الأقلية. حيث قام الأكاديمي بتحليل 
مستفيض لجلسات المحاكم ومحاضر المجالس والهيئات التي أقرت هذه الوسيلة في 
بادئ الأمر. انطلاقاً من هذا المؤلف بدأت دوافع الطرد تتضمن بعض الشيء. 
وبذلك حلت واحدة من أكبر الشكوك لنمن جاء بعد من المؤرخين (أمثال بورونات 
وليا) حيث سيكون هذا العمل الصغير المرجع الرئيسي بالنسبة إليهما. إلا أن كله 
هذا يفت في عضده هوش بمعاداة المورسكيين الذي لم يستطيع الفكاك منه. يعد 
الطرد بالنسبة لدانوفيلا واحدة من أكبر الحسنات وأهم الخطوات التي اتخذت في 
القرن السابع عشر.

هذا وسوف يتم تناول الآراء التي طرحها دانوفيلا بواسطة رجل الكنيسة 
باسكوال بورونات، والذي سيقوم بتطويرها على نطاق واسع محافظًا على الإطار 
العام للمحاورات.

۱۰-۲: باسكوال بورونات إِي بارانتشينا

سيكون كتاب باسكوال بورونات إِي بارانتشينا المعنى "المورسكيون 
الإسبان وطردهم" Los Moriscos Españoles y su expulsión 
الأخير الذي يتناوله بالتحليل في هذا الفصل. لم يكن وضع هذا الكتاب الضخم 
بالقرب من نهاية التاريخ للقرن التاسع عشر قراراً متسراً، بالرغم من ظهور 
جزئية إلى النور عام ۱۹۰۱.نحن على دراية بأن التصنيف الزمني أمر يضحى 
لعدة أحكام إلا أننا نعتقد أنه لدينا في هذه الحالة التبشيرات الكافية للتصدر على 
هذا النحو.
هذا العمل في المقام الأول تلخيص لكل ما نشر بدءًا من عام 1800، كما يتبع التقليد الخاص بتلك الفترة من حيث البحث عن قاعدة مسن المستندات تدعم البراهين، وهي في هذه الحالة معادية للمورسكيين في معظمها. وتتمثل القيمة الكبرى للعمل في أن المؤرخين المحدثين يستمرون في الاستشهاد بقوام المستندات التي تضمنها، على الرغم من عدم ملاءمة طرحه للمشكلة لتلك الفترة.

تنتمي الوثائق التي استخدمها بورونات إلى مجموعة مستندات أرشفة سيمانكاس العام وأرشيفات فالنسيا، وخاصة المجمع الملكي كوربس كريستي. ولا ينقص سوى الوثائق الخاصة بمحاكم التقنيش. وهو ما يتبع في صياغة مؤلفه الضخم النموذج الخاص بمانويل دانفيللا.

بدأ بهزيمة السيد رودريغو في عام 711 مركزا على فترة حكم خوامي الأول ملك أراغون. ويوحده الشيء بين هذا العمل وبين "طُرد المورسكيين" La expulsión de los moriscos المستخدمة. للاسف الشديد أدى هوس بورونات بمعاداة المورسكيين للانتقاص من قيمة العمل. فالركنان الأساسيان "المورسكيين الإسبان وطُردهم" هما التبرير المستميت للطرد والدفاع عن البطريرك ريبيرا.

لا تخرج معالجة القضية عن دائرة مدى ملاءمة الأسلوب الذي اتبعه فيليبي الثالث. وقد قدم للكتاب مانويل دانفيللا، الذي قام بعمل ملخص للمؤلفات السابقة حول هذا الموضوع، مدافعه بصورة أكبر عن شخصية البطريرك الجدلية ولكن دون ذكر أي عناصر جديدة.

يقحموا بورونات منذ الصفحات الأولى للعمل في جذلية الحرب العرقية والدينية. فترأس الكتاب الإشادة بالفضلائل المسيحية مقارنة بهمجية الإسلام: "يحمل الطابع المقدس الذي أسمه به تعميد المسيحيين في داخله مشاعر نبيلة وإنسانية."
يصل التشدد وعدم التسامح مع الأخذاء إلى مستوى بطولي في الدفاع عن الإيمان والوطن والحق والخير. لحسن الحظ فإنها لا توجب علينا الإصرار على وجود البراهين التي يزخر بها تاريخ المسيحية. 

وفي المقابل يأتي باشتهداد ممن كتاب "الخزاض العام لإسبانيا" لموديستو لافونتيني: "على الرغم من تعلّمات القرآن والسنة، كان الأمر بالنسبة للعرب الإسبان وكأنه قائمة دينية فكانوا يتنقلونه فيما بينهم كالإثر وأصبح أمرا لا يمكن إخماده.

إن فكرة المسيح الطيب والمسلم الهمجي لا تبعث في أذهاننا سوى خواطر الغزو الأسطورية. سنكتفى بهذا القدر من تحليل بورونات للعصر الوسيط، وإلا فلن نستطيع إنهاء العرض العام المختصر للمؤلف.

نجد بورونات، على غرار دانييلا، يطرى على حكم الملوك الكاثوليك وينسب إليهم قيمة الوحدة الوطنية، ومجنبا الحديث عن النزعة الإقليمية. ففكرة الوحدة الوطنية والبحث عن العنصر الأساسي للأمة الإسبانية تلك ثابتة في تاريخ القرن التاسع عشر، حيث ذكرتها على وجه خاص كل من الأراو المتورطة والمحافظة. فنقلوا إليها خواطر عن إسبانيا الوحدة الخالية من الأثرة، حيث يسود الإجماع على فكرة الوطن. ويمكن أن نعزى هذا الإصرار إلى الحرب الإفريقية أو فقد المستعمرات الأمريكية، بيد أن القارئ في القرن العشرين يرفض الاعتراف بإسبانيا التي يهده فيها مفهوم الوطن الشعور القومي تماما.

هناك اختلاف قاطع بين الموريسكي والمسيحي القديم. فهذا الأخير هو الإسباني الحقيقي، أما الأول فيعد دليلا على الثقافة الإسبانية. إن نقد سياسة كارلوس الخامس وحكومة فيليب الثاني متواجدة على مدار العمل. حيث عاب كل من دانييلا ومينينديث إبلاي على وربث كارلوس الخامس عدم التفكير في الطرد. فهم ليست لديهم القدرة على استيعاب ترك حامي حمى الدينية المسيحية في القرن السادس عشر لهذه الوجوه تعيش في عقر داره. ويبالغ الكاهن في نسبة

143
المواقيد الخاصة بالموريسيين بادعاه أنهم كانوا سيصبحون أغلبية إذا ظلوا لفترة أطول في شبه الجزيرة. وهو في رؤيته للمشكلة الموريسكية فالغرسى إلى أبعد الحدود، فإنسب الأحداث والوقائع في مملكة توربا إلى باقي أنحاء شبه الجزيرة.

كان لفكرة الإصلاح بعض المريدين بين الموريسيين، إلا أننا لا نرى كون السبب في ذلك هو التشابه الذي اعتقد بعض كتاب القرن السابع عشر وجوده بين عقيدتي محمد ولوثر، ولكن الحدق الذي شعرت به السلالة المهزومة والتي ترغب في التخلص من نبر عبودية المنتصر، متعطشة إلى أي جديد من شأنه الإفلاس من قوته. (101) إذا كان موديستو لافونتي قد قال من خطورة الموريسي فقز رفعها بورونات إلى مستوى مشابه لكتاب القرن السابع عشر، والذين يشير إليهم بكثرة، وخاصة أكثر المشععين تطرفاً أمثال بليدا، وغودالاخرا، وأثار كاردونا وفونسيكا.

يتضمن العمل ثلاث رؤى أساسية للمشكلة الموريسكية. فهم على أحد الجوانب جماعة كثيره عدد من الملحدين والمارقين. وهناك البعد السياسي الذي يصورهم كخونة غرضهم النهائي زععة استقرار الملكية الإسبانية، وقد أصققت بهم هذه الخاصية نظراً لوضعهم كمنهزمين. وأخيراً المشكلة العرقية التي تجعل من المستحيل "...اتحاد المنهزم والمنتصر، ولكن لسوء الحظ فإن المحصلة العملية لتلك التجاوز لم تتن أي من الفريقين ولم يكن باستطاعتها إرضاءهم لافتقارها أساس الاندماج الوثيق." (101) 

يصبح انتقاد النبلاء الفالنسيين شرسا في بعض المقالات. فهم المسؤولون عن بقاء "الجنس العربي" في أرض الوطن. "عرا بعض النبلاء إضرار الموريسيين على ممارسة شعائرهم إلى قلة الوعظ من جانب المبشرين، ولكن ما فائدة وجود رجال ذين أقدر أو أكثر حساس، أو أقل أو أكثر عاليا بينما يحملهم حماسهم على المراقبة والتشكيك في سلوك الموريسيين!... يكفي حالياً أن نقول إنه دون حماية السادة والدعم المعنوي الذي قدمه القراصنة الأفارقة للموريسيين لكان مـان
الممكن حل القضية الموريسبية الشهيرة في الثالث الأول من القرن السادس عشر،
ولذلك من وجهة النظر السياسية وليس الدينية. {١١١}

ووصف الموريسيكي يحمل قدرًا وفيراً من الدلالات وينير كرهاً غير مفهومًا: "... حرص الموريسيكيون، المدركون على أعمال الزراعة، على الحياة لمجرد الأكل وزيادة الأموال أكثر من حرصهم على التنقيف المميز للشعوب المتحضرة، وكانوا لا ياتسون للمسيحيين القدماء، بقدر معاشرتهم لأبناء جلبهم، وهم مخلصون لأسسهم بقدر تفاديهم للسلطة الملكية، مؤمنون بالخلافات بقدر إيمانهم بالقبر، ومشدونون على قدر عنادهم {١٥٤}. ولكن هذا لم يمنعه من الإقرار بقيمة المزارع الموريسيكي. وقد ألغى التأريخ الحديث النسب التقليدي لمشاعر العداء تجاه الموريسيكيين للشعب الإسباني بأسره: "صحيح أنه بين الموريسيكيين عناصر مفيدة إلا إنه لم يكن بينهم من هو قابل للاستيعاب. نحن معجبون بالجهد الزراعي الكبير الذي نبذل هذا الشعب، ولكن بالنظرة عن الإسبان لا يسعنا سوى التصفيق والإشادة بالرأى العام الذي طالب بحلول فعالة لمعالجة هذه الفئة التي مثلت خطراً على وحدتنا الدينية..." {١١٥}

لكننا لن نسب المفاهيم ومنتسب دراستنا لكيفية تطور قوانين التاريخ وصولاً للتنفيذ الكامل بواسطة قوة تفوق قدرة البشر، وهي حقيقية بقدر ما هي مكرومة ممن لا يملكون الشجاعة لإتكارها." {١١٦} إن تحديد قدر الموريسيكيين بواسطة المشيئة الإلهية يجعل القرارات التي اتخذها فيليب الثالث غير قابلة للاستناف فتتحول المشكلة السياسية إلى أسطورة.

هذا الكتاب لا يغفر لفيليب الثاني السياسة التي اتبعتها في أثناء حكمه. فبوري أن الورد كان لا بد من أن يتم في عام ١٥٧٢، وأن الدمار الاقتصادي والمالى الذي لحق بملك عائلة أوسترسياس يرجع بشكل ما إلى هذا التأخير. {١١٦} ولكي يُعذر
لفيليبين الثاني سياسته إلى حد ما، فهو يبقى اللوم على طبقة النبلاء لعدم تقديم الدعم الكافي للملك لطرد هذه الأمة اللعينة.

لقد أُجْهِت العناية الإلهية للبطريرك ريبيرا القيام بمهمة دفع الشعب الموريسيكي نحو الإيمان: "الرحمة، والإرشاد عن طريق الوعاز وقواومة الاعتراف والمعلمين، والعفو عن عاد لارتكاب جريمة دون عمد، وتطبيق العدالة على العائد إليها طواعية، والتدخل شبه الرسمي لدى السادة الالهتمام بالجانب الروحاني لرعايهم بدلاً من البريح المؤقت الذي يتحصلون عليه بفرض الضرائب عليهم - والتي لم تكون دائماً مشروعة - والإحسان إلى الضعف، واستخدام الشدة مع المعترفين، كان كل ذلك يحدث بصورة سريعة في بعض الأحيان وبطريقة علنية مهيبة في أحيان أخرى، دون غياب العقوبات القانونية بواسطة المراسيم، والبلاغات، ورسائل الأساقفة، والنشرات الدورية.«(118) هذه الشخصية لا تستحق أى نقد، فكل أعمالها تدعمها المشيئة الإلهية، وهي تحكم بالعدل في جميع قراراتها.

إن فشل مهمة التبشير لا يرجع إلى الإمكانيات المتواضعة لرجال الدين وإنما لشرور الكفرة. وهو ببرر الوشايات التي قام بها المسيحيون القدامى لدى السلطات الدينية: "أَلِمْ يَنْقُلُ مِنْ زَمَنَا مَلاَحَةَ الدِّعَاوَى الفِضْوَةِ بَكِلِ شَرَاسَة؟ أَلِمْ تَفَرَّض رَقَابَةً عَلَى جَمِيع أَفْعَل أَتْبَاع هَذَا الْمَذَهْبِ الْخَبِيثِ؟ وَمَنْ الَّذِى تَمْسَد عَلَى الْقَرَارَاتِ الْحُكُومِيَّةِ الَّتِي نَقْضَتْ بِبِإِبَادة الْمَذَهْبِ الَّذِى يَبْرِرُ تُوْجِيْهُ الرَّصَاصِ واللُّكْمَاتِ إِلَى صِدْورِ الرُّعْيَة؟ نَحْنَ لا نَحَاول الْمَقْارِنَةُ بِبَيْنِ الْمُورِيْسِيَّيْنِ قَدِيْمَا والْفَوْضِيَّيْنِ فِي وَقْتِنا الحاضر، ولكن ماذا عن القرانة الكوبين والفلبينيين؟ أَلِمْ يِبَشِرُ هَؤُلَاء الْبَرِيَّةِ غَيْرِ المَكْتُولِ لِلْمُورِيْسِيَّيْنِ بَشَآرِهِمْ عَلَى الْدُولَ المستعمِرَة؟«(119) أَلِمْ يِرْجَبُ الْإِسْبَانُ الْشَّرَفاءُ بالوشايات ضَد أَتْبَاعِ المَاسْوُنَاةِ فِي

(118) من الذي يصف الموريسيكي بهذه الصفة: هل المؤلف القديم أَمِ بوينس إيبيريا؟ (المراجع)

(119) مرة أخرى تبرز المقارنة بين الموريسيكي وأهل أمريكا الجنوبية. (المراجع)
مستعمراتنا القديمة؟ 
(114) بعد اضطلاع المسيحيين القدامى بمهام رجال الشرطة مع المسيحيين الجدد في القرن السادس عشر عاداً وضرورياً، والهجمات التي شنها دانتيلوا على محامى التفتيش لا تتكرر عند بورونات. فرجل الكنيسة الفالنسبي لا يعيّب على الوسائل التي ابتغتها لجان التفتيش، وهو لا ينتقد سياسة فيليبي الثاني المتضامنة التي تعود إلى عصر النهضة، ولكن على الرغم من أنه لا يهاجمها فهو أيضاً لا يفهمها. على الرغم من ذلك فإن إطراءه لليسيغالا الذي عاد إلى عصر الباروك واضح للغاية: "فيما يتعلق بالموريسكيين فإنه لا داعي لذكر ما دوناه في الفصول السابقة. لقد اقتصرت السياسة التي اتبعتها معهم الملك على التناوب في تطبيق نظام مزدوج بين الشدة والعذاب، والعدل والرحمة مستخدماً في ذلك محامى التفتيش ومراسيم العفو، وال_HAVE الحكمة التي فرضتها المراسيم والمجالس المعينة لتنظيم وتدوير التعليمات. فلم يعد التشدد المزعوم لذلك العاهل هذا الحد.
(115)

يختتم الجزء الأول من العمل ببعض التأملات حول الدور الذي لعبه دوق ليرما في سياسة معادة الموريسكيين. بورونات لا يستعترف تغيير موقف هذا الرجل المقرب لدى الملك على مر السنين. فلا يمكن أن ننسى أن فرانثيسكو ساندوبال إيه روخاس Francisco Sandoval y Rojas هو سيد ذينيا، وكان عمال هذه الإقطاعية من الموريسكيين. والكاتب يستنتج من هذا الحدث أنه كانت لديه مصالح اقتصادية مع المسيحيين الجدد، وأنه كان معارضاً في بداية الأمر لطرد الموريسكيين.

في الجزء الثاني تتعدد الإشارة إلى صفحات من أعمال بليدا وغوادالاخار. وهنا تزداد حدة النقد. حيث يتفق بورونات مع أعداد المطرودين التي ذكرها دانتيلوا: "وفقاً للمصادر الرسمية فقد خرج من فالنسيا أكثر من 150,000، ومن أندلوسيا 80,000، ومن القشتالتين: لامانشا واكستريدامورا 3,040، من أرغون 147.
644، ومن قطالونيا 500، ومن حقول كالاترابا 1000، ومن مورثيا 1500، ومن وادي ريكوتا 2500 ليصل الإجمالي إلى 5274.1(11) وهذا الجهد المبذول لدراسة ديموغرافية الموريسيكيين المطرودين يتعارض مع ما قام به فلورنتيو خانير، حيث اقتصر على نقل القوائم التي ذكرها الراهب الدومينيكي خايمي بليدا في كتاب "تاريخ المسلمين في إسبانيا" Crónica de los Moros de España. إلا أن بورونات يستمر في استشعار الخطر الموريسيكي من جميع الجهات ومتأملاً أعداد المسيحيين الجدد الذين سيطلون في شبه الجزيرة بعد عام 1492. على أي حال، فإنه إذا بقي بعضهم، فإن يصبح بإمكانهم تعريض المملكة الإسبانية للخطر، إلى جانب أن الموريسيكيين عندما ورثوا تقاليد أسلافهم السياسية والمدنية لم يرثوا رونق وحماسة الحضارة العربية.122.

شكل الموريسيكي نتيجة بقائه في إسبانيا خلال القرن السادس عشر عنصرًا اقتصادياً مهماً، إذ أن ذلك لم يغفر له تثبيته للحملة الأوروبية للقبطاليين، ولكن بورونات لا يستطيع إنكار ما أكده خانير حول شخصية من جاءوا لتعزيز فالنسيا.123... الكثيرون من الساكنيين الجدد لم يكونوا متمتعين بالأهلية، أما الآخرون ممن تعودوا في بلدهم على نمط حياة خليعة لا يصلح للعمل فلم يقوموا بتنفيذ الشروط التي حصلوا بمختلفها على الأنصبة أو قطع الأرض، ولذا بـالقرار أو تحولوا إلى قاطعي طرق.124.

يرى كامبومانيس وهايبلر Haebler وموديستو Campomanes لافونتي أن الطرد هو أحد العوامل الأساسية التي أدت إلى انهيار إسبانيا وشيرون إلى عام 1209 كسنة مشمولة في تاريخ اقتصاد شبه الجزيرة. ولمهاجمة هؤلاء المؤلفين يبرز لنا بورونات معرفته التامة بأعمال مينيندجت بيلايو، وأثار كردونا، وبليدا، وغوادالاخارا.125. لن تعد هذا الرد على نظريات الكتاب المذكورين أنتفا. سنكتفي بذكر التأثير المشعوم الوحيد من وجهة نظر رجال الدين.
الفيلسي ألا وهو: "لقد لوحظ نقص الموريسكيين بكل تأكيد، إلا أن ذلك كان في أثناء تحصيل المكوس وضربية الخبز والنبيذ والزيت والقماش، إلا. حيث غالبية المسيحيون القدماء في المطالبة بها وأسهمت قوى الحكم الملكي في تخفيف حصة تلك الضرائب التي انتشرت قبل الطرد"(141)

وهو يتحدث هؤلاء الكتاب لإثبات تأكيداتهم حول انهيار الزراعة والصناعة والتجارة باستخدام الوثائق حيث يسوق أفكار فونسكا(142) لتبزرر هذه التأكيدات. لقد استردا الملكة عافيته سريعا حيث جذبت وفترة الأرضية الخصبة والصناعات المزدهرة السكان إلى الأماكن التي هجرها الموريسكيون. يعتمد بورونات على إحدى محاضرات كانويس ديل كاستيو(143) منكرا إيانا بارتفاع قيمة العملة الذي أقره فيليبي الثالث للتخفيف من آثار الطرد.

تواكب الطرد مع زيادة في المحاصيل، هذه الفكرة خاصة بكتاب القرن السادس عشر: "لاشك في أن الموريسكيين عملوا بصورة أساسية لأنفسهم والحفاظ على شعبهم، فقد كانت المؤمن شحيرة في أماكن تجمع المسيحيين القدامى. وإذا كان ذلك الإنتاج الزراعي قد حافظ على انخفاض الأسعار، فلا بد من الأخذ في الاعتبار أن وزراء السلطة الملكة قد حرصوا على ألا يعقب الطرد ارتفاع في الأسعار"(141)، من هذه الكلمات نخلص إلى تناقض الأهمية الاقتصادية للموريسكي إلى حد كبير. ولا يسعنا سوى أن نضيف إلى ذلك: "ما الذي أتى به غزاة القرن الثامن من إفريقيا؟ وما الذي عملوا على إزدهاره عندما عادوا إلى هناك؟ لا شيء بالتأكيد. وما حفقوه في إسبانيا فيما بعد لم يرجع الفضل فيه إليهم ولكن إلانا نحن، فهم يدينون بكل شيء لتقليدهما ما رأو وتعاونون المتصرين معهم."(134)

إلا أن انشغال نبلاء فالنسيا خاصة يفقدان هذه الفئة من الشعب نظرهم أمرًا مهمًا. على الرغم من أنه يتأمل عواقب الأمر بالنسبة للنبلاء فقط، فهو يستعرض القضية في أطرها العامة حتى يتناولها فيما بعد المؤلفون المحدثون.
كانت إحدى الصخور التي تعثر بها حل المشكلة الموريتانية منذ حكم كارلوس الأول هي معارضة السادة لفقدان رعاياهم وتقليل حجم ضياعهم... إن إنكار العواقب السلبية التي أدى إليها طرد الموريسيين من الناحية الاقتصادية لهو بمثابة رأى ينكر الأمر الواقع (131).

وهو عند تحليله للأثار الاقتصادية يقلل من قيمتها حتى لا يؤكد على الأهمية الاقتصادية لهذه الجماعة. ويعالج قضية الإحصائيات إلا أنه يزعم أن الخسارة كانت من نصيب الكنيسة فحسب. ومن الأمور الرئيسية إيرازه للاختلاف بين الأراضي الملكية وأراضي الإقطاع في تحمل العواقب الاقتصادية: كانت هناك بالفعل أزمة اقتصادية حقيقية ولكنها لم تكن بالعمق المفترض: فقد تأثرت الشروات الملكية بعض الشيء، وتآثر السادة. إلا أن بعضهم عوض خسارته وحقق أرباحا. وعانت أصحاب الحق في تحصيل إيجارات، إلا أنها إذا تعرضا الحقيقة فسنجد أن غالبية تلك الأموال كانت خاصة بهيئة كنسية. كما عانت محكمة التفتيش لفقدا إيرادات رأس المال الذي كان يؤول إليها منذ القدم بمقتضى قوانين المملكة عن طريق المصادرة وإجراءات قانونية أخرى. وقد قاسي الجميع، من الملك وحتى آخر رفد في الرعية، حيث ساد اضطراب عميق، وذلك مع مراعاة الاختلاف بين الأراضي الملكية وأراضي الإقطاع. (132) كانت أراضي العديد من الجماعات والسادة دوى الرعية مرهونة رسميا، ومع طرد الموريسيين لم يدفعوا ما عليه من قروض وقوائد، مما جلب الخراب للدائنين.

ويتمثل على مدار الفصل الثاني عشر عواقب هذا المنهج من الناحيتين السياسية والدينية. بعد قيامه بدراسات حول بقاء الموريسيكي في شبه الجزيرة في النصف الثاني من القرن السابع عشر ينتقل إلى وصف البراهين المتقدمة ذكرها حول إرساء الوحدة الدينية، والوطنية والسلام الداخلي.

150
ينهى هذا العمل الضخم بالدفاع عن موقف البطريرك ريبيرا: "إن خانير ولافينتي وعديد من الاقتصاديين المحسوبين لكامبو مانيس، بما أننا لا نقدر على تسميتهم فعليًا أن نطلب من فولتير وأرانتا Aranda وحاليًا تجنبوا التسليم ببعض العبارات الموجودة في أوراق أو مذكرات..."(134) وحاول اتباع الموضوعية التي لم يتجلب بها إلا فيما ندر. الدفاع عن مفاهيم الإله، والوطن، والعدالة ثابت على مدار العمل وهو نتاج الفكر المحافظ للمؤلف، الذي أوجد حركة تشير متشددة بصورة أساسية حول كون الوحدة الدينية فوق أي اعتبار. ويقول عنه ثيسيو باباريس عند تحليله لهذا الكتاب: "بدأ في عام 1901 نشر عمل ببساطة بورونات في فلانسيا، وهو كاهن ذو ميول ومحافظ يسعى للدفاع عن البطريرك وتبرير مسألة الطرد على أنه شر لابد منه. ويعرض رأيه حول الموريسكيين من وجهة نظر مثالية ويعبر عنه على القضايا الدينية والسياسية: سلالة لا يمكن استيعابها، عنيفة، وفاسدة لم ترد فقط التحول بصدق إلى المسيحية وكانت تمثل خطرًا نظرا لقربها من الأثر، وكان لا بد من إقصائها من البلاد بصورة ضرورية. على الرغم من ذلك فإن كم الوثائق المستخدمة والمنشورة، إضافة إلى الإرادة العلمية التي قام بتشييدها، جعلت هذا المؤلف يختلف عن بعض الإصدارات التي أخذت طابع المعضلة، وهو يمثل إلى يومنا هذا مرجعا لاغنى عنه."(135) على الرغم من قيمتها المراجع التي تضمنها فإنه لا يسعنا نسيان ميله إلى معاداة الموريسكيين التي ساهمت في هوسم苞دي، كان غريبًا بعض الشيء إثارةه بعد مضي ثلاثة قرون على الطرد.
لم يبق لنا قبل ختم هذا الفصل سوى الحديث عن كتب هنري ليا "موريسيكوس إسبانيا: تحولهم وطردهم" والذي نشر في فيلادلفيا في عام 1901(141).

بمثلك ليا ذروة التيار التاريخي ذي الطابع المتحرر. مما لا شك فيه أن المرجعية الوثائقية المستخدمة ستشكل قمة التجديد في هذه الدراسة. فالمؤرخ الأمريكي يركز عمله على تحليل عمليات التفتيش الموجودة في أرشيف التاريخ القومي في مدريد كما يلجأ إلى حصيلة الفكر في القرن الذي عاش فيه مؤلفات مفكر ومؤرخ القرن السادس عشر والسابع عشر.

يرى ليا أن جذور المشكلة الموريسكية بدأت مع غزو الملكين الكاثوليكين لمملكة غرناطة. فموقف الملوك تجاه الأقلية الموريسكية لا يعدل ما قاموا به مع اليهود. على الرغم من تحول المحتلين الجديد إلى المسيحية فإن المحاكات الدينية لم تحقق:

أدى تعميد مدني قشتالة - الذين عرفوا منذ ذلك الوقت بالموريكيين - إلى وضعهم تحت وصاية محاكم التفتيش. كان معلوما أن تحولهم ظل خارجيا فحسب وأنهم كمروا في صدورهم معتقدات أسلفهم وشِعائرهم ومارسوها سرا بقدر المستطاع.(147)

يعتقد أن ملاحظة محاكم التفتيش للموريكيين في بادئ الأمر تمتص على نطاق واسع:

بندر وجود وثائق حول عمل محاكم التفتيش بقشتالة في تلك الفترة، ولا يمكن الوصول إلى نتائج أكيدة على وجه الدقة، إلا أنه في إطار القدر الذي

152
تسعى للفحص القرائن يبدو أن هيئة المحكمة كانت لا تزال تركز اهتمامها على المتخصصين ولم تعر المؤرخين في البداية سوى اهتماما ضئيلاً. (138)

على النقيض من ذلك، يتغير المنظر العام بقدوم تيسيس أحد. سيتلمع المؤرخين الذين بمثابة شديدة على الرغم من عدم امتلاك رجال الدين المكلفين بهذه الحملة الكفاءة اللازمة:

هكذا بدأت الشكاوى التي سنراها مستمرة حتى النهاية حول تجاهل رجال الدين لمسؤولياتهم وعدم تحريكهم ساكناً لكسب وتعليم من لاحقهم محاكم التقسيم بتهمة الجهل. (139)

ويمكن اعتبار هـ. ليا أقرب المؤلفين إلى الفكر التأريخي الموريسيكي الحالي نظراً للمصادر التي استخدمها بطريقة نظرته للأكليمة. على الرغم من ذلك فهو ليس قريبًا إلى تلك الدرجة من عصراً الحالي من حيث معاحجه عرقية لمجلة. يفهم ليا أنهم مجرد سلالة. في الفصول الأولى يحاول المقارنة بين وضع الموريسيكي ووضع اليهودي حديث الطرد، وبخصص إلى أن ذلك الأخير قد تلقى معاملة أكثر قسوة وشدداً.

يرى ليا أن الصدام الأول بين المسيحيين الجدد والقدمي تمثل في جماعات المقاومة الفالنسية، فقد حددت المشاحةقاتل بين سلالتين متضادات:

كانت هناك أيضاً محاولة لقلب المساجد إلى كنائس. بعض الأمالك تم الحفاظ على قدسيتها وفي أماكن أخرى علقت على الباب صورة للمسيح أو العذراء. كان القداس الإلهي يعقد من وقت إلى آخر، وكان يحضره المتخصصون الجدد بانتظام أقل أو أكثر، إلا أن انخراطهم في العبادة كان ضئيلاً... فبمجرد شعورهم بزوال الخطر عادوا لطقوسهم الإسلامية ومارسوا شعائرهم في المساجد كسابق عهدهم. (140)

153
تقع المسؤولية المباشرة لسلوك الأقلية المنتقل على عاتق السادة، فالحماية التي أمنوها لهم منحتمتهم حرية كبيرة. طبقة السادة هي المسؤولة مباشرة عن بقاء العقيدة الإسلامية في شبه الجزيرة.

يقدر ليا أن 5000 من منازل الموريسيين قد هجرت نتيجة الحرب التي شنتها عناصر المقاومة وأن سكانها هربوا إلى شمال إفريقيا. بمجرد انتهاء المقاومة عاد وضع الأقلية لهدوئه السابق، على الرغم من الإقرار والاعتراف بعمليات التعميد الجماعي التي نفذها أفراد الجماعات. اعتبرت لجان التفتيش المتصورون الجدد:

أي اعتبار سياسي أو بدافع الشفقة دعا للتحلي بروح التسامح حتى يتم تنفيذهم وانتشارهم، وقد أقرت الهيئة العليا ذلك عندما أمرت بوجود معاملتهم باعتدال كبير.

كذلك في أثناء حكم فيليب الثاني لم تظهر محاكم التفتيش تشادها تجاه الأقلية، على جانب آخر فإن عقوبة مصادرة الممتلكات لم تؤثر على الموريسيين فحسب ولكنها مست السادة بصورة مباشرة حيث:

كان من الطبيعي أن يعترضوا على فقر رعاياهم، فهم أرادوا تحقيق أعلى ربح يمكن لهذه الصناعة الصوبرة أن تجنيه بينما يعيشون هم حياة فارقة.

ولكن هذه الوضع لم يكن موجوداً سوى في مملكة فلانسيا. يخصص ليا فصلا كاملاً لتحليل الوسائل التي اتبعتها محاكم التفتيش في معركتها ضد الموريسيين، مركزاً بصورة كبيرة على توضيح العقوبات المالية التي وقعت عليهم. يرى المؤلف الأمريكي أن المحكمة قد مارست القمع ضد الأقلية بدءاً من النصف الثاني من القرن السادس عشر.
لقد تم تنصير الموريسيين على يد رجال دين لديهم إعداد فكري وأخلاقي مثير وتراث شديد في التقاليد: و "... لم يراعوا التزاماتهم، فلم يكونوا يعيشون في الإبراشيات وكان بعضهم يحيا بصورة ما جنة وقد استولوا تماماً على أوقافة المساجد القديمة...

لم تكن السبل التي سلكها الحكم الإسباني للموريسيين مناسبة، وتم تنفيذها عن طريق العنف. فظهر التطرف من كلا الجانبين. وبدمر تسامح العصور الوسطى بسبب التعصب الديني المسيحي الذي جعل تعايش المجتمعين أمرًا مستحيلًا:

تحركت السياسة الإسبانية الخاطئة في طريق مسدود، مشددة من صعوبة الموقف، فلم تستطع الحكومة في ذلك الوقت العثور على مخرج سوّى العنف والتدمير الذاتي.

يشكك ليا في أنه في أثناء المواجهات بين الموريسيين وقاطني الجبال في أراغون، كان هؤلاء الأوائل هم الذين في الجرائم التي نسبت إليهم. حيث يرى مؤرخ القرن التاسع عشر أن الصراع العرقي في أراغون كان يحدث بشكل يومي. كل من الجبال والموريسيين أراد القضاء على الآخر، وينتقد الباحث في التاريخ الإسباني النور الذي لعب رجال الدين في هذا الصراع بشدة. حيث زاد القساوة من إشعال التوتر بين الفريقيين. جعل اختلاف العقيدة بين المجتمعين التعايش أمرًا مستحيلًا.

كان تشذد فيليبي الثاني في إعلانه المرسوم عام 1568 هو المسؤول الوحيد عن الانقلاب الموريسي في غرناطة:

صدق فيليبي تقارير دينية حول خضوع الموريسيين وعدم احتمالية وجود أي مخاطر، فأمر بتنفيذ المرسوم.

155
كانت فكرة طرد الموريسيين قد تقرر منذ وصية فيليب الثاني. ليـ
لا يعـى هذه الطريقة إلى أول حاكم صغير من عائلة أوسترياس فحسب ولكن:

كان الأمر الأكثر إزعاجا هو خضوع العائلة التام للشخصية المفضلة لديـه
- دوق ليرما - وهو بصفته ماركيز دنيا كان لديه العديد من الرعايا وكان مـ
الممكن أن يقوم بتفضيلهم لولا أن ممتلكاته على سواحل فانسيا كانت معرضة
خصوصا لخطر القراصنة...

كما يقع جزء من المسؤولية على عائتي رجال الكنيسة والأساقفة:

... الذين عملوا بجهد كبير لإحداث الكارثة، فأقاموا تظاهرات صاـخبة
للتعبير عن فرحهم بتحقيق أهدافهم.

قلل دانفيلا من حجم العواقب الناجمة عن الطرد. فأثار هذا الأسلوب الخنـ
خلفت وراءها خسائر هائلة على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي. كانت خطة
إعادة التعمير سببًا واستخدم أشخاص غير مناسبين، ونتيجة لذلك انهارت عمليـ
الإنتاج. كانت خسارة إيرادات النبلاء إحدى التوابع حيث:

كانت عملية إعادة الإعمار بطبيعة للغاية بسبب التكاليف العينية أو الإيجارات
التي فرضت على غالبية أراضي الموريسيين.

كانت أشد العواقب الخفيفة التي خلفها الطرد في 1691 في مجال العـ

العقاري:

كانت هذه التكاليف العينية مصدر الدخل الرئيسي لكل من لديه رأس مال
يستثمره النبلاء، الأرامل، الأديرة، الإبراهيمات، مجمع الأديرة الكاثوليكى... إلخ.

وهكذا فقد كانت الفوضى عارمة والخسارة عامة.

فندق أنه:
تم إخلاء قرى الموريسيين من سكانها، إلا أن العديد من المجتمعات المسيحية حل بها الدمار نظراً لعلاقتها الوثيقة بالموريسيين. (161)

على سبيل المثال:

مستودع أمانات فالنسيا - وهو في أغلب الظن بنك للودائع - أصابه الإفلاس وكان لابد من مساعدته عن طريق فرض ضريبة لتعويض خسارته. وقد أفلس أيضاً مستودع برشلونة والذي كان يعد من المنشآت القوية بصفة خاصة واستطاع مستودع سرقسطة فقط ترتيب أموره والحفاظ على مكانته. (162)

ويبالغ ليا في تصوير عواقب طرد الأقلية ليؤكد أن الأزمة كانت أعمق مما أكدته رؤى المؤرخين المحافظين. وهو إلى حد ما يُعتبر للموريسيكي توزيره للعملة. إلى جانب الضرر الذي لحق بالزراعة والتجارة والصناعة بعد الطرد يضيف المؤرخ الأمريكي نفور المسيحيين القدامى من القيام بذلك الأعمال.

بانتهاء عرض أفكاره - ليا نصل لنهاية التيار التأريخي في القرن الثامن عشر. وهو تأريخ للأقلية قائم على الأفكار السياسية والأساليب المناقضة لفهم المجتمع، والتي تتعكس بدورها على دراسة المشكلة الموريسكية.
الهوامش

Michael Geddes, The history of the expulsion of the Moriscos out of Spain, in the reign of Philipp III, Londres, 1702

Ricardo García Cárcel, "Los Moriscos y la Historia", Historia 16, núm.18 )
(1977 página 68.

Eugenio Císcar Pallarés, Tierra y Señoria en el País Valenciano, Valencia, 1977, pág. 64

٥) لتوضيح متواضع حول تأثير المذهب الوضعي على المؤرخين الإسبان يمكن الرجوع إلى كتاب فويتر "Historia de la historiografía moderna"

أو إلى كتاب مانويل فيرنانديث ألباريث


Vicente Boix, Om- Alkiram o la Expulsion de los Moriscos, Valencia, 1864.

Albert de Circout, Histoire des maures, mudéjares et des moriscques ou des arabes d'Espagne sous la domination des chrétiens, París, 1854-1848

Pascual Boronat, Los Moriscos españoles y su expulsión, Valencia, 1901, pág. xxx

Ibíd., pág. 33

Ibíd., pág. 46

Ibíd., pág. 53

Ibíd., pág. 97.

Ibíd., pág. 107.
Ibíd., pág. 103.
Ibíd., pág. 110.
Ibíd., pág. 112.
Ibíd., pág. 116.
Ibíd., pág. 117.
Ibíd., pág. 111.
Ibíd., pág. 112.
Ibíd., pág. 119.
Ibíd., pág. 119.
Ibíd., pág. 122.
Ibíd., pág. 123 "Con la clemencia los imperios se afirman, con la crueldad se tamblean"

Matías Sangrador y Vitores, Memoria histórica..., Valladolid, 1858, pág. 44.
Ibíd., pág. 8.
Ibíd., pág. 8.
Ibíd., pág. 22.
Ibíd., pág. 24.
Ibíd., pág. 28.
Ibíd., pág. 44.
Ibíd., pág. 8.
Ibíd., pág. 9.
Ibíd., pág. 13.
Ibíd., pág. 15.
Ibíd., pág. 18.

Ibíd., pág. 19.

Historia del alzamiento de los Moriscos, su expulsión de España y consecuencias en todas las provincias del reino, Madrid, 1861.

Prólogo, pág. VI.

Memorias del Cardenal Richelieu, tomo X, pág. 23i.

Ibíd., prólogo, pág. VI.

Ibíd., pág. 55.

Ibíd., pág. 115.

Ibíd., pág. 152.

Ibíd., pág. 186.

Ibíd., pág. 187.

Ibíd., pág. 190.

(38)

(39)

(40)

(41)

(42)

(43)

(44)

(45)

(46)

(47)

(48)

(49)

(50)

(51)

(52)

(53)

(54)

(55)

(56)

(57)

(58)

(59)

(60)

(61)

(62)

(63)

(64)

(65)

(66)

(67)

(68)

(69)

(70)

(71)

(72)

(73)

(74)
Ibíd., pág. 337
Ibíd., pág. 340
Ibíd., pág. 343

Historiografía romántica Española. Introduccion al estudio de la historia en el siglo XIX. Sevilla, 1979, pág. 552

Ibíd., pág. 382, tomo XIII
Ibíd., pág. 402, tomo XIII
Ibíd., pág. 478, tomo XIII
Ibíd., pág. 204, tomo XV
Ibíd., pág. 204, tomo XV
Ibíd., pág. 206, tomo XV
Ibíd., pág. 212, tomo XV

...Obra citada, tomo X

Ibíd., pág. 394, tomo XV
Ibíd., pág. 395, tomo XV

La época más grande aseguró que las naciones de Landa, en el estudio de la historia en el siglo XIX. Sevilla, 1979, pág. 552, y que se encuentra en tres cédulas

Ibíd., pág. 72, tomo XV
Ibíd., pág. 73, tomo XV
Ibíd., pags. 392-393, tomo XV

"Historia de España" en Historia de España de Modesto Lafuente, que se publica en el libro August de Ruchau en "General de España".
عنوان المؤلفين في إسبانيا "Die Moriskos in Spanien" عام 1853، هو نسخة من هذا العمل. بعد مقارنة الالتباس نجد أنفسنا في موقف يتيح لنا التأكد على أن ما قائله المؤلف البالنسي صحيح إلى حد كبير.

Ibíd., pág. 165, tomo III

Ibíd., pág. 204, tomo III

Ibíd., págs. 211-212, tomo III

Ibíd., pág. 219, tomo III.

Ibíd., pág. 219-220, tomo III

Ibíd., págs. 222-223, tomo III

Ibíd., pág. 225, tomo III

Ibíd., pág. 226, tomo III

الأسرقاطون الفرنسي يعزى كل هذه النكتات إلى "غريزعة التدمر" التي تصف بها كلا المتنازعين.

Ibíd., pág. 230, tomo III

هذه الإصدارات خرجت إلى النور كما يلي: الصفحات من 275 إلى 306 عام 1887، ومن 140 إلى 146 عام 1885

Los Moriscos Españoles y su expulsión, Valencia, 1901

Ibíd., pág. 11

Ibíd., pág. 13

Ibíd., pág. 21

Ibíd., pág. 22

Ibíd., pág. 39

Ibíd., pág. 40

جزء كبير من الوثائق المقدمة هي عبارة عن سجلات محاكم.
Ibíd., pág. 58
Ibíd., pág. 68
Ibíd., pág. 146
Ibíd., pág. 77
Ibíd., pág. 234
Ibid., pág. 242
Ibíd., pág. 257
Ibíd., pág. 287
Ibíd., pág. 322
Ibíd., págs. 229-230
Ibíd., pág. 345
Ibíd., pág. 346
Ibíd., pág. 320
Manuel Danvila, La expulsión de los Moriscos, Madrid, 1889
Ibíd., pág. 44, tomo I
Ibíd., pág. 14, tomo I

"Cristianos y Moriscos. Un enfrentamiento polémico."

Ibíd., pág. 175, tomo I
Ibíd., pág. 182, tomo I
Ibíd., pág. 196, tomo I.
bid., pág. 197, tomo II
Ibíd., pág. 219, tomo I.
"Prosperidad y decadencia de España" de Haebler

Ibíd., pág. 265, tomo I
Ibíd., pág. 270, tomo I
Ibíd., pág. 391, tomo I
Ibíd., pág. 305, tomo II
Ibíd., pág. 314, tomo II
Florencio Janer, Condición social..., págs. 97 a 98
Haebler, Prosperidad y decadencia de España

العمل المذكور، المعضلة توجد في صفحات المجلد الخامس عشر من مؤلفه تاريخ إسبانيا.

الأعمال المذكورة، ب بورونات P. Boronat لا ينتمي أي من تأكيدات الكتاب المعادين للموريسكيين.

Ibíd., pág. 326, tomo I
Nota 98 del primer capítulo
Saavedra الكلمة التي ألقاها في الأكاديمية الملكية للتاريخ كرد على خطبة ساتيبردرا

بمناسبة التحالق بهذه المؤسة

Ibíd., pág. 347, tomo II
Ibíd., pág. 350, tomo II
Ibíd., pág. 335, tomo II
Ibíd., pág. 335, tomo II
Ibíd., pág. 278, tomo II
Ob. Citada, pág. 65
كنت مراجعة العمل في غاية الصعوبة لقلة النسخ الموجودة في بلندا. وقد استدرك إعادة طبعه في 1968 هذا العجز والذي أدى على جانب أخر إلى عدم قراءة واحد ممن أهم المؤلفات في التاريخ الموريسكي في القرن التاسع عشر. الإرشادات الموجودة إلى أفكار هذا المؤلف استدعت إلى تلك الطبعة، حيث كانت هي النص الذي تم تحليله.

Ibíd., pág. 47

Ibíd., pág. 47

Ibíd., pág. 48

Ibíd., pág. 66

Ibíd., pág. 95

Ibíd., pág. 119

Ibíd., pág. 147

Ibíd., pág. 178

Ibíd., pág. 236

Ibíd., pág. 306

Ibíd., pág. 366

Ibíd., pág. 370

Ibíd., pág. 370

Ibíd., pág. 371

Ibíd., pág. 371

Ibíd., pág. 95

Ibíd., pág. 119

Ibíd., pág. 147

Ibíd., pág. 178

Ibíd., pág. 236

Ibíd., pág. 306

Ibíd., pág. 366

Ibíd., pág. 370

Ibíd., pág. 370

Ibíd., pág. 371
الفصل الثالث
القرن العشرون في التأريخ الموريسيكي

1-3: تأملات عامة

عانت المشكلة الموريسكية من النسبان على مدى عقود، بعد نشر أعمال Lea وليا Boronat في عام 1901. ولم تهتم بهذه القضية سوى أعمال المستعبدين أمثال بيدرو لونغاس Pedró Longás، ولكنها تناولتها من منظور ديني بحث. لا يسعنا للرد على السؤال الذي يدور حول عدم ظهور عمل جماعي عن هذا الأمر سوى القول بأن المؤرخين يرون أن الموضوع قد تمت دراسته بشكل كاف ولأنه ليس لديهم الجديد مما يمكن إضافته في هذا الصدد. على جانب آخر، فإنه خلال السنين التي أعقبت الحرب الأهلية في 1936 كان هناك اتجاه لتخليد ذكرى الإمبراطورية الإسبانية في أثناء حكم عائلة أوسترياس حيث تم تحليتها كفترة ذهبية لا ينبغي لبقاء جماعة متشدقة أن يضفي عليها ظلال قاتمة. إذا وجدت بعض الدراسات فإن هدفها هو تذكرنا بوضع المسلمين الإسبان كمهزومين.

و يمكن أن يكون هناك عوامل مؤديان لتغيير هذا المشهد بعد عقود الخمسينيات: يأتي في المقام الأول الاهتمام بالأقليات والمهمشين والذي يبدأ بقضية المتتصرين من اليهود، وفي المقام الثاني يأتي الجلد الذي كان قائما بين سانشيز Américo Castro وأميركو كاسترو Sánchez Albornoz التاريخية لإسبانيا.
أدى التأكيد على وجود أعلام بارزة في الآداب الإسبانية من المبدعين
(كما تم ذكره في لويسي بيبيس وليبس Vives) لإحداث ثورة في العالم التاريخ في هذه الحقبة. لم تثر الأقلية التقليق لدى أساتذة التاريخ في إسبانيا، إلا إنها أشعلت حفيذ البحث عن الأصول الدينية لكل الشخصيات المشرقة في تاريخنا. لا يمكن إكثار قلة عدد هذه الشخصيات بين الجماعات الموريشفية، ولكننا يمكن أن ننظر إليهم بوصفهم إحدى إمكانات قيم علم اجتماع يدرس فئات الشعب. ومن هنا جاءت مدرسة أنتاليس Anales 
التي سناشر إليها فيما بعد.

يشكل أميركو كاسترو في كتابه "إسبانيا في تاريخها"(2) في مدى صحة الرواية الرسمية لماضينا. ولا يبدو ضرباً من المبالغة أن historia نوكد مثل غارثيا كارثيل García Cárceل لـ: ... الحدث الذي بعث الحياة في الإسبان الآخرين. من السهل علينا اقتفاد آراء هذا الكاتب - انطلاقاً من طريقة نظرنا للقضية - ولكن هذا ليس هدفنا، فنحن نود أن نوجه له الشكر لإثارة كل هذا النقد الحائك لدى كلاوديو سانشيز ألبرونوث. حيث وصلت دراسة المشكلة الموريشفية إلى ذروتها مع الردود والردود المضادة التي كانت على أشدها بين المؤلفين.

يفضح التاريخ ذو الطابع الجدل (كتأريخ القرن التاسع عشر) المجال أمام رؤية علمية للمشكلة ليتم بذلك فتح الطريق أمام ثلاثة اتجاهات: مدرسة أنتاليس Caro Baroja وكارلو باروخا Juan Reigl وكونان ريغنا Muestra معاصرة تكمل بعضها بعضًا.

H.Lapayre، و H.Braudel، وهـ. لابيرد F. Halperin-Donghi، وت T. Halperin-Donghi

(*) انظر الترجمة العربية لهذا الكتاب ضمن المشروع القومي للترجمة. (المراجع)
في إطار جغرافي وسياسي زمني وثقافي محدد. فيشرع لابير في دراسة أعداد الأقليات وبدلاً من هالبرين دونغى بحثاً اجتماعياً عن الجماعة المورسكسية في فيالن西亚.

يبدأ توجيه الانتقادات الحادة للطرد ويدرك أن سياسة الاستعباد التي مارسة كـ Carlos V وكارلوس الخامس من قبلهم الثاني Felipe II كانا أداة إلى زععة مبدأ العناية الإلهية الذي ساد في القرنين السادس عشر والسابع عشر، هذا ويتولى اللوم المنهجي لحكم الدولة المستبد (كما يحدث في التاريخ الحرك في أثناء القرن التاسع عشر). وفقاً لكلمات خوان ريغلا: "...ما يبعث على العزة هو الاعتقاد بأن إحلال المؤلف الذي يطمح إلى الفهم محل ذلك الذي يود القيام بدور الحكم سوف يسهّل بشكل قاطع في خلق روح من التفاهم بين البشر."

يشرع خوان ريغلا، متأثراً بمدرسة أناليسيس، في دراسة الأقليات. لا تختلف المنهجية أو النتائج التي وصل إليها كثيراً عن منهجية من سبقوه من المؤرخين، إلا إننا ارتئينا أنه من العدل أن نضعه في طليعة بحث القضية المورسكسية. حيث ينشئ مدرسة تختص بالتعرف على مسيحيون فالنسيين الجدد. وقد شجع ريغلا بناءً على طلب معلمته بيبينس بيبينس على Vicens Vives ما يلي:

- ضرورة إضفاء الطابع الإقليمي على هذه الأقليات.
- تحليل المشكلة المورسكسية على أنها قضية فئة اجتماعية تمثل في نفس الوقت طبقة عاملة ذات خصائص مميزة.

بدأ غاراد في عام 1945(1) في الاهتمام بثورة 1568 في Garrad في البحضرة. ففضل هذا التأليف الذي كتبه بدأ المسيحيون جدد من المملكة الناصرية القديمة في جنوة إلى الأذان (حيث اقتصر اهتمام التأريخ في القرنين السادس عشر والتاسع عشر تقريباً على الفالنسيين). سيكون خوسيه كارو باروخارا(2) هو من

(*) ترجمتنا كتابه إلى اللغة العربية ونشر ضمن إصدارات المشروع القومي للترجمة. (المراجع)
يشرح للمرة الأولى خصائص هذه الجماعة. ففي مقاله التاريخي الاجتماعي يضع عدة اعتبارات ممتازة حول مشكلة الأناسب ووضع غرناطة في ستينيات القرن السادس عشر.

إلى جانب هذه الكيانات الثلاثة الرائدة لابد لنا من ذكر تيار المستعربين والذين طالما اهتم بتحليل ودراسة الأغلية.

عاش دراسة المشكلة الموريسكية عصرها الذهبي في العقدين الأخيرين من القرن العشرين. حيث بدأت معالجتها كصدام بين تقانتين مختلفتين. فمصاصب الحياة اليومية في القرن السادس عشر ترجع إلى وجود مفهومين دينيين مختلفين وليس إلى النزاع بين كيانين.

بدأت دراسة قطاعات الموريسبكيين المهاجرة إلى شمال إفريقيا على يد Mikel Eralza ميكيه إيبالثا انتقالا من إصداراته حاول كل من المؤرخين الإسباني والعرب التوصل إلى الرقم الحقيقي للمنفيين وكذلك التأثيرات الثقافية والثقافية التي أحدثها هؤلاء المبعدين في بيئتهم الجديدة.

تم الانتقال من الأعمال الكبيرة والضخمة التي تدرس المشكلة الموريسكية من بعدها السياسي إلى الأبحاث المتخصصة ذات الموضوع الواحد والتي تركز على مظاهر بينهما في تلك المعضلة. فاستخرجت من بين صفحات الأرشيفات معلومات حول سلوكهم الديني وكيفية معاملة محكم التفتيش لهم وطريقة ارتدائهم الملابس وكذلك ممارساتهم الطبية وشعائرهم وميولهم الأدبية. هذا وينسب الفضل للدكتور B. Vicent وبisyent A. Domínguez Ortiz للنشر في 1978 في تلخيص جزء كبير من الإصدارات الموجودة إلى جانب إضافة وثائق لم تنشر من قبل. (*)

(*) تم الانتهاء بالفعل من ترجمة الكتاب إلى العربية وربما ينشر قريبًا ضمن إصدارات المشروع القومي للترجمة (المراجع)
كان الموريسكيون بمثابة إزعاج لمسيرة التأريخ القومي الكاثوليكي، فقد
اهمت بتخليد الماضي الإسباني الإمبراطوري، إذ كانوا بدون عنصر شاذ في كتلة
يفترض فيها التجانس. الموريسكي يتخطى بمرحل مجري تصنيفه "كتابور خاص" للإسلام، وهو ما يحقق انتميجه كجزء أساسي في المجتمع الإسباني في القرن
السادس عشر. كل المؤرخين الذين يدرسون هذا الموضوع ابتداء من الخمسينيات
يأخذون جانب الموريسكي وهو ما لا ينفع عن رغبة في العودة إلى التأريخ الجدلى
ولكن لإنصاف جماعة أبناء أسلاننا معاملتها إلى حد كبير.

تدخلت عدة عوامل في تقرير مصير الأقلية، إضافة إلى سلوكهم. فأمثل
أقدارهم كل من التشدد ومعارضة الإصلاح وحالة الاقتصاد والثروة والمناخ الدولي.
لا يزال طرد جزء لا يقل به من "الأمة الإسبانية" في القرنين السادس عشر
والسابع عشر أمرًا يشوه بعض الغموض، إما ذلك أو إننا ما زلنا نعد الأسباب
المشار إليها غير كافية. نحن في حاجة للاستمرار في دراسة الأقلية لفهم شخصية
الإسباني والأمة الإسبانية خلال الحقبة الإمبراطورية. هذا هو السبيل الوحيد لفهم
قرارات الملكية الإسبانية: "إذا احتجنا للدلالات، فإن هذا يشير إلى أن النزاع لم يكن
على المستوى الديني فحسب، بل الثقافي أيضًا. كما لو أن الحرب بمجرد تخطيها
للعقبات الأولى ستأخذ بعدا ثانيا وتعطي للمتصرف ثقة زائفة في نفسه."(3) ربما ما
زلنا نعتبر أنفسنا مسئولين عن القرار الذي اتخذه فيليب الثالث في
Felipe III في 1609.

2-13: بدرو لونغاس

سنبدأ هذه المراجعة المختصرة للدراسات التي أجريت حول الموريسكيين
في القرن العشرين بمؤلف بدرو لونغاس

Pedro Longás
لموريسكيين". كان الإنتاج التاريخي في هذا الموضوع خلال تلك الفترة غزيرا مما يعوق تحليله بصورة كاملة. لذا سنكتفي بالإشارة إلى الاتجاهات والأراء وأهداف العالم الكبرى في تلك الإصدارات.

هذا العمل يبرز تغيير عقلية الدارسين الإسبان مع حلول القرن الجديد. هذا التأكيد قائم على عاملين: على أحد الجوانب تم التخلص من الطابع الجدل وقبول الموريسكيين كجماعة مختلفة ثقافيا دون تناول مسألة التعايش أو أضرار الطرد، وعلى جانب آخر هناك محاولة لفهم طرق معيشة الأقلية ومحيطها. حتى ظهور هذا العمل كانت المصادر الوحيدة لمعرفة الثقافة الموريسكية هي أعمال المتخصصين في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

يمكن تقسيم مؤلف لونغاس إلى جزأين. في الأول يعرض أفكاره حول الأقلية. وفي الثاني ينتقل إلى وصف مفصل لحياة الموريسكيين الدينية، استخدم فيه الصدق المتاحة وحالفه الصواب لأقصى درجة. وبرموم السنين سيتم توسيع هذا الطريق الذي افتتحه هذا المستعرب على يد كل من كاردياك وغارثيا Cardillac وGarcía Arenal وآخرين.

يقسم لونغاس الجماهير الموريسكية في شبه الجزيرة من وجهة النظر الدينية وليس الاقتصادية - الاجتماعية إلى غرناطيين وأراغونيين وفاننسيين وقشتاليين. لا تبرهن الاختلافات الطيفية أو الهيما البسيط من قبل الموريسكيين في ممارسة الشعائر الدينية المحمدية إطلاقا على قلة الشعور الدينى المعظم لديهم، وإذا نظرنا إلى القيود التي وضعت حول حرية ممارساتهم للعقيدة يظهر لنا بشكل أوضح مدى تأثر الإسلام العميق بينهم. هذا التأكيد يتعارض مع رأى م. غارثيا أرينال"... نسي الموريسكيون ديانتهم وفقدوا ملامحهم الثقافية المميزة على الرغم من رغبتهم في الاحتفاظ بها".
هذا ويصف لنا الروية المختلفة لكل من ثيسينيروس ورئيس Cisneros أساقة تالابيرا حول طريقة تشريع التعليم الدينية للمؤسسة الكردوزية لډير موروسکی غرناطة. التنصیر بالنسبة لثيسينيروس كان وسيلة سياسية إضافة لكونه مطلوبًا دينيًا مثلاً ومن هنا جاء الفشل. وفقًا لما ذكره لونغاس فإن رئيس أساقة تالابيرا كان يفهم المشكلة من جميع أبعادها، ولذا فإنه كان يستتكر استخدام العنف في بعثته التبشيرية. ويجرى المستعرب بمعادلة منطقية: كلما ازداد التسامح خلال عملية الاسترداد (كما حدث في فالنسيا وأراغون) ازدادت صعوبة التصحر أو أضقى مساحات ووصفه موروسکی قشتالة لا يخلو من الحرق: كان الأوائل يعيشون بين المسيحيين يتردون ثيابهم وكان معظمهم يتحدث الإسبانية جيدًا، إلا إنهم كانوا في مثل حرص موروسکی مملكة فالنسيا على اتباع تعاليم الشرعية الإسلامية. لم تكن نتم مراقبتهم بنفس الدرجة، فلم يكونوا يعيشون في أماكن مزعولة. وخاصًا بالموروسکیين، كما أن عملهم كحمالين جعل اتصالهم بأبناء دياناتهم أكثر سهولة. 1

علم الموروسکیون جيدًا ماهية "العاقبة الصادقة"، فكان الأساقة موثوقين وتمت الحملات التبشيرية بصورة جيدة على الرغم من الصعوبات اللغوية. ظل الموروسکی على إسلامه نظراً لعناده. شكك التأريخ الحديث في بعض هذه التأكيدات. فإذا كان هناك العديد من الحملات التبشيرية فإن الأساقة المعينين فيها لم يتردوا إلى المستوى المطلوب، كما لعبت المصالح الاقتصادية لبعض الطبقات الاجتماعية دورًا حاسمًا في هذه القضية. برى لونغاس أنه "... لم يتم وضع خطة مسبقة أو اتباع سياسة معينة". إن طرد اليهود وفتح غرناطة في 1942 قد جعلا المسيحيين القدامى يفكرون في إرساء الوحدة الوطنية "المنشودة"، وكان نفي القلية أمراً لا زاماً لتحقيقها. إلا أن "... لابد من أن يكون دعم النبلاء للموروسکیين قد أثر على عزيمة الملوك فلم يطردوهم بصورة جماعية، هكذا يفسر الكاتب السياسية المتساهلة التي اتبعها كل من كارلوس الخامس وفيليب الثاني، إلى جانب أن
انشغالهم بالحروب الخارجية جعل من المناسب عدم خلق صراعات داخلية.  

یرجع الكره بين المسيحيين القدامى والجدد إلى أن الأخذين: كانوا مسيحيين ظاهراً، هذا ولم يكتملوا بإظهار تمسكهم التقليدي بالعقيدة المحمدية، منساقين وراء رغبة تلقائية نابعة من كونها عقيدة آبائهم، بل كانوا عادة ما يحاولون – مدعومين بحماستهم الدينية – اتخاذ أتباعهم من المسيحيين القدامى، مضيدين بذلك سبباً جديداً للنزاع.  

ولكن نفهم هذا التأكيد لابد أن نذكر أن الإسلام ينظم لأتباعه كل عادات حياتهم، أكثر من أي ديانة أخرى (كان رد الفعل إزاء محاولة فصل الأقلية عن طرقهم المعيشية أكثر عدوانية). التعليق الوحيد الذي يمكن إضافته فيما يخص بوصف بيدرو لونغاس في مؤلفه لمارسات الموريسيكيين الدينية يدور حول استغرابه من ازدياد هذه الشعائر في 1588 (عام ثورة الموريسيكيين في البشات) و1609. إزاء استشعار الأقلية قرب اندثارها يصبح منطقياً عدم إخفاء أفرادها لعقائدهم الحقيقية. احتفظ المسلم الإسباني بالعديد من شعائره كمجرد ذكرى للعقيدة التي اعتمدت أجداده جاهلاً معناها. يرى هالبرين - دونغي أنه بعد مرور عدة قرون من تعايش المجتمع، مما تم تحويل الأقلية إلى مجموعة من العوام لا يعرفون كيف يصبحون مسيحيين أو مسلمين.

3-3: الموريسيكي والحقيقة التاريخية لإسبانيا
1-3-1: أمريكو كاسترو

تناسي النصف الأول من القرن العشرين وجود الموريسيكيين، وهو ما يمكن إرجاعه لعدة أسباب. من المنطقية الاعتقاد بأن المؤرخين هذه الفترة رأوا أنها ليس هناك سوى التقليل مما يمكن إضافته حول الموريسيكيين بعد ظهور مؤلف ب بورونات. على جانب آخر فإن مؤرخ النظام الذي اتبعته الحرب الأهلية قاموا
بتمجيد الفترة الإمبراطورية الذهبية والقيصرية، وكان الموريسيكي بالنسبة لهم حقيقةشق عليهم تحملها. إذا كانت قد ظهرت آية دراسات فإن هدفها كان أثناء على الإسبان الظافرين (المسيحيين القدامى). لابد لنا من الانتصار إلى حلول عام 1948، وهو العام الذي ظهر فيه كتاب أميركو كاسترو "إسبانيا في تاريخها" España en su historia، وهكذا يكون قد سبق مباشرة "الحقيقة التاريخية لإسبانيا"، La realidad histórica de España، الذي نشر سنة 1954 وأعاد الموريسيكي إلى دائرة اهتمام الفكريين الإسبان. خرج كتاب كلاوديو سانشيث ألونروث الحقيقة التاريخية لإسبانيا (11) إلى النور قبل ذلك بعامين. وقد دار الجدل بين المؤرخين حول "الكيان الإسباني" و"مشكلة إسبانيا". فتفتقت بصورة سلمية وجهت نظر منطلقان حول تأريخنا وما ترتيب عليه من عواقب.

اتفق الكاتبان في مصادر وثائقهم واستخدامها أعمال نفس الكتب الذين تمت الاستعانة بأعمالهم (لامبيري، Braudel، شانون، Lapeyre، براوديل Chanau، فونسيكا Hurtado de Guadalajara، غودالاخارا، Fonseca Guadalupe دي ميندوثا، Jáuregui)، بيد أن النتائج التي توصلنا إليها قد أختلفت.

يري أميركو كاسترو أنه قد "استمر وجود هذه السلالة البائسة في ظل الروح التي جعلت التعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود ممكنا. مع اختيار النموذج الراقي للتسامح الإسلامي، لم يتفق المسيحيون والمسلمون في أي من مثلهم، فكما ذكرت سابقا كاذا هناك محاولات لتقريب الطوائف الثلاثة التي تؤمن بإله واحد رحيم، وجعلهم يتبينون نفس وجهة النظر السياسية"(11).

يعتقد مينينديكث إلى بيلاريو أن الكتب الرصاصية التي Menéndez y Pelayo

عثر عليها في جبل سكراونتي في غرب فرنسا لم تز发酵 البحث. أما أميركو كاسترو فيرى، على النقيض منه تماما، أن "... الغرض من هذا التزييف اللاهوتي الساذج هو اقتراح إله تقبله عقائد التوحيد الثلاثة... القضية في مجملها تمثل ثلاثة
مظاهر: الأول هو آخر مخزون لإرادة التعايش السلمي (الواعي - غير الـ140)
لدى عدد من المسلمين وبعض المسيحيين الإسبان... المظهر الثاني هو الاستقبال
(الواقي - الساذج) لما يعتقد أنه من العالم الآخر الخارق للطبيعة، والذي أسس
على حقيقة أكثر فاعلية واستقراراً عما يعرفه عن عالم الأموات. وأخيراً لابد من
أن نضع في اعتبارنا سبيا أخيراً ذا طابع اجتماعي، وهو وضع كنيسة سكرامونتي
في غرناطة، والتي تتمتع ببعض امتدادات الكاتدرائية، بعد إعلان الرسولية
أن الكتب الرصاص الشهيرة المكتوبة باللغة العربية مجرد مهزلة سخيفة. على
النقيض من ذلك فلم يتم استنكار الرقائق المكتوبة باللاتينية الدارية والتي ذكرت
أن هذا المكان شهد استشهاد عدد من تلاميذ الحواري سانتياغو، من
بينهم القدس ثيوديго"(1).

يعتقد أميركو كاسترو "أن طرد الموريسكيين كان وراءه ما هو أبعد من
التشدد والمنافسة الاقتصادية والحماية الحكومية: "فعلاً من أن تستحضر تركيبة
الحياة الإسبانية ونمطها الفريد الذي لا يوجد له نظير من حيث القيم التي خلقتها أو
التي هدمتها"(11). الجريمة الوحيدة التي نسبها كاسترو إلى الموريسكيين هي
رغبتهم في استعادة حكمهم الذي فقدوه في عام 1492. كانت الطائفة المسيحية
أكثر انتظامًا بالمجدد والإمبراطورية منها بالواقع الاقتصادي والاجتماعي الواضح.
تدهور النفوذ الاقتصادي لشبه الجزيرة لأنه "... لا كان الموريسكي قد عمل لمدى
المسيحي كما فعل هنود المكسيك وبيرو، لذا الحياة الإسبانية قد تغيرت. إلا أن
التقاليد والوعي بمكانة الإسلام قد سمح للموريسكي، بالرغم من تدني أوضاعه، أن
يصبح حياة خاصة ومستقلة إلى حد ما من ناحية الاقتصاد والممارسات الوضعية
بعض الشيء لديانته"(12). إن المحاولات الفاشلة لاستيعاب، نظراً لسوء إعداد
القساوسة، أرادت للموريسكيين ترك الإسلام وفي نفس الوقت "الانخراط في الحياة
الإسبانية كحالهم عندما كانوا مسجيقين"(13).
يري أميركو كاسترو أن المسؤول الرئيسي عن الطرد هو دوق ليرما. وقت枇
طرد الموريشكيون من إسبانيا رغم أنهم كانوا إسبانيين مثل الآخرين. لقد تخلت
الدولة عن أكثر الطبقات اجتهدت وتوفرت لمجرد "الكرامة القومية" القائمة على
الوحدة الدينية وإقطاع النفوذ الملكي. بعد كاسترو الموريشكي صانعا للثروة، أما
المسيحي القديم فهو السيد "... مدركًا تفوقه الشخصي، تحولت المشكلة الموريشيكية
في القرن السادس عشر إلى صراع إرادات حول سيادة أحد الفريقيين المتنازعين.
النتيجة الوحيدة هي القضاء على أحد الفريقيين. كان هذا الأمر بمثابة الخراب
لمملكة أراوغون"(17). وهو يؤمن بأن إسبانيا المسيحية قد عاشت فترة ازدهار عندما
طعت حياتها بعناصر أجبرتها على التواصل مع الإسلام واليبرانية.
كان الموريشكيون عند أميركو كاسترو يشكلون جزءا من إسبانيا وامتداذا
لشعبها. وقد تغير ذلك عندما بدأ الشعور أن "الاتفاقات والعهود مع المخالفين في
الدين كانت أمور تعود للعصور الوسطى. كان الموريشكيون يمثلون شيئا عارضا،
بلا أن خريطة الحياة القومية على جانب آخر كان لا بد من أن تستمر كما كانت في
العصور الوسطى: المسلم يعمل وينتج والسيحي يتسيد محتياجاته بعظمته الشخصية.
الشخصيات النبيلة والزاهدة التي صورها الغريكو لم يعد بإمكانها التفاؤل مع
شرذمة من الصناع والحرفين ممن كانوا آنذاك يتفاخرون في خيال ويتآمرون
ضد أمن الدولة."(17)

نتقل لاستعراض فكر كلاوديو سانسيني ألبورنو حول الموريشكيين.
وحنحن نمتعنا تماما عن إصدار أي أحكام حول قيمة الأعمال عند تحليلنا لهذين
المؤلفين. لقد ظهرت مؤلفاتهما في وقت مبكر، لكن يرجع إليها الفضل في إعادة
المشكلة الموريشيكية إلى بؤرة الاهتمام.

نعتقد أن الأمور ستتضح بشكل أفضل إذا عرضنا آراءهما دون التحيز لأي
منهما. فيما وجهنا نظر غاية في التنافض حول إحدى القضايا ومن السهل للغاية
نقدهما. شأنهما في ذلك كغيرهما من الآراء المغالبة.
أخفِ الزمن قدراً كبيراً من الصراع بين كاسترو والبولنوث على الحقيقة التاريخية لإسبانيا. ولكن هذا لا يجب أن ينصحنا أن نقمٌ هذه المشكلة قد جذب الكثير من المؤرخين في السنوات الأخيرة نحو دراسة الأقلية.

2-3-2: كلاوديو سانشيز ألبيرنوث

يرى كلاوديو سانشيز ألبيرنوث أن بقاء الموريسيين في شبه الجزيرة خلال القرن السادس عشر يوضح أنهم لم يكونوا العناصر الملائمة لإحداث التزاوج الإسباني - المسلم: "تحديداً في الوقت الذي كان يسهل فيه مزيج وتطعيم كل من الشعبين بالأخر، فلم توافد بين المعيارين البدائيين للكتأن الرومانى والعربى. حيث لم يستطع الموريسيون الإقلاط من الضغوط التي فرضها عليهم المجتمع الإسباني الذي كانوا يعيشون فيه، كما أن مجرى الحياة الإسبانية كان عميقاً إلى الحد الذي جعلها لا تهتم بوجود أقلية مهذبة وخبائسة كان معظمها من الغربانيين الذين أجبروا على الهجرة بعد عام 1570، كما أنهم شكلوا طبقة مشابهة إلى البروليتاريا التي اقترنت من جذورهم وأدعت في مهب الريح، كما أوضحت كل من لابيرو وشاونو. في النهاية أصبح بين هذه الأقلية والمسيحية ما يتعدى النفاق العام بين عالمين متصارعين في الثقافة والأسس الحياتية، فهناك الاختلاف الذي دائماً ما يفصل بين الجماعة المحيطة - وذلك فهي مجردة على تسبب قوتها من مهنة سلمية - وبين الطائفة المسيطرة التي تسود فيها الروح الأمارة والمقاتلة.

ألبيرنوث يقال من وزن الموريسيين المطورين ويجترق الموريسيين القشتاليين لقلة عددهم. كان الطرد هو "... النثأمة التي تأخرت بعد الفتح الفريدة لأراغون في القرن الثاني عشر وفالنسيا في القرن الثالث عشر، وهنا أسمح لنفسي..."
أن أضيف أنها كانت أمرا حتمياً(19). وهو "... العرض الذي قدمته إسبانيا للتكفير عن عقدها هدنة الاثنين عشر عاما مع هولندا(20). يعتقد أن طرد اليهود والموسيكيين واليسوعيين ضروريا لـ "التقدم التاريخي للمجتمعات الوطنية ومسيرة الإنسانية نحو إقرار الحرية كأحد المطالب حتى لا تتفهمر في زحفها نحو الألفية الجديدة، وهو ما يتطلب أحيانا إجراءات اجتماعية صارمة أو يجعل اللجوء لاستخدام العنف الثوري أمرا حتميا، أجلا أو عاجلا. هل يمكننا، في ضوء ذلك، تبرير مرسوم 1609 الوحشي؟... (على الرغم من كونه) هذه القسوة قد لطخت تاريخنا(21)."

وهو مجبور، بعد عرضه للقضية هكذا، أن يعتبر أنه لم توجد أي أثر اقتصادية سلبية للطرد. فكان إفلاس المستودع وخسارة الضرائب العينية هي المساواة الوحيدة ولم تحدث سوى في الممالك الشرقية من شبه الجزيرة "... لقد أوقف نزيف هذه الجراح بشيء من السرعة، وفي مقابل ذلك تم تجنب مخاطر شديدة بالإضافة إلى العديد من الأزمات السياسية والمالية والاقتصادية وحتى القومية الحادة، كانت الأكثرية أو الأقلية المورسية ستحدثها في حياتنا التاريخية وستنتبس فيها اليوم لمستقبلنا(22)."

إن اعتبار الطرد أمرا حتمياً، كما سبق وأشار سانشيز ألبورنته، شيء لجأت إليه حديثا دولوريس برامون في مقالها "ضد المسلمين واليهود Contra moros i jueus"(23). وترى العالمة بفح اللغة السامية أن مسألة الاستيغا كانت أمرا خياليًا في ضوء تغير الموقف الداخلي لممالك الإمبراطورية الإسبانية(24).

(19) ترجمت شاهد أحمد هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ونشره المجلس الأعلى للثقافة تحت عنوان "المسلمون واليهود في مملكة فانسيا". (المراجع)
إن وضع خوليو كارو باروخا بين تيار المستعرين من جهة، والباحث في اللغة والحضارة الإسبانية ف. براودل من جهة أخرى، يضحي مبارة للغاية عند قرائتنا لـ "مسلمو مملكة غرناطة". Los moriscos del Reino de Granada.

هذا العمل يحدد موقع موريسكي غرناطة من العالم الإسلامي عن طريق دراسة أساليب حياة الأقلية وتقاليدها وبنائها. ليس من قبيل الصدفة أن يصنف ف. براودل هذا الكتاب على أنه "عمل رائد، واحد من أفضل الكتب التي أعرفها في التاريخ وعلم طبائع الإنسان".

في البداية يمكن أن نقول إنه أفضل تجميع لأعمال دييغو أورتاوذو دي ميندوثا، ولويس دي مارمول كارباخال، دييغو بيدراذاتا، وزينيس بيريت دى إيتا، ودييغو بيدراذاتا، مارمول كارباخال.

و يمكن طرح خطة هذا العمل في عدة ملاحظات موجزة على النحو التالي:

بادئ ذي بدأ يصف تشكيل غرناطة قبل وبعد الفتح، مركزا خصيصا على مشكلة الأسباب. ثم يقسم موريسكي غرناطة وفقا لحالتهم الاقتصادية وطرق حياتهم ووضعهم الاجتماعي لييته من إرساء الاختلافات بين فصائل الأقلية التي تعيش في المدينة: مجتمع مرج غرناطة ومجتمع السهول. وينتهي الكتاب بذكر التقاليد والرؤية التي تم طرحها إزاء هذا الموقف الجديد.

يفترق باروخا بين موفقين مختلفين في الكيان المسيحي: نجد على أحد الجوانب النبلاء والأرستقراطيين (ممثلين إلى حد الكمال في عائلة ميندوثا) الذين يمدحون الأسلوب المتشدد، وعلى جانب آخر نجد البيروقراطيين (محكمة غرناطة الملكية ورئيسها دييغو ديتا)

(2) ترجمنا هذا الكتاب إلى العربية ونشر ضمن إصدارات المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة. (المراجع)
القمع. وهذا الاتجاه الثاني هو الذي سيستقر في أثناء حكم فيليب الثاني. إن أساس وجذور هذه المشكلة المورسكية في غرناطة يمثل في كونها صراع استيطاني. مع غزو غرناطة تفكك النظام الاجتماعي الناصرى واحتلت عناصره مراكز مختلفة، لا يتبرد باروخا في اعتبارها خاطئة. كان وضع غرناطة تحت حكم الملك الكاثوليك مختلفا تماما عن وضع توليدو في أثناء حكم ألفونسو السادس. "اندثرت آخر الممالك غير المسيحية. لم يعد على المسيحيين أن يخشوا أي هجوم مضاد مباشر أو أخذ بالثأر أو غارات على أراضيهم تعقبها عمليات أسر شرسة تنظمه قوى الحكم المركزى. في المقام الثاني شكلت غرناطة أكبر تجمع سكني مسلم يعتد به في أوروبا الغربية وكانت تقع تحديدا في منطقة إستراتيجية وخطيرة نظرا لاحتمالية اتصالها مع شواطئ إفريقيا."(10) ففرض المسيحيون القديم نظاما استيطانيا في غرناطة وأضحت الأقلية المسلمة تعتمد على أسيد جدد لديهم أمال عريضة في الإثارة ... دون مراعاة الاعتبارات الأخلاقية أو الدينية(11). قسمت مدينة غرناطة - وكذلك المملكة - في 1498 إلى جزأين:

1- أن التنصر قد تم قسرًا.

2- أن الملك الكاثوليك قد خالفوا المعاهدات.(12) ان يفاجأ أحد من التأكيد على أن الإمبراطورية الإسبانية عند ارتكابها هذا الفعل كانت تحكم رعاياها من المسيحيين الجدد بنظام مزدوج: الحكم المدني واستخدام الكنيسة عن طريق محاكم التفتيش لتعزيز الرقابة عليهم.
يعتقد كارو باروخا أن هناك جماعتين مختلفتين تقليديًا ودينية قد تعايشتا في غرناطة في القرن السادس عشر. كانت تفصلهم أمور دينية ولغوية وعادات وتقاليد واختلافات في بعض المظاهر الجسدية والطبيع. وكما فعل مع اليهود يحاول المؤرخ وعالم الاجتماع الباسكي تعريف العصبية وتحديد مقدارها الذي يحل به أفراد الأقلية:

1- لا تظهر إمارات روح الترابط القوية إلا بين أناس يجمعها رابطة الدم أو عوامل مشتركة.

2- إن نقاء هذه الروابط لا يوجد سوى لدى العرب الرحل والشعوب شبه الهمجية التي تقطن الصحاري.

3- من يسكنون في القرى والمدن والحقول المزروعة لا يعيرون هذه الروابط والعصابات كل تلك الأهمية.(18)

لكى نفهم الثورة الموريسكية في غرناطة عام 1568 لابد من معرفة مشكلة الأسباب في المملكة النافرية القديمة: "أرى أن مسلمي غرناطة لم يخسروا تحديدا لفقدانهم الشعور بوحدة العصب، وإنما لعدم معرفتهم بكيفية تخفيض نظام قائم على تجميع الأقارب لتمارسة العنف ضد كل من يتصدى لشيوخهم أو قائدهم العسكري."(20) حاول المشرعون الإسبان محاربة الهوية العربية أو وحدة العصب، وهو ما نتج عنه "الرغبة في البقاء وإرادة التدمير، وهذه هي الخطوات العريضة لما تضمنا له ونجه لوجه."(21)

يؤكد كارو باروخا أن الفئة المت Cruiser لم ت vượt قت 1000 موريسكي، لذلك لا يمكن اعتبار صدام عام 1568 "حربا شاملة"، إلا أنها قد خلفت بالفعل آثارا ديمغرافية تفوق ما انتهى إليه الغزو في 1492. فالموريسكين الغرناطيون من وجهة النظر "العرقية... كانوا مزيجا من العرب والسوريين والبربر وعنصر...
أصلية وبعض قدامى اليهود، يشبهه جرعة متنوعة من الدماء السوداء وأشخاص مختلفين: فرس وهندوس وحتى أتراك(13)، ولكن قراءة عام 1550 أو 1560 "... لم يعد ممكنا إيجاد اختلاف عرقي كبير في معظم قرى غرناطة وأمرية وموريتيا بين الجماعة الموريسكسية والمسيحيين القديمي(14). يمكن تقسيم موريسيكي غرناطة أنفسهم إلى:

1- (الغزاة) وهؤلاء كانوا مسلمين من إفريقيا، عبeda أو أسرى حرروا فيما بعد، وقد تركزوا في جبال الجنوب...

2- (المدجنين) القدماء... الأسيد الذين ذهبوا بكثرة إلى الشمال في عهذ الملك الكاثوليك... سلالة المسيحيين المرتدين الذين أطلق عليهم (إيليشيس) من سموا بـ (ثغربيين) وهم من Tagarinos ... من وما بـ (ثغربيين) elches... كان البورسيكيون الذين أقاموا بالمدينة أساساً، يغلقون وسرعان ما جعلوا أولادهم يتعلمون بالحرفاء، ومن هنا جاءت أهمية المعلمون والحريفيين في الثورة. يعتقد كارو باروها أنه "ربما كان أهلًا البشرين هم آخر من تقبل سيادة الإسلام في الجنوب وقت الغزوات، كما كانوا آخر من تقبل المسيحية عند مجيء الفتحات" (15).

تعتقد المشكلة الموريسكسية أكثر فأكثر، حيث لم يكتف الموريسكيون بالمحافظة على الأسنان والسلالات فحسب بل "اتبعوا كل التعاليم الإسلامية المتعلقة بالوالدين. فكرمو الشيوخ إلى حد كبير كما كان نسلهم ينتمي إلى الأباء. لم يكن غريبا أن يبيع القراء أبناءهم وبناتهم كعبيد وقت الحاجة. ولم تكن للنساء أهمية تذكر خارج منازلهم" (16). بسبب تلك الأمور، إضافة إلى العادات الغذائية والمارسات الدينية، كان يعتقد أن الموريسكي شخص جاهل وفظ، يجعل المرتبة الأخيرة في السلم الاجتماعي نظرا لممارسته بعض الحرف اليدوية" (17).

183
كانت غرناطة في القرن السادس عشر مقرًا للحرب على أساس مثقفين في أحوال عصر النهضة (التشاؤل الأخلاقي والسماح كان بمثابة ختم لا يمكن مسحه)، والأشخاص يعيشون كما في عصر الإمبراطورية وسيلة روح معاداة الإصلاح التي كان فيليب الثاني أفضل من يمثلها. كان نشوب صراع بين دين وكونت تنديدًا حقاً لا تقبل السك. إجمالاً كان يغلب على غرناطة في منتصف القرن السادس عشر الطابع المسيحي. لكن يبدو أن معضة كانت التي طرأت في عام 1567 كانت على الأقل سابقة لعدها، وما من شك أن آثارها كانت متفجرة. كانت الحرب هي السبيل الوحيد أمام الموريسكي إزاء محاولة تدمير ثقافته وتكوينه الاجتماعي: "أصبح المسلم أكثر إسلاماً وعالمي أكثر مسيحي، على الأقل من حيث المظهر الخارجي للعقيدة. أضحت الرموز الثقافية لهؤلاء وهؤلاء مستخدمة على الدوام. بررت بعض "المذاهب الفكرية" العنف والسبل، فكان العنف يمارس بصورة منهجية أو أكثر منهجية من ذي قبل. (37) تختلف هذه الحرب عن غيرها في مضمونها الديني إلى حد بعيد والذي كان يهدف إلى استرجاع كل قيم الثقافة الإسلامية التقليدية.

يرى كارو باروخا أن من يعانون من آثار المناقة كانوا يقصون غراماءهم دون هوادة لو توفرت لديهم القوة: "بعد الاجتهاد والقناعة وزيادة النسل من وجهة النظر المسيحية من الفضل ومحاسن الأمور، وقد استخدمت هذه الفضائل بعينها على أنها عيوب يتصف بها الموريسكيون، ولا يرجع السبب إلى أن الاجتهاد والقناعة وزيادة النسل كانت تمدهم بالقوة فحسب، بل إن "القدر" الذي كانت هذه القيم تمارس به كان بعد خطيئة: فكان الشجاعة هو الدافع وراء الاجتهاد وأمست القناعة بخلا وأضحت زيادة النسل ناجمة عن الشبع. (38)

لقد نقل لنا كارو باروخا صورة كاملة لحياة غرناطة وقاطنيها. وعرف كيف يدخل في صميم الأمور، لذا يعد مؤلفه أحد الأعمدة الرئيسية للتاريخ الموريسكي على مر العصور.
قام ف. براوديل بأول تحليل شمولي النظرية عن المشكلة المورسكية في هذا القرن من خلال كتابه "البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عهد فيليبي الثاني"، Mediéraneo y el mundo mediterráneo en la época de Felipe II، رابطاً بإياه بالمناخ الدولي الذي كانت تعيش فيه إسبانيا في النصف الثاني من القرن السادس عشر. وقد ترك لنا عضو مدرسة أناليس فكرتين فيما يخص المورسكيين:
أولاً، السلوك المتشدد للإمبراطورية الإسبانية في أثناء حكم كل من فيليبي الثاني وفيليبي الثالث الذي تسبب في فشل سياسة الاستيعاب. ثانياً، عدم حوار الحديث عن مشكلة مورسكية واحدة، ولكن عدة مشكلات تتصل بالمحيط الجغرافي الذي يعيش فيه المورسكيون: "بوصفها مجتمعات وحضارات ذاتية في طريقها للاندثار." يقيم التنصير القسري لأفراد الأقلية على ضوء هذا التقييم: "طبقت الوسائل التي اتبعت في غرناطة على نطاق أوسع في إشبيلية. ولكننا ننصح بأن حدد تطبيقها على أهالي غرناطة التي فتحت حديثاً ما عانى تنفيذها على مسلمي قشتالة الذين عاشوا طويلاً بين المسلمين ومارسوا عقيدتهم بحرية حتى ذلك الحين. كما اختلف الأمر في أراضي مملكة أراغون (أراغون وقاثالونيا وفالنسيا)."
يصف براوديل فتح غرناطة والوضع الذي تفجر بناء على هذا الحدث بالصراع الاستياني: "أي حرب استيانيّة تسوق حتّى إلى الصدام بين حضارتين وتدخل المشاعر العمياء والعنيفة والغادرة. أي محاولة للفكر العقلانيّ ذهبَت سدى، وخاصة مع انتقال السياسة الإسبانية من نصر إلى نصر، بدأ بأورانطة منذ عام 1502، ثم فالنسيا منذ 1526، ومنذ قديم الأزل في أراغون. ففرقت أعقادها ومنعت انتشار الفتنة من موقع نشوتها إلى ما يجاوره دون أيّة معوقات."
ثار الموريسيون عشية عيد الميلاد في العام 1568 نظراً للبأس الذي أخضعهم له المسيحيون القديميّون. سبب كافٍ لإقلاع اللوم على إسبانيا المسيحية. ولكن هل كانت إسبانيا على علم بمدى التعسف والظلم الذي كان يمارسه أحياناً دون أن يدري أحد - باسمها أو في كنفها في تلك الأراضي الجنوبية عالية السكان وشديدة الثراء، التي ذهب إليها الجميع بحثاً عن المنفعة: إما أراضي أو عمل (۴۳)؟ سبأب المنهمك مخالطة من يقوم بإغلاله وسيحتفظ بتنظيماته الداخلية التي ستخرج إلى النور في ثورة عام 1568.

يرى دارس الحضارة الإسبانية أن الطرد كان أمراً حتمياً ومنطقياً ومتماشياً مع الروح التي تمتع بها الملك الحكيم. أدى تشديد فيليبي الثاني ومستشاريه والسلطات المفوضة في غرناطة، إضافة إلى الضغط الشديد الذي مورس على الأقلية إلى ثورتها: "تعيش إسبانيا المسيحية المنتشرة والقلفة في خوف دائم من هجمات تركية، وهو على جانب آخر مشروع تمت مناقشته بالفعل في إسطنبول. لم تكف إسبانيا فوراً عن تقدير خطر الإسلام بما يفوق قيمته الحقيقية سواء قبل عام 1568 أو بعده. (۴۳) لم يؤد ترحيل المهزومين إلى قشتالة سوياً لتوسيع رقعة المشكلة بنقلها إلى مناطق لم تشهدها من قبل.

بقي المقام الأول كان السبب هو عدم إمكانية استيعاب الموريسيّين. وهو باتجاه هذا الموقف لم يحرك لدى إسبانيا مشاعر الكره العنصرى (بُدِّد أن هذا الصراع كان يخلو تماماً من الكره العنصرى) وإنما الكره الدينى والثقافي. وقد ظهر هذا الكره، أو بمعنى أصح تفجّر، مع اعتراف إسبانيا بالعجز: وهو دليل على أن المسلم بعد مرور قرن واثنين وثلاثة - على حسب الحالة - ما زال هو المسلم التقديم بأزيائه ودبيانته ولغته وكل شيء، لقد رفض الحضارة الغربية وكان هذا هو جرّمه الرئيسي... كانت إسبانيا على دراية تامة بأن قلب الموريسيّين متعلق بالعالم واسع يمتد حتى بلاد فارس البعيدة، عالم تعمّره منازل متشابهة وتسوده تقاليد
واحدة وعقيدها واحدة.({44}) يمكن أن نقبل كون الطرد اعتراضاً بمشاعر العجز لعدم إمكانية تغيير الموريسكيين، ولكن علينا إضافة الكثير إلى هذا الرأي. كان توحيد الثقافة هدفًا صعبًا ولكنه ليس مستحيلاً. فلم يكن الموريسكي في عام 1609 مسلما تقليديا بل كان يحمل بصمة غربية إلى حد كبير. كان الأسلوب الذي اتبعه فیليبي الثالث ذا مضمون ديني عميق، ولكننا لا نعتقد أن هذا هو السبب الوحيد وراء إصدار هذا القرار الدموي. فكرة أن الهدف لم يكن القضاء على سلالة مكروية، ولكن كان يبدو مستحيلًا ترك نواة ثابتة للإسلام في قلب إسبانيا نفسها.({44}) يمكن التشكيك فيه بالنظر إلى أعمال كارديباك أو غارسيا أرينا. حيث يؤكد كلا المؤرخين أن الموريسكي بحلول نهاية القرن السادس عشر لم يكن مسلما جيده أو مسيحيا جيدها. كان التهيج الثقافي بين الفرقيات أمرًا لا يمكن إنكاره. على جانب آخر لا يجوز الحديث عن الموريسكي كما لو كان شخصاً متجانسا، هذا وينبغي تأكيد براوديل تماماً على الجماعة الفانيلسية وليس على قبائل أخرى شبه الجزيرة.

"in dubiis, libertas"

يمكن تلخيص فكرة براوديل في الفعل الثلاثينى القائل:

كان الموريسكي شخصًا مشكوكًا فيه وتم طرده من الأرض التي ولد عليها. استطاع فیليبي الثالث القضاء على الموريسكي جسديًا، بيد أنه لم يتمكن من محو تقاليد وعاداته الغذائية وحريته وعقليته التي ظلت إلى حد ما متواجدة في نمط حياتنا.

لابد أن نشكر لـ ف. براوديل اهتمامه بالموريسكيين فهو، وإن كان عابراً، سيشكل عنصرًا حاسماً فقد أحيا قضية كانت تعتبر منتهية، وإن كانت حتى الآن لم تعطنا أفضل ثمارها.

إلى جانب القيمة الجوهرية للبحر المتوسط، يجب ألا ننسى أن اثنتان من تلاميذ براوديل سيهتمون بقضية الأفليات. تعد أعمال هالبرين - دونغي - والبيري مماثلة لمؤلفات بليدا وكارو بارويا وب. بورونات.
قام أول هؤلاء التلاميذ بنشر عمل ممتاز تحت عنوان "صراع قومي، Un conflicto nacional. المورسكيون والمسيحيون القديمون في فانوسيا". يصف لنا المؤرخ الإسبانيMoriscos y cristianos viejos en Valencia مشاكل الأقليات الاقتصادية والاجتماعية انطلاقاً من جغرافيا فانوسيا وعلاقة المورسكي بالمسيحي القديم. الإيضاح حول وجود ثقافتين مختلفتين وإدراك المورسكي لكونه جزءاً من أمة مغتصبة له حضور ظاهر في هذه العمل. وقد عرفته غارثيا أرينال بأنه "...أفضل دراسة متخصصة حول جماعة مورسيكية تمت إلى وقتنا هذا"(1)1.

يبدأ العمل بتفسير العنوان: "لدينا عنوان مورق، هل هناك داع للحديث عن صراعات قومية في القرن السادس عشر؟ ما من شك في أن المورسيكون بالنسبة لإسبان هذا القرن هم "أمة المسيحيين الجديد" في مقابل المسيحيين القديمون."(2) الكاتب يقحمنا منذ الصفحات الأولى في خضم مشكلة مجتمعين متناقضين يعيشان سوياً، وهي الفكرة التي طرحها أستاذنا، "الهدف بإيجاز هو استيعاب المورسكي في منظومة القومية المسيحية الفالنسية، وفي الوقت نفسه المحافظة على الهيكل الاجتماعي للملكة، والذي يقوم على التماثل الطبقي بين المسيحيين والمسلمين أولاً، والصليبيين القلبيون والجدد ثانياً"(3).

يشعر هالبرين أنه موجب على أن نصف لنا الظروف التاريخية التي شكلت اقتصاد ومجتمع فالنسيا في القرن السادس عشر. يبرز المحاصيل الأساسية وإمكانية كل منها وفقاً لتنوع أراضي مملكة فالنسيا. وينحف المدود الذي يلعبه النبلاء اهتماماً خاصاً في هذا المجال. عانى ميناء فالنسيا بين 1519 و1562 من تدهور مستمر. أضحى التفوق لميناء أليكانتي، ولكنّه كان بريقاً خادعاً. تحولت مدينة توريا خلال هذه السنين إلى مركز حضاري ذي فائض دموغرافي.
لا يعرف كيف يكسب قوته". كان الطابع الريفي يغلب إلى حد كبير على السكان، إلا أن زراعة الأراضي كانت بحاجة إلى أموال طائلة. وقد جاءوا برأس المال اللازمة للحملة الزراعية الجديدة عن طريق الرهن العقاري.

في هذه الأوضاع فإن سكان "... المناطق الخاصة بالمسيحيين القديمي قد تنامي عددهم بقدر أقل من المناطق الخاصة بالموريسيين".(60). كان توزيع الموريسيين على الأراضي متعلق بالطريقة الفريدة التي تم بها الغزو في القرن الثالث عشر "... ثم توزيع مسيحيين فانسيا الجديد على شتي أنحاء المملكة ولكن بطريقة غير عادلة: فقد أسكنوا التلال المليئة بالكلا الجاف والشجيرات الشائكة، وحمرمو من سكنى الساحل والعاصمة، وتواجدوا في صورة أقليات في المراكز الكبرى والحقول والأراضي المزروعة دون رأي".(61).

حدد التوزيع الجغرافي نمط حياة الموريسيين، فلم يكن ممكنا وضع قواعد عامة تنطبق على الجماعة بأسرها. وقد ارتبط وضعهم "... برادة إقطاع ذي قاعدة فاسدة. فالموظفون الذين قبوا أن يعيشوا في أراضي الموريسيين المعزولة لم يكن بإمكانهم - لأسباب وجيحة - العثور على أماكن أفضل، كما كانوا يريدون في نفس الوقت تعويضا عن المتع القليلة التي حرموا منها نظرا للتواجد بهم بين الموريسيين".(62).

لا يوجد هالبين بتفوق الصناعة الموريسية على المسيحية. فالمسيحي الجديد ينتج مواد قليلة الجودة كالحلفاء، كما أنه قد هبط إلى المرتبة الثانية في صناعة سيراميك مانيزيس. Manises ولكن لم يستطيع أي من التجارة أو الصناعة الموريسية استيعاب الزيادة السكانية لهذه الجماعة، لذلك لم يجدوا لهم مخرجًا سوى التنصيص. كانت احتمالات نجاح المجتمع السكاني - الموريسي في فانسيا ضئيلة بسبب "... ذلك الكره المتولد من أعماق فطيرة الأفراد ووعيهم كان انعكاسا لمنظومة اجتماعية ومجموعة من أساليب الحياة الجماعية وأوجد مجتمعًا من

189
الأفراد يتعارض مع مجتمع آخر. فقومية المسيحيين القدامى وقومية المسيحيين للجد من أصل مسلم هي التي تبرز إحداهما الأخرى داخل كل مسيحي قديم وموريسيكري(34).

يحطم المؤرخ الأرجنتيني صورة المجتمع الموريسيكري خالى من الزعامة. حيث يرى أنه كان يترأس جماعة من الأفراد بسيرهم في نهاية الأمر السادة من المسيحيين القدامى. من هذا الحدث نستنتج أمرين متناقضين: من ناحية لا نجد مقاومة منظمة ومن ناحية أخرى هناك "الحبوبية الموريسية البائعة على الدهشة" والتي استطاعت الاستمرار طوال ثلاثة قرون من التعاون مع العالم المسيحي. أما رؤوس الزعامة الموريسية فنجدها في التجمعات الزراعية والأماكن الريفية وداخل نطاق الإقطاعيات: داخل أراضي الإقطاع هناك مجتمع موريسيكري متميز طبقياً من خلال الدعم المتبادل بين الزعماء وسادة الأراضي. (35) كانت أوضاع من يعيشون في الأراضي الملكية مختلفة للغاية، فغياب السطوة والنفوذ وقلة أهمية الدور الذي يلعبونه فلل من شدة التضامن الإسلامي.

بقاء الديانة الإسلامية بين المسيحيين الجدد "...كان قبولاً بأنه لابد من أن تتفاوض مع العقيدة الجديدة، ولو قليلاً، وعلى هذا فإن تراجع الإسلام لم يكن قط هزيمة حاسمة. ففي كل تنظيم تنشب حربا صامتة وعنيفة بينهما، وما إن تتشكل تلك القلعة حتى يبدو النصر زائفًا: حيث ينتقل الموريسيكري برفدهم الديني إلى ساحة أخرى. وهكذا بدأوا يتكلمون شيئاً فشيئاً عن بعض عاداتهم الدينية الإسلامية. بمرور تسعين عامًا لم يتضاعل وعيهم بكونهم مسلمين، إلا أن المضمون الدينى والثقافي لإسلامهم قد تناقص بدرجة كبيرة. (36) للموريسيكري شخصية مزدوجة مدنية ودينية. تعود إمكانية حفاظه على دينته إلى ...". سبب انتصار هذه العداوة أخيراً هي مشاركة الزعماء الحقيقيين للأمة المسيحية الجديدة في ذلك: ألا وهم السادة المسيحيين القدامى. حيث أسهموا بِثَلَّمِ كله في الحفاظ على العقيدة القديمة. كان
يهمهم ألا يتوقف الصراع بين المسيحيين والكرنثيين، فهم طوال استمراره يحكمون قبضتهم على المسيحيين الجدد الذين يحتاجون حماية أسيادهم أكثر من أي وقت مضى (57).

تعتبر غرناطة بداية النهاية للموريسكيين. من الصحيح أن الأمور في فلانسيا لم تشهد الوضع في غرناطة: "...كانت حرب غرناطة بمثابة النقطة الحاسمة في علاقة المسيحيين القدماء والجدد في فلانسيا. حيث أعقبتها شرخ في التوازن بينهم، أضحى موقف الموريسكيين أكثر صعوبة. أصبح المسيحيون القدماء يخشونهم أكثر من ذي قبل، لذا فقد اضطهدوه خوفاً منهم (58). لم يكن الهدف من التصيز إقناع الأرواح فحسب بل كانت هناك أيضاً رغبة في إذلال الخصم. تأثرت أجزاء فلانسيا في النصف الثاني من القرن السادس عشر ولم يعد هناك تضامن، هذا وفاب من وضع محكمة التقشف في المقام الأول ضمن عوامل تفكك البنية الموريسكية (59).”

استقبل المسيحيون القدامى مسألة الطرد بالسرور، حيث ظنوا أنه بغيات الموريسكي سيستهنوهم هم حرفاً جديدة وستستنزف رقعة الأراضي في أيدي الفلاحين وتزداد قيمة المكوس التي يتقاضاها السادة. إلا أن أحلامهم تحطمها على أرض الواقع، فأفسس السادة الذين كانوا يعتمدون على الموريسكيين وضفر الفلاحون لمغادرة أراضيهم. كما أدى نقص الأيدي العاملة المدربة إلى نقص معدل إنتاج الهكتار للأراضي الزراعية. كان فقدان إيراد الأراضي والفلاسكسكا هما الحقيقة التي سادت الفترة التي تلت 1609. تسبب غياب الأقلية أن فقدت كل العناصر الاجتماعية شيئاً ما مع رحيلهم. احتفظ السادة في فلانسيا بخططهم رغم الدمار الذي لحق ببعضهم. كانت محاكم التقشف ورجال الكنيسة أقل من عائلي آثار هذا النفي، وسرعان ما عوضت الدولة الكنيسة عن خسائرها. بيد أنه ما من شك في أن عقب الطرد قد وقع على كاهل المشتغلين بالرهن العقاري (58). ترتبت على
فقدن ۳۷,۴۱١ بالمائة من سكان مملكة فانلسيا عواقب أكبر من تلك التي سردها التأريخ التقليدي.

يري هالبرين - دونغتي أن حياة ومأساة موريسكي فانلسيا "... هي في الحقيقة أكثر تعقيدًا: فهي تتخلل من منظور ديني وفي نفس الوقت سياسي إلى آخر أيضًا ديني وربة. كان على المنظمة الموريسكية التقدم في مناخ مختلف تماما عما عاشت عليه، حيث ظهرت وسط أمال مملكة عالمية تود تجديد نفسها ومجدها في شخص المسيح، وفي الوقت نفسه هداية الأرض الملبدة بالملحين، وذلك من خلال العقيدة المسيحية التي هي في أساس الحاجة لتعليم مصادرها... وانتقل الموريسكيون من كونهم فئة تضمنها سلسلة إمبراطورية شاسعة الأرجاء - وتمتاز في الوقت نفسه بالتساهل وهي تمثل وحدة كبيرة تبغي كل الاختلافات - إلى فئة حبيبة وسط قوى معادية جعلها شعورها بالخطر لا تقبل أي تعددية أو خلاف في الرأي"(۳۴).

۳-۴-۱۰۰۵: هنرى لابير

أول عمل كبير حول المواطن الموريسكي هو كتاب هنرى لابير "جغرافية إسبانيا الموريسكية" Geographie de l'Espagne Morisque. وقد أكملت فيها بعد بعض قوائم أعداد السكان المعروضة في هذا العمل على يد مؤرخين وديموغرافيين آخرين. تميزت دراسات كل من خوان ريغلا J. Reglá ورويليس R. Robles حول مملكة أراغون، بالنسبة لمملكة فانلسيا فقد برز بفنشت A. Domínguez Ortiz وهو فلمني A. Gallego و F. Luis Martín و A. Gamir Sandoval وضع الآخرين. و لأ غابوريس مارتين و Le Flem و A. Gamir Sandoval و A. Gamir Sandoval.
فيما يتعلق بتحليل سكان فانيسيا من الموريسيكيين والعواقب التي نجمت عن طردهم نجد يستخدم إحصائيات أعوام 1970 و 1976 و 1984، مقارنة إياها مع مصادر سكانية أخرى سابقة ولاحقّة. يستخدم مؤشر 4.0 لتحويل عدد الأسر إلى عدد أفراد مقيم. يعتقد لاير أن موريسيكي ليباني والمغربي كانوا مستقرن بصفة أساسية في الأماكن الإقليمية. كان من يعيشون في الأراضي الملكية وأملاك الكنيسة عدد قليل وقد تركزوا في بعض مقاطعات الرى مثل خابيزة/شاطبة وغانديا. وهذا هو رأيه في هذا التوزيع السكاني:

يدفعنا التقييم الفريد للسكان المسيحيين والموارسيكيين لتفكر في الجزائر الحالية والتي تقدم نفس المتقاتلات مع اختلاف يكمن في عدم وجود أي من مقارنة بين النسب. كما هو الحال في الجزائر، يرجع تفسير امتراج حضارتين مختلفتين إلى الاحتلال. (18)


رحّب بارونات وسادة فانيسيا بالزيادة السكانية الموريسيكية، وكان غيابها أحد أسباب إفلاسهم. (19) سيطرت المواطنين على النحو التالي:

أرسل 1500 موريسي إلى السجن ومات 5500 وهرب 2000. هكذا ارتفع إجمالى المواطنين المطرودين إلى 1242 شخصًا. (20)

يجب أن نضيف إلى هذا الرقم من هلكا في أثناء الثورات الأخيرة ومجموعة المسيحيين الجدد ممن سبقون في شبه الجزيرة، ويسعد للغاية تحديد عددهم.
لم يكن توزيع الآثار الاقتصادية لهذه الخسارة متوازياً في جميع أرجاء المملكة. فالحالة التي شهدتها كاستيون ومنطقة لاويرتا لم تتمد إلى مناطق أخرى. إجمالاً عانت القرى التي سكنها المسيحيون القديمي من آثار الطرد أقل من الريف، وكان تأثر الصناعة والتجارة أقل من الزراعة.

لابير يوقِع على الأرقام التي فرضها ريجلما فيما يتعلق بموريسكيي أراغون (٧٦٠٠٠٠٠) والموريسكيين القطاليين (٢٠٠٠٠٠) وهو ما كان يمثل عشرين بالمائة من سكان هذه الأراضي. تميزت الأقلية على ضفاف نهر الإبرو وأودية روافده وكذلك أنهار كيليس وخالون وويريا وأغواس ومارفين وغودالوبي ومانتارانيا، وفي أودية خيلوكا وألبنتين. كان ريجلاً (٧٦٠٠) قد خفض عدد المورسكيين الكاثوليك من ٥٠٠٠٠ إلى ٥٠٠٠. لابير يرأي في هذه الفكرة ويوضعهم على اثنتي عشرة منطقة إلى جانب الإبرو في تاغونا وميرابت.

نشأت المشكلة المورسикية في قشتالة والأندلس "... نتيجة لسياسة التشدد الدينى الجديدة التي تبناها الملوك الكاثوليك(٧٦٠). وقد تميز المسلمون القديمي من المجنين بما يلي:

مال القطاليون دائماً للابتعاد عن المسلمين بينما اكتفى سكان مملكة أراغون بقهرهم ... الميزة الثانية للمواطنين المجنين هي سكنهم المدن أكثر من الريف(٧٦٠). على النقيض من ذلك نجد الغنانيين جماعة متباينة ومتجانسة. فيما يتعلق ببقية إندولاوي فقد قالت أعداد المورسكيين في قداس وأويليا وكثرة في قرطبة وخاين. في إسبانيا كانوا يمثلون عشرة بالمائة من ٨٠٠٠ نسمة كانوا يقطنون العاصمة الأندلسية في القرن السادس عشر.

العدد الإجمالي للمبعدين هو:
Falansa
Catalonia
Aragon
Céstitale, LamanSha, Akstrimadura
Morisya
Andolsiya
Grunata

---

الإجمالي

272140

لم تفلح محاولات دوق الإمارة لإبقاء عدد أكبر من الموريخكيين. وقد تحققت هذه الرغبة بطريقة غير مباشرة، حيث ظل عدد كبير من الموريخكيين الأندلسيين في أراضيهم نظرا لثيقة براءة شرف النسب التي منحها إليها أئمة أئمة بقائهم في إسبانيا. برئ لأبير إين 1000 من أفراد الأقلية سيديوس الآمال التي كانت تزارد كونت سالازار وكانت تزارد كونت سالازار وبعض أعدائه. إلا أن معرفة el conde de Salazar عددهم بالضبط كان أصعب الأشياء في الأمر برمته.

كانت العواقب الاقتصادية للطرد من وجه نظر لأبير هي:

كان للتدهور الشديد الذي شهدته القرى القشتالية في القرن السابع عشر أسباب أخرى. فالطرد بالنسبة لقاطلونيا كان مجرد وخزة دوس، بينما أن الأمر لم يكن كذلك في أراغون، حيث دمرت منطقة ساحاتها أربعين كيلو مترًا جنوبي الإيرو. كانت مملكة فالنسيا أشد المناطق تضررا، إلا أن توزيع الضرر لم يكن...
متساوية داخل نطاقها. إذا تبيننا وجهة نظر إسكونانو Escolano التي تفيد بتحولها إلى ما يشبه الصحراوية فسيكون هذا على سبيل الاستعارة. لكن يمكننا الإقرار أنه بداية من نهر ميخاريس شكلت الحقول ما يشبه واحات في بعضها البعض روابط وجبال شبه مهجورة. وقد رأى البعض مؤخرا أن الضرر الشديد الذي حصل في شرق شبه الجزيرة قد أسهم في تعزيز سيادة قشتالة.

هذا وقد تحكم دوق ليبرما بنفسه في هذه العملية شديدة القسوة، وذلك بحزم وتصميم فائقين كما عهدنا منه

ينهى لإبر عمله بطرح هذا التأمل المثير للإهتمام:

إذا أمعننا النظر مليا فيما عرض علينا عن الإمبراطورية الإسبانية في أثناء حكم فيليب الثالث، لن يبدو لنا طرد الموريسكيين من هذه الوجهة عملا تقدم علينا دولة تعاني من الانهيار.

1-3: جوهرة نادال

La población يوضح لنا جوهرة نادال في كتابه عن "الشعب الإسباني" بالأرقام التي طرحها علينا الباحث في اللغة والحضارة الإسبانية، كما بالإسبانية española يتدبى أيضا شؤون القضية الموريسكية. يرى الكاتب أن الدوافع التي أدت إلى اضطهاد الأقلية هي: "... على أحد الجوانب كانت الأقلية المسلمة ثابتة أيدولوجيا/فكرة وكان حلها أوقات من الأغلبية المسيحية في تفاوت الصعوبات الاقتصادية المتزايدة، وعلى جانب آخر فضل الرعايا المسلمون - الأكثر وداعة من خصومهم - النظام الإقطاعي الأرستقراطي. أثار اجتهاد الموريسكيين وقمعهم الأحادق في شعب يعاني من انتقاص واضح لقيمة العمل (سوف نتذكى الرواتب الملكية في فالينسيا) وما ترتب على ذلك من انتشار الفقر، كما أدى امتشال
الموريسكيين لسادتهم إلى إشعال غضب الإدارة التي لا تكف عن محاولاتها للتقليل من نفوذ النبلاء(47). يعتقد نادال أن الموريسكي كان محكوما عليه أن يكون كمبدأ للنقداء.

كان نفى 2000 موريسكي غزِنائي إلى فالنسيا، وهو ما طرحه لابيري ووافق عليه روبين مارتين، ضرورة شديدة للمملكة الناصرية القديمة/غراطة التي "... لم تتمكن سوى من إحياء 270 بلدة من الأربعمئة التي هجرها الموريسكيون. وهكذا فإن مملكة غراطة التي كان يفترض أن يبلغ تعدادها 275000 نسمة - ما بين مسيحيين قدامى وموريسكيين - مع قيام الثورة في عام 1568، وصلت إلى 19000 نسمة في عام 1587(48).

يجب أن نضيف إلى هذا أن القاطنين الجدد لم يفطنوا إلى أن شراء هذه الأراضي لا يرجع إلى الزراعة وإنما لإنتاج الحمر.

نجم عن الطرد خسائر في أراغون وفالنسيا أكثر فداحة منها في استعامتية، بيد أن الأرقام "... لم ترق إلى مرتبة وباء كاسح أو إلى نتيجة عشرين عاما من الهجرة لبلاد ما وراء البحار. إنه قد ضئيل بالنسبة لعمليّة دامت قرنًا من الانخفاض في عدد السكان(49). خلف نفي الأقلية آثاره على مجتمع "استيطاني تقليدي" قائم على تسخير من هزمو قديما في أثناء الغزو(50).

7-3: هاميلتون

قبل أن نكمل رؤيتنا للقضية الموريسكية من خلال التاريخ، لابد من أن نتوقف عند المؤرخين الذين يعتقدون أن الطرد لم يتسبب في أي آثار اقتصادية سلبية. أفضل مثيل لهذا الاتجاه هما هاميلتون(51) وسلاير(52) حيث يرفض أولهما، معتمدا على استقرار الأسعار في الأعوام اللاحقة لسنة
1909، أن يكون طرد الموريسكيين هو أحد العوامل المسببة للانهيار الاقتصادي لشبه الجزيرة: "كان هناك اتجاه غريب للخطر بين فقدان النفوذ السياسي لإسبانيا وركودها الاقتصادي، وهمها ظاهرة مرتبطة ببعضهما ولكنها ليسا متطابقتين بالضرورة". ظل سعر المحاصيل التي كان يزرعها الموريسكيون ثابتا حتى عام 1550. في العقد الذي تلي الطرد مما يدل على أن فقد الأيدي العاملة الموريسكية، التي كانت غالبة آنذاك عن حقول فالنسيا التي مونت جزءا كبيرا من السوق الإسبانية، لم يتسبب في تدمير الزراعة. هذا الرأى يمكن أن نضيف إليه الكثير. في المقام الأول لم يكن الموريسكيين مستقلين وحدمة عن تموين الأسواق، ولم يكن حجم مشاركتهم على هذا القدر من الأهمية. أما بعد ارتفاع الأسعار فيرجع إلى عامين: أن قلة طلب كانت حقيقة واقعة، وأن حصاد الأعوام من 1609 إلى 1611 كان أفضل ما شهدتهتاريخنا الزراعي.

ظهرت الظروف الملائمة لتنفيذ النفي مع "نهاية الحرب على إنجلترا وعدد هدنة الاثنين عشر عاما مع هولندا والتي وضعته النهاية للنفوذ الإسباني. في ذلك البلد، مكنت فيليب الثالث مع بداية عام 1609 من الوسائل العسكرية والبحرية والمالية اللازمة للقيام بمسألة الطرد. وفقا لأراء الاستاذ الأمريكي كان لابد من ارتفاع معدل أسعار أكثر من نصف المحاصيل لنقول بأن النفي كان كارثة على الاقتصاد. يأتي هاميلتون بلائحة قصيرة للغاية تضم كمية محدودة جدا من المنتجات، وهو ما أدى إلى الحد من الحقيقة على نحو كبير. يزدري هاميلتون الإمكانات الثقافية والحرفية للموريسكيين ويرى أن "إسبانيا قد ربحت ماديا من الوحدة الدينية والاستقرار السياسي اللذين حلبا بطرد الموريسكيين. أدى الطرد إلى الانتهاء تماما من سوء معاملة بعض الأشخاص المسيحيين للموريسكيين وعمليات الخطف والاعتداء والاغتيال التي مارستها الموريسكيون وأضدت دون شك بالفعالية الاقتصادية. لو لم يتم نفي الموريسكيين
كان يمكن أن تعاني إسبانيا من قرون طويلة من العنف، تفوق ما تشهده اليوم أيرلندا ولبنان، لأن الاختلافات في هذه البلدان دينية فحسب، أما في إسبانيا فهي دينية وعرقية\(^{88}\). بعد قراءة هذه الفقرة أضحى لدينا انطباع بأن الأستاذ الأمريكي قد رسم أفكاره عبر السنين.

5-3: خوان ريغلا

كان خوان ريغلا واحداً من أفضل الذين انتقدوا آراء هاميلتون الخاصة بالعواقب الاقتصادية لطرد الموريسبكيين. حيث ترك المؤرخ الراحل نفسه عرضة لتأثير الماداة التاريخية المتواضعة لمدرسة أناليسيس، والتي جاء بها معلمه بييتشيس نيبيس مع عودته من المؤتمر التاسع للتاريخ في باريس. كانت تعد بالنسبة له أفضل ممثل للتاريخ الكمي في إسبانيا\(^{89}\). إلا أن قيمتهما الكبرى في التاريخ الموريسبكي هي إنشاء مدرسة متخصصة في دراسة الأقلية في فلانيسيا.

إن طرد الموريسبكيين "... هو النتيجة المباشرة لاستبدال سياسة فيليبي الثاني الاستيعابية بالتعليمات الاقتصادية لدوق ليبريا، الذي استخدم "ضغط" الباروك لعميق التنافر بين الدولة والأقلية المشتقة. كان هناك أمثلة مشابهة لطرد الموريسبكيين - رغم تفرد هذه الظاهرة - داخل إطار العام الأوروبي، كموقف الدولة الفرنسية تجاه الأقلية البروتستانتية وسلوك إنجلترا مع الكاثوليك الأيرلنديين. في كل هذه الأمثلة تحولت السلطة لاستخدام الشدة والجزم وعدم قبول وجود منشقين في نطاق سلطاتها\(^{90}\)؛ لذا فقد كان هذا الأمر إحدى خصائص عصر التقلبات الذي بدأ في أوائل القرن السابع عشر. يكاد اهتمام ريغلا يقتصر على المسيحيين الجدد في أرغون، فضيـع هذا الفريق من السكان، وهم من المزارعين أو رعايا السادة أصحاب الضياع الشاسعة.
في مواجهة الاقتتالين الأقل من حيث التمركز الجغرافي والأكثر من حيث التمتع بحرية الحركة، يصعب للغاية استيعاب هذا الجزء المتمم للمجتمع الأرغوني نظراً للتفاعلات القائم بينهم وبين الأتراك والبربر والدساس في حاكم أطلونيو بيريث المستمرة لحث الأقلية Enrique IV ومحاولات إرنيكي الرابع Antonio Pérez للثورة على فليلي الثاني.({10}) بدأت المصالح وجماعات الضغط تأخذ جانب الموريسكيين، إضافة إلى سخط أهالي أرغون للإهانة التي تعرض لها كبريانهم. كانت حصيلة هذا الوضع هي زيادة التوتر في عهد الملك الحكم والذي استمر في أثناء حكم فليلي الثالث.

يرتكز النقد الموجه لهاميلتون على عدم اعتقاد رغلا أن عددا من قوائم الأسعار كاف لتوسيع الموقف: فالنسيا وأرغون... تحديدا تمز زراعة الأراضي التي جديت ولم تعد منتجة بعد مدة طويلة بعض الشيء وتوقف نزيف الجرح، والآن فيما يتعلق بانتفاضات هاميلتون المنفاذة... فلا يمكن أن نفسر على أنها لا تعبير عن قضية اهتماما. فقد تعرضت فالنسيا وأرغون لأزمة عميقة ومستدامة كأن لانعكاساتها المنطقة أثر ملحوظ على إجمالي الاقتصاد الإسباني عند خوض إسبانيا لتجربة الحرب القاسية وتحديدا منذ عام 1635.({11}) لو كانت إعادة الإعمار قد نفتذت بصورة أسرع ربما أمكن تخفيف هذه الآثار، إلا أن الأمور لم تسر على هذا النحو. فقد تأخر السكان الجدد كثيراً في المجيء ولم يشغلا سوى أفضل الأراضي. وهكذا تحول طرد الأقلية إلى واحد من أسباب تدهور أرغون والنسيا في منظومة الإمبراطورية الإسبانية في القرن السابع عشر.

قامت سكان المملكة ممن هجروا أملائهم القديمة بزراعة الأراضي المجيدة و"كما رأينا من قبل فإن سياسة المملكة، نظرا للطرد، اتجهت لتفضيل النبلاء ذوي القيمة الشاسعة مما أضر بالدائنين المشتغلين بالرهن العقاري"({11}).

({10}) هناك حديث كثير عن رغبة ملك فرنسا في إحداث تمزد موريسكي ضد ملك إسبانيا. (المراجع)

200
يرى ريغلا أن الموريسكيين لم يكونوا طبقة اجتماعية محددة مفرقاً بين:

"... أقلية أستراقتقية وبرجوازية ثرية وحرفيين نشطين والغامية من الفلاحين والصناع الصبورين". وقد تخصصت هذه الفئة الأخيرة في زراعة محاصيل الحقول والأرز والحليب وقصب السكر في غرناطة وعملوا كغالان في قشتالة.

يمكن أن نجد موجزاً مختصرًا لفكر هذا المؤلف حول الموريسكيين في هذا الاستشهاد: "وهكذا كما تولت على انتصار أستراقتقية أصحاب الصراع الشامسة، الحليفة الوثيقة للعرش، انتصار الريف على المدينة في حرب المقاومة. فإن طرد الموريسكيين بعد ذلك بقرن من الزمان شكل الوجه الآخر للعملة: تفوق المدينة على الريف، منطقيا ونظرا لتوزيع السكان، كانت العواقب الاقتصادية لطرد موريسكي فالنسيا أشد وقعا وأطول أمدا في الداخل، وخاصة في المقاطعات الجنوبية للمملكة.

إذا وضعنا في اعتبارنا أن الموريسكيين المنفيين ببداية القرن 1609 كانوا بصفة أساسية من الفلاحين ورعايا الأستراقتقيين من أصحاب الصراع، فإنه من المنطقي أن تكون الزراعة هي النشاط الاقتصادي الذي تعرض للقدر الأكبر من العواقب التي ترتب على هذه الوسيلة... حيث نتجت أزمة قصب السكر منذ بدايات القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر وقد... سمح التوسع الكبير في حقول الريان للاقتصاد فالنسيا المحاصر اللحاق بالركب... انتشرت امتلاك الأغنياء للمزارع الشاسعة نظراً للضائقة المالية آنذاك التي أجبرت صغار الملك على ترك أراضيهم، كما أن إعادة الإعمار دون عدد كافٍ من المستوطنين الجدد يفسر... انتقال الأمور من المرحلة A إلى المرحلة ب... فقدت فالنسيا آنذاك الزعامة في مملكة أراغون والتي مارستها منذ منتصف القرن الخامس عشر نظرا للدمار الذي لحق بقطالونيا إثر حرب خوان الثاني والد لجوان الثاني لحق بقطالونيا إثر حرب خوان الثاني والد لجوان الثاني

Juan II

201
النقد الوحيد الذي يمكن توجيهه لأفكار ريغلا سيبه هذه الفقرة: "التباهور الاقتصادي الذي لحق بعناصر البرجوازية - لنذكر إفلاس بنوك فانلسيا إضافة لمسألة الرهن العقاري - كان لابد من أن يتعذر على قوة البلاد. (16) نحن لا نعتقد أنه يمكن الحديث عن برجوازية أضر بها الطرد. كان الرهن العقاري الاحتكاري طريقة آمنة للاستثمار ولذلك اجتذب رعوس الأموال الصغيرة. كانت أزمة أنشطة الاقتصاد والمناجم والتجارة قد بدأت قبل عام 1929 بكثير.

استكمل أقرب التلاميذ، باتابير A. Bataller و. توريس موريزا R. Torres Moreira الدراسات التي بدأها ريغلا. لابد من أن نذكر ضمن هذه الشخصيات ريكاردو غارثيا كارثيل (17) وإخوينيو تيسكار باباريس (18) Císcar Pallerés. إذا كان صحيحا أن هذين المؤرخين الآخرين لسا تلاميذ مباشرين للباحث القطالي/ريغلا، فإنه ليس بينهما من ينكر فضل الأستاذ الراحل وتأثيره الكبير.

كان الموريسي مسلا يسكن في عالم مسيحي ينتمي إلى عصر النهضة وحركة الإصلاح المسيحي. لهذا السبب نجد الإسلام في إسبانيا في القرن السادس عشر يشوه بعض المسيحية بخلاف إسلام شمال إفريقيا. (9) المدرسة المستعمرة الإسبانية التي ضمت في القرن الماضي شخصيات بارزة مثل ب. غابانيغوس وميغيل أسين بالاثيوس P. Gayangos لونغاس لم تسقط الأقلية ضمن القضايا التي درستها. وقد أكملت مرثيديس غارثيا وأخرون من المؤرخين الشباب الطريق الذي Mercedes García Arenal أرينال مهده رجال القرن التاسع عشر.

(9) ذكرت بعض جوانب الأثر الميسيحي على إسلام الموريسيين. انظر د. جمال عبد الرحمن تقافية. موريسيكي. قراءة المخطوطة رقم 954 بكمبالة إسبانيا الوطنية. المؤتمر الحادي عشر للدراسات الموريسية، تونس، 2003.

202
كان التاريخ السياسي للمشكلة الموريسكية، على الرغم من أنه غير معروف بأكمله، أكثر القضايا التي تمت دراستها. على العكس من ذلك ظلت طريقة الحياة أو الاختلافات بين العقيدة التي يمارسها المسيحيون الجدد وديانة المسلمين على الضفة الأخرى للبحر، أو التوتر الذي ساد بين المجتمعين المتظلين (المسيحيين الجدد والقدامى)، دون معالجة. بدأت معالجة هذا الخلل حديثا في دراسات غريثـأريبال (101) ول. كارداباك وآخرين. قام آخر هؤلاء الكتاب بنشر عمله موريسكيون Moriscos y Cristianos. Un

وضم المثير تعريف: "صراع جدلي (1492-1640)" رغم ظهوره حديثا فإنه أضحى enfrentamemiento polémico (1492-1640) أحد كلاسكيات التاريخ الموريسي. لم يخطئ ف. براوسي عندما سأوى بين هذا العمل و"إيراسموس وإسبانيا" لمارسيل باتاليون. لا يمكننا التغاضى عن المقدمة الرائعة التي كتبها باحث اللغة والحضارة الإسبانية المذهك لهذا العمل الرائع. إن التاريخ العميق لإسبانيا يصعب فك رموزه تماما كمياهمـا العميقة، فهو تاريخ المصير المشترك لدياناته المتقاتلة: المسيحية التي استعادت مكانتها بكل بريقها وأبهتها ولكنها مليئة بالتعقيد، واليهودية العنيفة والمعقدة أيضا، وأخيرة الإسلامية وهي الأصعب من حيث الاستيعاب وإن كانت مليئة بالحيوية. من الصعب للغاية إداركا لأن الغزو قد ألقى بها لقاء مجتمع ظالم في إسبانيا كغيره في باقي أوروبا. ولسبب بسيط هو أن هذه العقيدة عندما تخرج من الظلال، فهي كغيرها من الديانات تجسد عالما وفي نفس الوقت طريقة للحياة والتفكير والتوقع: فهو الأساس وكل ما نطلق عليه كلمة "الحضارة" أو هو على الأقل أحد مظاهرها.

(*) ليس هناك اختلاف في العقيدة بين مسلمي إسبانيا ومسلمي شمال إفريقيا. إما هي اختلافات تكمن في قول مسلمي إسبانيا لتآثرات مسيحية لا تعارض مع الإسلام. نظر مثلًا موضوع علمية السيدة مريم بعد أن وضعت سيدنا عيسى، في دراستنا المذكورة، أعمال المؤتمر الجادى عشر للدراسات الموريسكية... (المراجع)
باختصار فإن خليط من الأشياء الجيدة والعقائد والعادات تحمل جميعها ختم تقاليد عميقة. هكذا فلا أحد يستغرب أن يعود الجدل بين المسيحيين والمسلمين في إسبانيا إلى ما قبل فتح غرناطة بسنين طويلة، وأنه يرجع إلى عهد الأزمة الأوروبية الكبرى، وألا يضع طرد الموريسكيين له نهاية.({101})

تم التعبير عن التعارض بين المجتمعين من خلال الكتابات الجدلية المعادية للمسيحية في الأدب الأ alm خنيدو) والتي يمكن الحصول على دلائل كثيرة عليها في دعاوى محاكم التفتيش أو أعمال معاصرها. هذا هو تلميح لمؤلف ل. كارداشك لنفس القناع، نرى من الآن أن هذا التوتر الجدلي الذي يرجع لنفس مسألة التفتيش بين المجتمعين ليس تراكب للمفكرين والمشغلين بالكتابة ولكن يظهر في أقل ردة فعل يقوم بها الشعب.({102}) وهو يصل لهذه النتيجة بعد دراسة دعاوى محكمة التفتيش. مع مرور سنين القرن السادس عشر ليصل إلى أوجه في الأعوام السابقة لحرب غرناطة والطرد. أدت الهزيمة ونفى مسلمي غرناطة إلى قشتالة إلى "أن يضحي هؤلاء الأشخاص الذين فقدوا جذورهم منبوذين داخل الأقلية الموريسكية. إذا كان المسلمون القدامى المدجنين متداخلين في نسيج السكان، فهؤلاء على العكس من ذلك سيظلون دائما عرضا لاضطهاد المسيحيين. وقد احتفظوا بطابعهم الإسلامي إلى حد كبير، كانوا يتكلمون العربية على وجه الخصوص ولم يحسنوا الحديث بالإسبانية التي كانت بالنسبة لهم لغة غريبة يمكن تحدثها بالعربية من حيث اشتقاق ألفاظ اللغة الأجنبية."({103}) هذا التأكيد يكمله ما طرحته مرثيدس غارتيه أرينال والتي تعتقد أن المشكلة الموريسكية في قشتالة هي مشكلة الغزاة.

استمرت ممارسة الشعائر الإسلامية سرا حتى وقت الطرد. فالموريسكي يعمه أن يعارض المسيحي حتى لو استخدم لهذا الغرض أي مفاهيم أو أشكال مأخوذة عن الخصم. حاولت السلطة استبعاد الأقلية داخل المجتمع المسيحي ونجلت في هذا خارجيا إلا أن قلب الأقلية لم يستشعر المسيحية، حيث اجتهد
المورسيكي لحفظ أسماء المسلمين والزوجات بين أصحاب النسب المشترك، ولكن "... الرغبة في الاستبعاد كان لها حدودها دائما ما سيئ معتبر للمورسيكيين شعبا غربيا، فهم لا يملكون "نقاء دم" المسيحين القدامى." (٢٠٠) ببٌزم كلا المجتمعين أنهما من سلالة إبراهيم، فالصليبيون "... يقولون إنّ نسبهم يعود لفرع نبيل من سلالة إسحاق المباشرة، أما الآخرون فهم من نسل إسماعيل ويرجع نسبهم إلى سلالة وضيعة." (٢٠٠) تنصف كلتا الديانتين المتضارعتين برغباتهما الشمولية، لذا تكون ردود الأفعال أكثر عنفا: "يشغل المسيحيين والمورسيكيين واليهود والبروتستانت أمر مشترك: الخلاص في الحياة الأخرى. ولا يختلفون سوى في طريقة الحصول على هذه الجائزة الكبرى، وهذا هو السبب الرئيسي لتعارضهم، فكل منهم مقتنع أن عقيدته وحدها هي التي تؤمن له الخلاص." (٢٠٠)

يقوم كاردياك بدراسة لـ "الكتان" (٢٠٠) يؤكد من خلالها "... أنه يمكن للمورسيكيين الاستمرار في ممارسة شعائر الإسلام سرا، وتتنفيذ تعاليم الكنيسة الكاثوليكية على أنها مجرد التزام اجتماعي." (٢٠٠) تعتب الأقلية على محاكم التفتيش وحشيتها ورغبتهما في هلاكها الأبدى (إجلازها أياها على الحلف على ترك ديانتها)، فيما يتعلق بمسألة بخلها "فإن هؤلاء ليس من السهل إدراك أن محاكم التفتيش قد انتهت إلى العيش إلى حد كبير على نفقة المورسيكيين، إلا أن الخزانة الملكية كانت هي التي تمثل بالأموال على وجه الخصوص: لم تكن محاكم التفتيش سوى آلية وسيلة، تقوم - إضافة إلى محافظتها على صحة العقيدة - بتزويج العروض بدخل كبير، وهو ما يفسر أيضا ترد المحكمة لوقت طويل في اتخاذ قرار طرد المورسيكيين." (٢٠٠)

أمم الدين في القرن السادس عشر حدثا اجتماعيا وسياسيا. قامت محاكم

(٢٠٠) يرى بعض اليهود أن إسماعيل بن إبراهيم أقل حسبا من أخيه إسحاق، نظرا لأن السيدة هاجر كانت

أمة. (المراجع)
التقييد بمهمة تنويع المؤلفات الجدلية والمخطوطات الإسبانية المكتوبة بالعربية. تكراراً، لا تكون ممكنة سوى في مظهرها الحسدي. صورة المسيح، التي تحتل مرتبة ثانوية في القرآن، هي واحدة من ركائز الجدل المورسيكي ضد المسيحية. يرى كارداواك أن الأقلية تبتدأ عن الشروح الإسلامية للهجوم على العقيدة المسيحية. كان الانتماء للمجتمع المورسيكي بالنسبة للكثيرين هو في الأساس الوعي بتشكيل جزء من الجماعة للأقلية المعاصرة، أما الاهتمامات العقائدية فهي أمور هامشية. "بلا من أن يبحث المجتمع عن نقاط الاتفاق أمعنا في الإبتعاد أكثر فأكثر، "الجدل يتجاهل الحوار".

التالوث يعني الشرك ويساع هو مجرد رسول معلن لدى محمد. على الرغم من النقاط التي تفرق بين الدينتين فقد كان من الممكن أن يحدث الاستيعاب، بيد أن السبب العميق وراء عدم التفاهم المشترك هما يعتمد على علاقة القوة القائمة بين المجتمعين، ويقول أن هذا الجدل يمثل هذا الوعد ويفوق حدود عمل يتناول هذا الجدل: يمكن القول بأن هذا ليس فقط سوى بادرة، وخاصة عندما يتم التعبير عنها من كلا الطرفين، فقد اتخذ كل فريق
وضعه وبدأت اللعبة، لم يعد الأمر سوى معركة بين مؤخرين للجيش وليس صراعا روحانيا حراً (113).

تعت المحدودية الجغرافية لأفكار ل. كاردياك أكبر عيب دراسته. فـالعنوان والتقييم والمثلة المرضوية تعطى إيحاء بأنه يشير لشبه الجزيرة بأكملها. إذاً أمعنا النظر في مصدر المخطوطات الأدبية الموريسكية المكتوبة باللغة العربية وقضايا محاكم التفتين التي تم الرجوع إليها لاتضح لنا خطأ الرأى السابق. حيث كـان المعين الرئيسي للأدب الموريسكي المكتوب بالعربية (ألكاميادو) هي مملكة أرغون، والقضايا المداولة خاصة بمحكمة تفتين كونكا والوثائق المحكمة بأرشيف التاريخ الوطني. هذه الملاحظة لا تقلل بئانا من قيمة كتاب ل. كاردياك، حيث يوضح لنا بحث الحضارة الإسبانية واحدة من أكثر القضايا المشوقة، والمجهولة في نفس الوقت، في المشكلة الموريسكية.

10-3- إجاهات معاصرة

يصعب للغاية تلخيص سطور عديدة من الأبحاث التي تمت في عقود الستينيات والسبعينيات في صفحات قليلة. الموريسكي موجود في أية دراسة حول القرن السادس عشر الإسباني أو محاكم التفتين أو آداب العصر الذهبي. وفي هذا المنظر العام يعلم مؤلفون أو أطر جغرافية أو اتجاهات بعينها.

لعل أكثر التعبيرات الملموسة حول الاهتمام الذي أولاه التاريخ المعاصر للأقلية هو تحليل أدب الألكاميادو (لغة إسبانية معبر عنها بحروف عربية). وكانت مزودة في القرون الماضية نظرا لافتراض قلة جودتها، كان تعاكس لمستوى الأقلية الثقافية المتذبذبة. هذا الحكم خاطئ وظام إلى حد كبير. قيمة هذا التعبير الثقافي لا تعتمد على الجودة الأدبية أو المظهر اللغوي فحسب بل نقله بطريقة تفكير...
وبعض عناصر الجدل الإسباني - المسلم. قام غاليميس دي فونتينيس de Fuentes Guillén

 هذا الاهتمام ليس سوى كتملة للعمل الذي بدأه غييرين روبليس Saavedra.

 وم. إسباداس بورغوس Rachel Arie

 تقدر الجدل الإسباني للمسيحيين الجديد، بينما تناول ل. غارثيا باسستير Burgos

 الطب الموريسكي وأهميته في العالم الإسلامي في القرنين L. García Ballester

 السادس عشر والسبعين عشر. من الأمثلة الرائعة لهذا الاتجاه أعمال سوليداد

 كاراسكو أورغويتي Soledad Carrasco Urgoiti

 ومؤلفات خوسى أليكلا - ثامورا José Alcalá-Zamora

 التي تعرض فكر كالديرون عن الأقلية (وقد ألقي عدد مختلف من المحاضرات حول هذا

 الموضوع في منتدى الحوار الذي عقد في مدريد عام 1981 في ذكرى مئوية

 كالديرون)، وشانتال كولونى Chantal Cologne، وشانتال كولونى Chantal Cologne

 كل من حرب غزوة وطرد الموريسكيين في آدابنا. هذا وفظ أ. غونثاليث

 R. Guivara وOliver A. González Palencia

 وفر. غيبارا باشان Bazán

 لقى موريسكيو فانيسا وأندولثيا قدرا أكبر من اهتمام المؤرخين. لا يمكن

 الحديث عن مدارس وإنما بؤر اهتمام. ففي أندولثيا حظى المسيحيون الجدد من

 أصل موريسكي والمقيمين في أراضي مملكة غزوة القديمة بأكبر عدد مـ
الدراسات. السبب في ذلك يرجع إلى ارتفاع عدد الموريسيكيين الذين عاشوا في المنطقة ولطبيعتهم الإسلامية إلى حد كبير، إضافة إلى التوتر والصراعات التي تسببت فيها. يتغير الموقف مع غزو الملك الكاثوليكي لفرنانطا. ماريانو غاسبار ميرينو يضعنا أمام بداية المشكلة الموريسية Mariano Gaspar Merino ومحتوى المعادلات التي أُبرِمت بسقوط عاصمة مملكة بني نصر. أما خوان مارتينيث رويث واثنين اللغوية التي أورثونا إياها، اهتم عدد كبير من المؤرخين بسلاسة شورة أهلية البشرات والخصائص التي تميزت بها الحرب (ك. غاراد وإيريرا أغيلا وإيريرا وآخرون). فـ. أوريل سبيوكلوكي Herrera Aguilar وسيرفو كاسوكي Spivakosky كاتبيه تقييم آثار الصراع السكانية وأسلوب إعادة إعمار الجبال. F. Oriol Catena بتدوير برناود بثبتت في العديد من مقالاته ترحيل المنفيين الغزاة إلى قضتالية وأماكن توظيفهم فيها. حظي باقي موريسيكي أندوالسيا باهتمام أقل. نبرز ضمن من ور. بينيتيف وسانشيث Juan Aranda Doncel تولوا دراستهم خوان أراندا دونثيل اللذين قاما بدراسة الجماعات القرطبية والملكية على Sánchez-Blanco بلانكو والتولى.

على الرغم من ذلك فقد تركز غالبية الإنتاج التاريخي حول موريسيكي فالنسيا، متفوقين بذلك حتى على أهل أندوالسيا. لقد تكرر هذا الحدث منذ القرن السادس عشر إلا أنه أضحى واقعا في الوقت الحاضر. ربط ريكياردو غارثيا كارثيل وإوجينيو كاسكار باياريس بين حرب عناصر المقاومة وبداية إضفاء الراديكالية على صراع المسيحيين الجدد والقدامى في فالنسيا. ركز الجزء الأكبر من هذه المراجع على تحليل الطرد (1299-1411) والآثار التي خلفها (أديلا...Ana Labarta ونا لابارتا James Casey باتير وجيمس كايسى). عالج توريس موريترا إعادة إعمار المناطق التي تأثرت بهذا الحدث. الدليل على فاعلية الدراسات
التي أجريت على موريسيكي فالنسيا هي أن مجلة إستوديس التي تصدرها جامعة فالنسيا اعتادت المواطنة على ضم مقالات حول هذا الموضوع.

يدرس كارديانال مرور الموريسيكيين بلاندكوك وبروبينشا وලوено ت.Down Povenza وصولاً لمفاهيم الإجباري. وقد ظهر في العقود الأخيرة تيار يُروي قصة توطين المنفيين في شمال إفريقيا. لابد من وضع ميكيل إباثا على رأس هذا التيار. أدى ظهور هذا التيار الجديد إلى تجديد مسار التأريخ الموريسيكي. حتى عقد الخمسينيات من القرن الحالي كانت الدراسات الخاصة بالموريسيكيين تم على يد المؤرخين الإسباني والباحثين الأوروبيين والأمريكيين في الحضارة الإسبانية. منذ هذا التاريخ بدأ مؤرخو شمال إفريقيا في بيان عدد المسيحيين الجدد الذين وصلوا إلى تونس وإيضاح الإصلاحات الثقافية والتكنولوجية التي قاموا بها. لسوء الحظ فلنحن لا نملك سوى معلومات قليلة للغاية حول الموريسيكيين الذين استقروا في الجزائر أو المغرب أو تركيا أو مصر.

ركز خوان ريغلا دراساته على موريسيكي أراغون. وبوغاة هذا المؤلف فقدت هذه الجماعة واحدة من أفضل العارفين بها وشخصا كـ أن بإمكانه توجيه بعض تلاميذه نحو دراسة المسيحيين الجدد في تلك المنطقة. وقد بدأنا نتفقد ظهور أعمال حديثة عنهم. إلا أن أكثر الجماعات الموريسكية عرضة للنسان كانت ولا تزال القشتاليين.

موريسيكي سيغوبيا بالتحليل وقام م.أ. لاديرو كيسادا Le Flem بدراسة المدجنين في عهد إسباني الكاثوليكية، M. A. Ladero Quesada وماركوس مارين Marcos Marín بدراسة أهل باباولد. حاول كل من ثيـراك إستيبونا لوبياس وم. غارثيا أرنال وصف حياة المسيحيين الجدد القشتاليين من خلال دعاوى محكمة التفتيش.
توقف خوليو فيرنانديث نيفا عند دراسة Julio Fernández Nieva موريسيكي اكستريمادورا، وبوراس إين فيالي وبيارنس إين بيارنس Borras i Feliú وبيارنس إين بيارنس Biarnes i Biarnes عند موريسيكي قطالونيا.

وأخيرا يستحق أنطونيو دومينغيث أورتيث وبيرنارد بينسنت أن يذكر بشكل خاص. فالكتاب الذي اشتركا في إعداده والذي يتصدى لتجميع الأبحاث التي أجريت حول الموريسيكيين في القرن الماضي كان رائعا بمعنى الكلمة. حيث قارن أولهما مشاكل الموريسيكيين بمشاكل المنتصرين من اليهود، أما بينسنت فقد تحول من موقعه في لا كاسا دى بيلانكث بمدريد إلى واحد من أكبر خبراء الأقلية التي خصص لها جزءا كبيرا من أبحاثه.

211
الهوامش

Regló, J., Estudios sobre los moriscos, pág. 25.


Prólogo de F. Braudel a la obra de L. Cardillac, Cristianos y moriscos: un enfrentamiento polémico, pág. 9

يعتمد بيدرو لونغاس في دراسته على مخطوطات الأدب الأنداميادو Pedró Longás والتي عبر عليها إثر تحطم أحد المنازل في الموناسيد. وهي الوثائق التي سيرتها ريبيرا و主要有 بالاثيوس Ribera Manuscritos árabes y aljamiados en la Biblioteca de la Junta العربية في مكتبة المجلس، مادرید، 1912

Ibíd., pág. XXV

Ibíd., pág. LXIV.

Ibíd., pág. LXXII.

Ibíd., pág. LXXIII.

Ibíd., pág. LXXVII

أستخدمت في هذه الدراسة طبعة المكسيك لعام 1966 بالنسبة لعمل أميركو كاسترو Americo Castro، وطبعة بوينس أيرس عام 1962 من كتاب كلاوديو سانشيز Albornoz Claudio Sanchez Albornoz

Ibíd., pág. 198
Ibíd., pág.200-201

(12) Estando en la casa de la reina, se encontraron los libros en una caja de madera, que contenían una colección de libros antiguos y raros, incluyendo un manuscrito de Gómez de Mora, que fue donado por el rey a la Biblioteca Nacional de Madrid.

Ibíd., pág.202

(13) El rey Carlos V ordenó la creación de la Biblioteca Real de Madrid, que se convirtió en uno de los principales centros de investigación en Europa.

Ibíd., pág.204

(14) La Biblioteca Real se amplió con la adquisición de varios bibliotecarios extranjeros, como el bibliotecario francés Charles de La Motte.

Ibíd., pág.206

(15) Además, la Biblioteca Real se convirtió en un centro importante para la difusión de conocimientos, ya que ofrecía acceso a una amplia gama de libros y manuscritos.

Acorde, A., España en su Historia. Cristianos, moros y judíos, Buenos Aires, 1948, pág. 57

(17) Sánchez Albornoz, C., La Realidad Histórica de España, Buenos Aires, 1962, pág. 188, tomo I

(18) Ibíd., pág. 714, tomo II

(19) Ibíd., pág. 714, tomo II

(20) Ibíd., pág. 714, tomo II

(21) Ibíd., pág. 716, tomo II

(22) Ibíd., pág. 716, tomo II

(23) Esta campaña culminó con la victoria de las fuerzas del rey en la batalla de Octubre, realizada en 1981.

(24) Braudel, F., El Mediterráneo y el mundo mediterráneo en la época de Felipe II, Madrid, 1976, pág. 175, tomo II. Caro Baroja, J., Los moriscos del reino de Granada, Ensayo de historia social, Madrid, Instituto de Estudios Políticos, 1976
Ibídem, págs. X y ss

(20)

Ibíd., pág. 6

(26)

Ibíd., pág. 8

(27)

Ibíd., pág. 17-18

(28)

Ibíd., pág. 51

(29)

Ibíd., pág. 53

(30)

Ibíd., pág. 62.

(31)

Ibíd., pág. 63

(32)

Ibíd., pág. 63

(33)

Ibíd., pág. 68-69

(34)

Ibíd., pág. 79

(35)

تمثل اختلاف العادات الغذائية في عدم تناول الموسيكيين للنبيذ والمشروبات الروحية
ونعم أكلهم أيا من منتجات الخنزير أو الفجل أو اللقنت أو الجزر. كان لأبد سن ذبح
المائية قبل أن يتفق لكي يمكنهم أكل لحمها

Ibíd., pág. 154

(37)

Ibíd., pág. 219.

(38)

El coloquio de los perros

هناك عرض جيد لهذه الأفكار في حوار بين كليان

Cervantes

أثربابانتس

Ibíd., pág. 175, tomo II

(39)

Ibíd., pág. 177, tomo II

(40)

Ibíd., pág. 184, tomo II.

(41)

Ibíd., pág. 180, tomo II.

(42)

Ibíd., pág. 186, tomo II

(43)
Ibíd., pág. 192, tomo II.

Ibíd., pág. 192, tomo II.


Ibíd., pág. 7.

Ibíd., pág. 9.

كان الرهن العقاري محفزاً للتجارة بطريقة أو بأخرى. وقد تحول إلى طريقة للاستثمار الآمن والجذاب. فهو قرض يتمثل بكل الضمانات إضافة إلى علو القائدة، وهو ما يشرح لنا كيفية تكوين رؤوس الأموال الصغيرة. من هذا المفهوم وقده تنمو استثمار الأراضي والأيام فيه. بطرد الموريسكيين انتهى هذا المصدر غير المباشر متسبيبا في تدمير عدد كبير من هؤلاء المستثمرين الصغار.

Ibíd., pág. 50

Ibíd., pág. 52.

Ibíd., pág. 63

Ibíd., pág. 77-78

Ibíd., pág. 92

Ibíd., pág. 104

Jaime Bleda

فى القرن السادس عشر. 112

Ibíd., pág. 172
Ibíd., pág. 186

Bتناول هذه القضية بعد عدة سنوات.

Eugenio Císcar Pallarés


مصادره الرئيسي هو أرشيفات الكنائس الفالنسية.


يدرس الأصول التي ينتمي إليها الموريسكيون المتواطنون في قشتالة وأماكن تمركـزهم الجديدة.

Dominguez Ortiz, A., "Los moriscos granadinos antes de su definitive expulsion", Miscelanea de Estudios árabes y Hebraicos, XII-XIII (1963-1964)

Le Flem, "Les morisques du Nord-Ouest de L'Espagne en 1594 d'apres un recensement de l'Inquisition de Valladolid", Melanges de la Casa de Velazquez (1965)


Gamir Sandoval, A., Los moriscos del reino de Granada según el sínodo de Guadix de 1554, Granada, 1968.
لا يمكننا أن ننسى أن الموريسيك كان أساس النظام الإقطاعي في فاسيا. مع وجود عدد كبير من هذه العملاة الموريسيكية الرخية تزيد دخل النبلاء، ومع اختلافهم يضيع جزء كبير من أرباحهم. يمكن استخدام قصر كارلوس الخامس لضرب مثال على ذلك، حيث توقف البناء بسبب نفي موريسيك غرناطة الذين لم يعودوا يدفعون الضرائب. من المفارقات أن أفضل رموز عصر النهضة الإسباني ممول بواسطة هذه الضرائب الدينية الطبيعية.

Ibíd., pág. 62.

لدراسة مسألة إعادة الإعمار، نرى أن دراسة كتاب R. Rovilés السدسيسبق R.Robles ذكره سيكون أكثر أهمية.

Ibíd., pág. 34

Ibíd., pág. 117

Ibíd., pág. 120

Domínguez Ortiz. A., La sociedad española en el siglo XVII

Ibíd., pág. 212.

Ibíd., pág. 214

Ibíd., pág. 213

Ibíd., pág. 50

Ibíd., pág. 59.

هذة الفكرة مأخوذة من عمل F. سارتينيث رويث المذكور ملفا 53.

Ibíd., pág. 59.

بلغت نسبة المطوردين 2.8 في المناطق التي يكثر فيها المسيحيون الجدد، أما المتوسط العام فكان 1.3 بالمائة.

Ibíd., pág. 58.

منشور في نيويورك في عام 1934 وتم ترجمته إلى اللغة الإسبانية في 1975 تحت عنوان "الخزانة الأمريكية وتيرة الأسعار في إسبانيا"، 193.1-156.1 la revolución de los precios en España.
Slayer, "La importancia económica de los moriscos en España", Annales E.S.C. (1949), págs. 69 y ss

Ibíd., pág. 319

Ibíd., pág. 320

Ibíd., pág. 71

Ibíd., págs. 79-80

Estudios sobre los moriscos, dirigidos por Joan Fuster, obra de Joan Fuster, Barcelona, 1979, página 51

Ibíd., pág. 120

Bataller, A., "La expulsión de los moriscos: su repercusión en la propiedad y población en la zona de los riegos de Vernisa", Saitabi, 1 (1960), págs. 81-100

Torres Morera, R., Repoblación del Reino de Valencia después de la expulsión de los moriscos, Valencia, 1969


Ibíd., pág. 7

Ibíd., pág. 29

Ibíd., pág. 30

Ibíd., pág. 53

Ibíd., pág. 56

Ibíd., pág. 84

(107) ترجمة هذه الكلمة: الکتمان أو التحفظ أو السرية، والتي تعني... أن يكفه المورمنسي المعزول في مجتمع معاد على ممارسة عقليته. ويتظاهر في ممارسة الديانة المفترضة عليه، صفحة 85.

Ibíd., pág. 88

Ibíd., pág. 107

Ibíd., pág. 117

(111) التفسير الوحيد الممكن لهذا الحدث هو أن نتاج الظروف التي عاوها والمحيط الذي تواجدوا فيه.

Ibíd., pág. 277

Ibíd., pág. 356
المؤلف في سطور

- ميغيل أنخيل بونيس إيبارا
- أستاذ التاريخ بالمجلس العالي للبحث العلمي بمدريد
- له دراسات كثيرة حول العلاقة بين مغربنا العربي وإسبانيا
- يعد واحدا من أبرز المتخصصين في التاريخ الموريسيكي
المترجمة في سطور

- وسام محمد السيد جزر

ليسانس اللغة الإسبانية بتفاقيه جدا مع مرتبة الشرف (كلية الآنس، جامعة عين شمس، 1999).

- دبلوم الترجمة بتفاقيه ممتاز (كلية الآنس، جامعة عين شمس، 2003).
المراجع في سطور

جمال أحمد عبد الرحمن

من مواليد 1956 بقرية بنى مجد (أسيوط)

حاصل على درجة الإجازة العليا (الليسانس) في اللغة الإسبانية بتقدير

ممتاز مع مرتبة الشرف (1979)

الدراسات التمهيدية للدكتوراه في جامعتي سلمنكا ومدريد

حاصل على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف من جامعة مدريد

المركزية (1989)

في عام 2001 رقى إلى درجة أستاذ بقسم اللغة الإسبانية بكلية اللغات

والترجمة.

له العديد من الكتب المترجمة والمقالات المتوزعة في مصر والخارج

حول موضوعات مختلفة من الأدب الإسباني والعلاقة بين الإسلام

والثقافة الإسبانية.
نبذة الكتاب

يقول البروفيسور داريو كابانيلاس عن هذا الكتاب: "عندما ينتهي أحدنا من قراءة هذا الكتاب يفاجاً بأن الكتاب، رغم قلة عدد صفحاته، يقدّم مهارةً جادة ومفصلاً للدراسات الرئيسية المتعلقة بهذا الموضوع ولكتاب أخرى ليست معروفة كلياً، والمؤلف يعتمد دائماً على النصوص لكي يحدد بدقة ووضوح موقف كل كاتب.

يعرض المؤلف لموافق المؤرخين المعاصرين للمشكلة المورسية، ونرى هنا بدايات موقف التأريخ المورسكي من قضية مسلمي الأندلس وفي الفصل الثاني يعرض للتأريخ المورسكي بعد مرور فترة غير قليلة على طرد المورسكيين. لا يتحدث المؤلف عن القرن الثامن عشر بل يدخل مباشرة في كتابات المؤرخين خلال القرن التاسع عشر نستطيع أن نؤكد - مع بوينس إيبيرار - أن العقدين الأخيرين من القرن العشرين يمثلان العصر الذهبى للدراسات المورسية، فقد نشرت خلال هذه الفترة دراسات حول المورسكيين في شمال إفريقيا، ونشرت كتب تتضمن عدداً من الوثائق الجديدة حول الموضوع.

كنا نريد إما أن يكتفي المؤلف بمجرد العرض وإذا أن يعلق على كتابات المؤرخين بحيث يكون هناك فصل كاملاً بين ما يقوله المؤرخ وما يقوله المؤلف. لكننا في بعض المواضيع من الكتاب نجد تداخلًا بين الأمرين، ولا ندري هل المتحدث هو المؤرخ القديم أم صديقنا بوينس إيبيرار. لكن هذه الملاحظة العابرة لا تقلل مطلقاً من مكانة هذا الكتاب الذي يعتبره الباحثون أحد المراجع الرئيسية لنريد دراستة مشكلة مسلمي الأندلس بعد سقوط دولتهم الإسلامية.
المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى، يطلق من الإيجابيات التي حققها مشروعاً الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي، ويستفي إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية:

1- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيئة اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

2- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية.

3- الانحياز إلى كل ما يؤمن لأفكار التقدم وحضور العلم وتشجيع العلم والاتجاه إلى التجريب.

4- ترجمة الأصول المعروفة التي أصبحت أقرب إلى الإطار الدراسى في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين.

5- العمل على إعداد جيل جديد من الترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة.

6- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة.
المشروع القومي للترجمة

جورج سفيروس
حيدر جورج جادامر
جاكي بارنارد
ويليس بلوم
أ. ج. هويتز
ويل ب. ديكسن
والاس مارتن

لغة العليا
2
الوثنية والإسلام (الط)
3
التراث السروي
4
كيف يتم كتابة السيناريو
5
ثرية في غيرية
6
إجهامات البحث العلمي
7
العلوم الإنسانية والفلسفة
8
مشكلة المراكز
9
التحولات البيئية
10
خليط الحبكة

التجارب شعرية
11
طريق الحرير
12
طريق الساميين
13
التحليل الفني للأدب
14
القرن الفناني منذ 1945
15
أثاثية السيداء (ج1)
16
التجزؤات الشعرية
17
الشعر القديم في أمريكا اللاتينية
18
الأعمال الشعرية الكاملة
19
قصة الملح
20
خوض وألف خروخة وقصص أخرى
21
منكروات رحلة عن المصريين
22
تحلي الجمل
23
ظل الم לטفل
24
مثوى (6 أجزاء)
25
دين مصر العام
26
التنوع البشري الخلاق
27
رسالة في التسامح
28
الموت والوجود
29
الوثنية والإسلام (الط)
30
مصادر دراسة التاريخ الإسلامي
31
الاتساع
32
التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية
33
رواية العربية
34
الأسطورة والحداثة
35
نظريات السرد الحديثة
36
أحمد درويش
عبد المصير عبد الكريم
مجاهد عبد النعم ماجهد
أحمد محمود ورث أمين
سعيد الفياني وناصر حلاوي
مكارم الجمسي
محمد سعيد الشريف
محمد سعيد على خالد الغالي
عبد الحميد شنية
عبد الرحمن بركات
أحمد فتحي يوسف شتا
ماجدة السكني
إبراهيم السوفي شتا
أحمد زيد ومحمد محي الدين
محمد صلاح مروك
محمد هنية عبد الفتاح
نادية جمال الدين
عبد الوهاب طيب
فوريا السماوي
سرى محمد عبد الطيف
إدوار الخياط
بشر السباعي
أشرف الصباغ
إبراهيم قنديل
إبراهيم فتحي
رشيد 부حنو
عزة الدين الكاتبي الإدريسي
محمد بن عيس
عبد القادر مكاري
عبد العزيز شبيل
أشرف على دعومن
محمد عبد الله عبد الله
محمد عبد الله العبد
محمد علي مكي
هاشم أحمد محمد
منى قطان
ربما حسنين إبراهيم
إكرام يوسف
أنجية مورا
مجموعة من المؤلفين
رينيل ويليام
روناي داوسون
روناي أوسينسك
ألكسندر روبكين
ألكسندر أديرس
ميجل دى أنتامتو
 أغفتريدي بن
مجموعة من المؤلفين
مسرسرة ميجل
مختارين بن
مصطفىنة (ج1)
 jos
 vốnو المقيقة (ج2)
 الجوامع المنقولة
 طول البيل (رواية)
 جلال ال آب أحمد
 جلال ال آب أحمد
 جلال ال آب أحمد
 أنتوني جيدنز
 بورخيس وأخر
 السور والجرع بين النظرية والتطبيق
 باربرا لوسكوا - بوبين
 نسب لإسم البتل:سماء الرامي لـ المطر
 مايك فيت وين وستون وسكيت لاش
 صمود بيك
 مختارين من المسرح المصري
 مسرحية الحب الأول والصحة
 أنطونيو بوروا بابيتو
 ثلاث زيادات ورودة وقصص أخرى
 نخبة
 فرناي برديل
 الأفلام الإسبانية وابنات الصهيوني
 ديفيد رونوس
 تاريخ السينما العالمية (1890-1980)
ويل هيرست وجاهاز توميسون
 مجلس الوحدة
 بيرنار فاليج
 النص الروائي: تقنيات ومناهج
 السياسة والتعامل
 أبرز منعطفاته (شعر)
 أبرز منعطفاته (مسرحي)
 أبرز منعطفاته (مسرحي)
 ماريا خيسوس روبيروتام
 الأب الأدبي
 صورته في النشأة
 محمد عبد الله الكبير
 حروب الله
 النشأة في العالم الكامي
 تحية
 شاعر
 فرانسис هيدسون
 الزرارة والجريمة
 أزيان عويا مالكي
أحمد حسان
сыл
سيمة رمضان
نهائي أحمد سالم
منى إبراهيم وعائلة كمال
لمس النقاش
بإشراف: رفعت عباس
مجموعة من الترجمين
محمد الجندي وإزرايل كمال
منيرة كروان
أنور محمد إبراهيم
أحمد فؤاد بليغ
سمحة الخولى
عبد الوهاب علوب
بشير السباعي
أميرة حسن نورية
محمد أبو الطا وآخرون
ماريا دولورس أسيس جاويتة
شكرى جلال
لويس بطر
عبد الوهاب علوب
ملعت الشابب
أحمد محمود
ماهر شقق فريد
سحر توفيق
كابيليا صبحى
وجيه سمار عبد السباع
مصطفي ماهر
أمي البوري
نعم علية
حسين بومى
على السمرى
سلامة محمد سليمان
أحمد حسان
علي عبدالله الحميمي
عبد القادر مكاري
علي إبراهيم منوفى
إسماعيل إبراهيم
منيرة كروان
سادي باليات
مرسيدة حماد كوجي رسكان المستقب
رول شينكا
فرجينيا وولف
سنينا تلفون
ليلى أحمد
الأمرة والسيدة في الإسلام
ليلى أحمد
النهضة النسائية في مصر
أمرة الأزدي سينيل
ليلى أبو يود
الليل المثير في كتابة المرأة العربية
جوسيف فويجت
أنجيل ألكسندر فنانونت
الإمبراطورية الشعبية وتاريخها الدولية
چون جرای
سيريد كرود وتی
وقفان إبراهيم
صفاء فتحى
سوزان باستني
الآب القارين
رواية الإسلاجة المعاصرة
أندريه جونتر فولناك
جمعية من المؤلفين
مايك فاندرستين
طارق علي
الخبر من الرواية (رواية)
بارى ج. كيمربت
المختار من قصة، س. إلويت
كتيب كيوتو
فالح الباشا
مذكرات شابه في ساحة الرومانية
أندريه جولجنسان
عالم البالغين بين الغرب والنظم
ريتشارد فانجر
بارك ميتس
الوثيرة مسرحية يونانية
أ. م. فورسستر
الإسكندرية: تاريخ ودليل
نور لابير
قضايا تنظير في البحث الاجتماعي
كارول جولدنين
صحافة اللوكائدة (مسرحيه)
كارولوس فونتين
الورقة الحمراء (رواية)
مايكل د. ليسر
مسرحالية
إنيكي أندروس إمبرت
القصة الفضائية: النظرية والتقنية
عاطف فضول
النظرية الشعرية عند إيلويت وأندرويس
روبرت ج. ليتمان
التجربة الإغريقية
112
114
115
116
117
118
119
120
121
122
123
124
125
126
127
128
129
130
131
132
133
134
135
136
137
138
139
140
141
142
143
144
145
146
147
148
149
150
لا يمكن قراءة النص العربي في الصورة المقدمة.
<table>
<thead>
<tr>
<th>كتاب</th>
<th>عنوان</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>189-190</td>
<td>محاريات كونفوشيوس</td>
</tr>
<tr>
<td>191</td>
<td>الكلام ياسلال ومثقف أخرون</td>
</tr>
<tr>
<td>192</td>
<td>صيحة تهيم إبراهيم بك (ع)</td>
</tr>
<tr>
<td>193</td>
<td>عمل المجم (رواية)</td>
</tr>
<tr>
<td>194</td>
<td>مقتل من الانتفاضات الأمريكية الم酩</td>
</tr>
<tr>
<td>195</td>
<td>إسلام النسيج (رواية)</td>
</tr>
<tr>
<td>196</td>
<td>المجلة الأخيرة (رواية)</td>
</tr>
<tr>
<td>197</td>
<td>سيرة الفرق</td>
</tr>
<tr>
<td>198</td>
<td>الاستخلاج الجماهيري</td>
</tr>
<tr>
<td>199</td>
<td>تاريخ بين مصر في الفترة العثمانية</td>
</tr>
<tr>
<td>200</td>
<td>ضحايا التنمية: المقال الثر باليدي</td>
</tr>
<tr>
<td>201</td>
<td>الجوان الناديية للقسطة</td>
</tr>
<tr>
<td>202</td>
<td>تاريخ الفكر الأدبي الحديث (جزء 4)</td>
</tr>
<tr>
<td>203</td>
<td>الشعر والشعرية</td>
</tr>
<tr>
<td>204</td>
<td>تاريخ قد المتميز</td>
</tr>
<tr>
<td>205</td>
<td>البحت والشاعر والذات</td>
</tr>
<tr>
<td>206</td>
<td>خطيئة تصنع علمًا جديدا</td>
</tr>
<tr>
<td>207</td>
<td>أليف أفريق (رواية)</td>
</tr>
<tr>
<td>208</td>
<td>شخصية العري المحرر في الصرح الإسلامي</td>
</tr>
<tr>
<td>209</td>
<td>الدم وعصر</td>
</tr>
<tr>
<td>210</td>
<td>مثنواني حكم سناتي (شعر)</td>
</tr>
<tr>
<td>211</td>
<td>فريدان كروسير</td>
</tr>
<tr>
<td>212-213</td>
<td>قصص القمر وريس من لسان البيجان</td>
</tr>
<tr>
<td>214</td>
<td>قواعد جيدة للمنهج في علم الاجتماع</td>
</tr>
<tr>
<td>215</td>
<td>سباحت نامه إبراهيم بك (ع)</td>
</tr>
<tr>
<td>216</td>
<td>جوانب أخرى من حياتهم</td>
</tr>
<tr>
<td>217</td>
<td>مسرحيات طليان</td>
</tr>
<tr>
<td>218</td>
<td>لعبة الجماعة (رواية)</td>
</tr>
<tr>
<td>219</td>
<td>بقايا البوم (رواية)</td>
</tr>
<tr>
<td>220</td>
<td>الهوية في الكون</td>
</tr>
<tr>
<td>221</td>
<td>شعرية كاففي</td>
</tr>
<tr>
<td>222</td>
<td>فرانك كافن</td>
</tr>
<tr>
<td>223</td>
<td>العلم في مجتمع حر</td>
</tr>
<tr>
<td>224</td>
<td>دعار ببرغل</td>
</tr>
<tr>
<td>225</td>
<td>حكاية ضيق (رواية)</td>
</tr>
<tr>
<td>226</td>
<td>أرض النساء وчинاد أخرى</td>
</tr>
</tbody>
</table>
السيرة النبوية في القرن السابع عشر - 277
المارس الإسباني في القرن السابع عشر - 278
أعمال.Interfaces والمجال العلمي - 279
مازق الباب الوحيد - 280
عن النبات والفطر ويش - 281
الرافية أو الجيل الجديد (مسرحي) - 282
ما بعد الولادة - 283
فترة الاضمحلال في التاريخ العربي - 284
إسلام في السودان - 285
دوران شمس تبريزي (ج1) - 286
المواطن والدين المروي - 287
روبرت قديم - 288
المملكة الكبرى - 289
النظامات الأثرية - 290
القرن والإسلام - رياح - 291
في انتظار الباردة (رواية) - 292
سياق أبنائ الفSPACE - 293
تاريخ إسپانيا الإسلامية (ج1) - 294
الملف (رواية) - 295
نما مقابلات - 296
مختارات قصصية - 297
الطائفة الجماعية والأحداث في مصر - 298
حفل عند الخضراء (مسرحية) - 299
لغة السرد (شعر) - 300
علم اجتماع الطعم - 301
مسيحية: علم الاجتماع (ج2) - 302
الحركة التنموية المصرية - 303
تاريخ مصر الفاطمية - 304
أقدم الكهف - 305
أقدم الافلاطون - 306
تأليف الك: ديكارت - 307
تاريخ الفلسفة الحديثة - 308
العصران: نهجوس فريزر - 309
مختارات من الشعر الأندلسي عن المسرح - 310
موسيقى علم الاجتماع (ج2) - 311
رجاء في فكر، سامح محمود - 312
تاريخ المجلات (رواية) - 313
كتعب عن حماية الزمن - 314
إيديات شعرية متجزئة - 315

رويات مترجمة
- 265
- 266
- 267
- 268
- 269
- 270
- 271
- 272
- 273
- 274
- 275
- 276
- 277
- 278
- 279
- 280
- 281
- 282
- 283
- 284
- 285
- 286
- 287
- 288
- 289
- 290
- 291
- 292
- 293
- 294
- 295
- 296
- 297
- 298
- 299
- 300
- 301
- 302

إمام عبد الفتاح إمام
إمام عبد الفتاح إمام
صلاح عبد الصبور
نيلب سعد
محمد مكي
محمد عبد المنعم
جمال الجريري
محسن الدين مزيد
فاطمة إسماعيل
أحمد حليم
محمد عبد الله الجدعدي
خالد بنان
حسين مينيك
كامل مرقصي
نصير مجدلي
أشرف الصباح
أشرف الصباح
حمص نابل
محمد علي الدين ضمنور
وجيه محمد فوزي
محمد علوي
كرميين يوسف
حسن سفرح
توافقي علي منصور
عبد العزيز بوقش
محمد عبد إبراهيم
سالم صلاح
سامية نيايب
علي إبراهيم منوفي
بكر عباس
مصطفى إبراهيم نصيف
فتحي العشيري
حسن صابر
أحمد البحاري
جمال الحنان
محمد علاء الدين منصور
فخره لبيب
حسن حلمي
عبد العزيز بقش
عمير عبد ربه
يوسف عبد الفتاح فرج
جمال الجزييري
بكر الحلو
عبد الرحمن أحمد إبراهيم
أحمد عمر شاهين
عملية شحاث
أحمد الأنصاري
نعم علية
قسمطب كفايف
علي إبراهيم منوفي
علي إبراهيم منوفي
محمود علاء
قدح الرايع
عمر الفاروق عمر
مصطفى حجازي السيد
حبيب الشاروني
ليلى الشربيني
عاطف معتمد وامام شاور
سيد أحمد فتح الله
صلاح محمد حسن
ناجية أبو عجاج
محمد أحمد محمد
مصطفى محمود محمد
العراق عبدالله رضا
عابد خزندار
فوزية العشماوي
قائمة عبد الله محمود
عبد الله أحمد إبراهيم
وحيد السيد عبد الحميد
علي إبراهيم منوفي
حمادة إبراهيم
خالد أبو الزيد
إبوزي البك
محمد علاء الدين منصور
يوسف عبد الفتاح فرج

راينر ماريا ريلكه
قاصات من ريلك (شعر)
سلمان وأيسل (شعر)
نور الدين عبد الرحمن الجامي
ناثان جودير
بيتر بالتيجو
يوهان نتانيا
رشاد بشيده
جان كوكتر
الصمود (رواية)
المصور الأول في الأدب التركي (ج 1)
أرثر ودوشين ويروين
دار القارئ إلى الثقافة الجادة
مجموعة من المؤلفين
چوشوا رويز
الفاتح (رواية)
قصائد من كفايف
باستيلو باويون مالونادو
باستيلو باويون مالونادو
التنافسية في الأدب العربي (ج1)
جحبت مرتجي
بول سالم
تاريخ الأدب في إيران (ج2)
عامر الفاروق عمر
متون هرمس
أمثال الإلهاء المعاي
ملاحاة بارنيس
إثيوبيولوجيا اللغة
التصحر: التجريد والجابحة
تميلين باري (رواية)
حركات التحرير الأفريقية
حديث شكيب
سalamat باريس (شعر)
نصيو بيركمن مع الفناء
المجموعة من المؤلفين
الظلم الجريء
المصلح السردي: نظم ممستحالة
المرأة في أنج نجيب محفوظ
الفن والحياة في مصر الفرعونية
المصورة الأول في الأدب التركي (ج2)
عاش الشباب (رواية)
كيف تنطق دكترار
اليوم السادس (رواية)
الملوك (رواية)
الغضب وأحلام النمل (مسرحيات)
تاريخ الأدب في إيران (ج2)
السافر (شعر)
جمال عبدالرحمن
شيرين عبد السلام
رانيا إبراهيم يوسف
إسماعيل محمد
سمير عبد الحميد إبراهيم
إيزابيل كمال
يوسف عبد الفتاح فرج
رهام حسين إبراهيم
بها، صادق
سلمى عبد الله منصور
سيير عبد الحميد إبراهيم
عثمان مصطفى عثمان
منى الدروبي
عبيد العفيفي عبد الحليم
زينب محمود الضيوي
هاشم أحمد محمد
سلمى عبد الأمير حمداى
محمد علاء
إبراهيم عبد الفتاح إمام
إبراهيم عبد الفتاح إمام
إبراهيم عبد الفتاح إمام
باحر الجوهرى
محمود عبد المنعم
محمود عبد المنعم
عماد حسن بكر
نظيلة خميس
حمادة إبراهيم
جمال عبد الرحمن
طلال شاهين
عثمان الشهابى
إليامي عمارة
الزاوية بغبرة
أحمد مستجير
بإشراف، صلاح فضل
محمد الأخاري
أمل الصبان
أحمد كامل عبد الرحمن
محمد مصطفى يبى
سنين باث
جورج جراس
ر. ل. تراسك
بها، الدnin محمد استغنيار
محمد إقبال
سوزان إنجيل
محمد على جهادزاده
جانيت تود
چین دن
سعودي الشيرازى
نخیة
إم. ف. روبرتس
ماري بيشي
فرناندو دي لوارنطا
نودو لوس ماسينویون
بول ديفيز
إسماعيل فصيح
تمى نجاحي راد
لوثيم جی أنکیتی شیئن
فيليب تودی ویویارد رید
دییین میرفیتی ویلیم گارسک
میشائل اندیه
ژیاپن ساردر وآخرون
ج. ب. ماکیری وآیویکس زاریت
تدیری سمیر ووجیتردی کوکر
اعلی ایران
اندرو جید
پیوند استثنایی
19 مانیلا مانوانارس
1997 مجموعه من المؤلفین
جوان فیتشرکین
پیرتراند راسل
کارل ببور
چیتفیر آکرمان
تاریخ اسبانیا الإسلامیة (مجله 2، ج2)
نظام حکمت
الأدب الإسبانی المعمار بالقطب كتبه
محمود تاريخ مصر
انصار السعادة
خلاصة القرن
حقیه دومینات
مبدأ النقد الأدبی والشعر 1.1، ریشاردز
- 279
- 280
- 281
- 282
- 283
- 284
- 285
- 286
- 287
- 288
- 289
- 290
- 291
- 292
- 293
- 294
- 295
- 296
- 297
- 298
- 299
- 300
- 401
- 402
- 403
- 404
- 405
- 406
- 407
- 408
- 409
- 410
- 411
- 412
- 413
- 414
- 415
- 416
- 417
ماجد عبد النور: "تاريخ النقد العربي الحديث (ج1)"
"进行全面的な النقد العربي من الفيلسوفية"
"النقد العربي في النقاد العربيين"
"النقد العربي في الفكر العربي"
تاريخ الفلسفة الحديثة (مجلة فريدريك كولستون)
التنوير (رواية) (مجلة فريدريك كولستون)
النساء في الفكر السياسي الغربي
الموريسكيون الأندلسيون
توم تيتربرج
ستوارت هود ويلز والنازية
دارين ليبر وجودي جورج
عبد الله الصادق محمود
عبد النور الشاذلي
عبد الله السيد
حمزة إبراهيم اللنبي
جمال الرفاعي
فاطمة عبد الله
ريبي وعمة
أحمد الأنصاري
مجدي عبد الواحد
محمد السيد
أحمد عبد الله عبد الرازق إبراهيم
سليمان العطار
سليمان العطار
سامح عبد السلام
عادل عتيق
فرجينيا دانيلsson
محمد توفيق
أشرف كيلاني
عبد العزيز حمدي
عبد العزيز حمدي
روحان السيد
فاطمة عبد الله
أحمد الشامي
رشيد بنحوي
سامي عبد الحميد إبراهيم
عبد الحليم بنحوي رجب
سامي عبد الحميد إبراهيم
سامي عبد الحميد إبراهيم
محمد رجب
عبد الوهاب علوب
سامي عبد ربه
محمد رفعت عواذ
محمد صالح الصالح
شريف الصفي
حسن عبد ربه المصري
مجموعة من المترجمين
مصطفى رياض
أحمد السباعي
فسل بن خضراء
طلعت الشاب
سحر فراح
مهاة كمال
محمد نور الدين عبد الناصر
نخبة من الشعراء
إسماعيل الصدق
إسماعيل المنصق
عبد الحميد فهمي الجمال
شقيقه فيهم
عبد الله أحمد إبراهيم
قاسم عبد قاسم
عبد رازق عبد
عبد الحميد فهمي الجمال
جمال عبد الناصر
مصطفى إبراهيم فهمي
مصطفى بويسي عبد السلام
فؤاد مالك دوجلاس
صبري محمد حسن
سعود عبد الحميد إبراهيم
هاشم أحمد محمد
أحمد الأمام
أمل الصبان
عبد الله بكر
علي إبراهيم منوفي
علي إبراهيم منوفي
محمد مصطفى بدوي
نادية رفعت
مهج الدين مزيد
جمال الجزيزي
جمال الجزيزي
ชะم محمود
عمر الفاروق عمر

الجوامع الإنجليزية العربية (ج1) - 107
الجوامع الإنجليزية العربية (ج2) - 108
الإطارات الثقافية - 109
العماة المدارية - 110
الإيديولوجيا والأخلاقية - 111
رسالة الفنية - 112
السياحة والسياسة - 113
الإمبراطورية (إمبراطورية) - 114
في Subject X - 115
في Subject Y - 116
في Subject Z - 117
فقرات X - 118
فقرات Y - 119
فقرات Z - 120
فقرات X - 121
فقرات Y - 122
فقرات Z - 123
فقرات X - 124
فقرات Y - 125
فقرات Z - 126
فقرات X - 127
فقرات Y - 128
فقرات Z - 129
فقرات X - 130
فقرات Y - 131
فقرات Z - 132
فقرات X - 133
فقرات Y - 134
فقرات Z - 135
فقرات X - 136
فقرات Y - 137
فقرات Z - 138
فقرات X - 139
فقرات Y - 140
فقرات Z - 141
فقرات X - 142
فقرات Y - 143
فقرات Z - 144
عبد الوهاب علوب
سهر نبيح
فيلاستاد ماهين
سهر يوسف
عبد الوهاب علوب
أحمد الصبان
حسن نصر الدين
سماح جبر
عبد الرحمن الحكيمي
Billy Styles
عثمان طه
محمد البستاوي
خالد عباس
سليمان الصهيمي
عبد الله ماهر الطه
هاشم أحمد محمد
صدري النهائي
صدري النهائي
صدري النهائي
احمد شافعي
عاصم زكريا
هاشم أحمد محمد
جمال عبد الناصر وجمال جاد الزيب
علي لواء
أحمد الجبالي
نعيم حباشي
ماهر البطولي
علي عبد الكريم صالح
إيجهل سالم
جلال المختار
محمد علاء الدين مرصور
باسم علي
محمد إبراهيم السعدني
باسم علي
أحمد كمال الدين حلمي
أحمد كمال الدين حلمي
توافق على منصور
محمد شفيق غرير
أحمد الشامي
صبري محمد حسن
تشارلز كيلو ويوهان ويتكون
靑の地
قصة الثورة الإيرانية
رسائل من مصر
بيبريت سالو
الخوف وقصص خرافية أخرى
روبرت ديفيان
الواحة والسلطة السياسية في الشرق الأوسط
عائشة أورين
كولو ترينتر
عائشة أورين
دور نشر الصحف
تصنيفات قيمية
إيزابيل فرانكو
ألفونسو ساستري
خيار الشعاب والرفيق الجميل
محامي تشمس والموريسكون
مرسيدس غارسيا أرمان
جوان رامون خيميتي
فصول من إسبانيا وأمريكا اللاتينية
نهج
رومان أنبليس إسلامية
داسو سالديبار
رحالة إلى الجزائر
ليويس كليفتون
ستيفن كوهن وإليا راي هارك
الرجاء على الشاشة
بول دايفيز
تطور الصورة الشعرية عند شكسبير
قوانين جواهر
ثقوبة الغول
三年 مسرحيات
أشعار جوستاف أدولفو
قدميًا ضحوية
أينما تأتي
الإله العظيم
إيجهل سالم
ضروب الكلم (شعر)
قرارًا في الإمارات
السيرة ذاتية
أثنى السواء
أثنى السواء
اريخ الأدب في إيران
اريخ الأدب في إيران
المبتكرين
.Cancel L. بيكير
علي نديم في هذا الفصل
ابن أوكرى
タイムラプス
عزت عامر
يحيى حقي
يحيى حقي
منيرة كروان
سالمية الجندل وعبد العظيم حماد
إشراف: أحمد عثمان
إشراف: فاطمة موسى
إشراف: رضوى عاشور
فاطمة قندیل
ثريا إقبال
جمال عبد الرحمن
محمد حرب
فاطمة عبد الله
محمد حسن
صبري محمد حسن
عزت عامر
مجدى الليجي
مجدى الليجي
إبراهيم الشواريби
علي نونى
طلعت الشاب
عاءل
أحمد فوزى عبد الحميد
عبدالله سالم
سعيد البليمعي
أحمد مستجیر
علا على زين العبادين
صبري محمد حسن
وجيه سمعان عبد السيح
محمد عبد الواحد
عمير جريس
ثريا توفيق
محمد مهدي قناوي
محمد قدري عمارة
فرید جورج بوری
جون جربیبن
روآبات مقاتلة
مسيرات مختارة
rief
واجهات نغامات
دورانه مسيرة
روبى جست
الجابة الاجتماعية
نخبة
نخبة
نخبة
جمعون جبران وخليل جبران
اَهْوَمُ كُروَان
الريسون في إسبانيا وفي الملقى
ملحة حرب الاستقلال (شعر)
عشتُهم: غموض وعمر
كريستيان دي روش توبولكر
كريستيان دي روش توبولكر
تشارلز دوتي
تشارلز دوتي
كيتى فرجسون
تشارلز داروين
تشارلز داروين
تشارلز داروين
نشاط الإنسان (مجلة)
نشاط الإنسان (مجلة)
نشاط الإنسان (مجلة)
حة في مدارس البزينة (مجلة)
الاسطنبولية السياسية عند مارتن ويدجر
كيفية نحت (قصص أطفال)
شهادة الكاتب الإفريقي
فوكس جيب هارت
إد ريديس
بيولوجيا التجمي
أحمد نانو
بير بورديو
ستيفن جونسون
المجموعة مقالات
أي كورتى أرماه
إريك هويسيمن
(Views of the future)
أعمال بعثة جون سندز (مياه الترجمة)
مازوال بروسي
ميتشيل نوريس
روبرت رايس
رومان أونيفر وإنتوني أنمور
1887
1911
1912
1913
1914
1915
1916
1917
1918
1919
1920
1921
1922
1923
1924
1925
1926
1927
1928
1929
1930
1931
1932
1933
1934
1935
1936
1937
1938
1939
1940
1941
1942
1943
1944
1945
1946
1947
1948
ناصف معلا
منى طلبة وأثير مفيض
عمر حسن بكر
تعيما عبد الجواد
علي عبد الروؤف اليميني
عان الشهابى
ماجدة أباظة
سمير حنا صادق
ربيع وعمة
صلاح حزين
وسام محمد جزر

أندريه فيش
- مقتبة الصدا
- 949
جمال نيريدا
- في علم الكتابة
- 950
فرنسيش دو بوريهات
- الاتهام (رواية)
- 951
أمريو بركة
- العيد ومسلحيات أخرى
- 952
مختارات من الشعر الإسباني (جزء)
- 953
نخبة من الشعراء
- 954
الفيل الأبية الحزينة للنسبة في عهد سعد طه
فرد لوسوين
- 955
سيفكيا كييفولو
- الطب والأطباء
- 956
أ. ك. ديوتين
- نعم، ليست لدينا نيوترونات
- 957
تشارلز تلي
- المركز الادبي (178-4004)
مرام كوك
- 958
أصول على هامش الحرب
- 959
ميغيل أنخيل يونيس
- الموريسكون في الفكر التاريخي
- 959
ن: 51510 تاريخ استلام: 7/2/2008

طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

رقم الإيداع: 21775 / 2005
يقول البروفيسور داريو كابانيلاس عن هذا الكتاب:
عندما ينتهي أحدنا من قراءة هذا الكتاب، يفتحنا بفأجا بأنه الكتاب، رغم قلة عدد صفحاته، يقدم تحليلًا جادًا ومفصلًا للدراسات الرئيسية المتعلقة بهذا الموضوع، ولكتب أخرى ليست معروفة كليًا، والمؤلف يعتمد دائمًا على النصوص لكي يحدد نظرة موضوعية كل كتاب.
يتعرض المؤلف لموقف المؤرخين المعاصرين للに向ال الموريسكية، وبرر هنا بدايات موقف التاريخ الموريسكي من قضية مسلمي الأندلس.
وفي الفصل الثاني يتعرض للتاريخ بعد مروعة فترة غير قليلة على طرد الموريسكيين لا يتحدث المؤلف عن القرن الثامن عشر، بل يدخل مباشرة في كتب المؤرخين خلال القرن التاسع عشر، ونستطيع أن نؤكد مع بونيس إيبارا أن العقيدة الأخيرة من القرن العشرين بتماثل العصر الذهبي للدراسات الموريسكية، فقد نشرت خلال هذه الفترة دراسات حول الموريسكيين في شمال أفريقيا، ونشرت كتب تتضمن عددًا من الوثائق الجديدة حول هذا الموضوع.